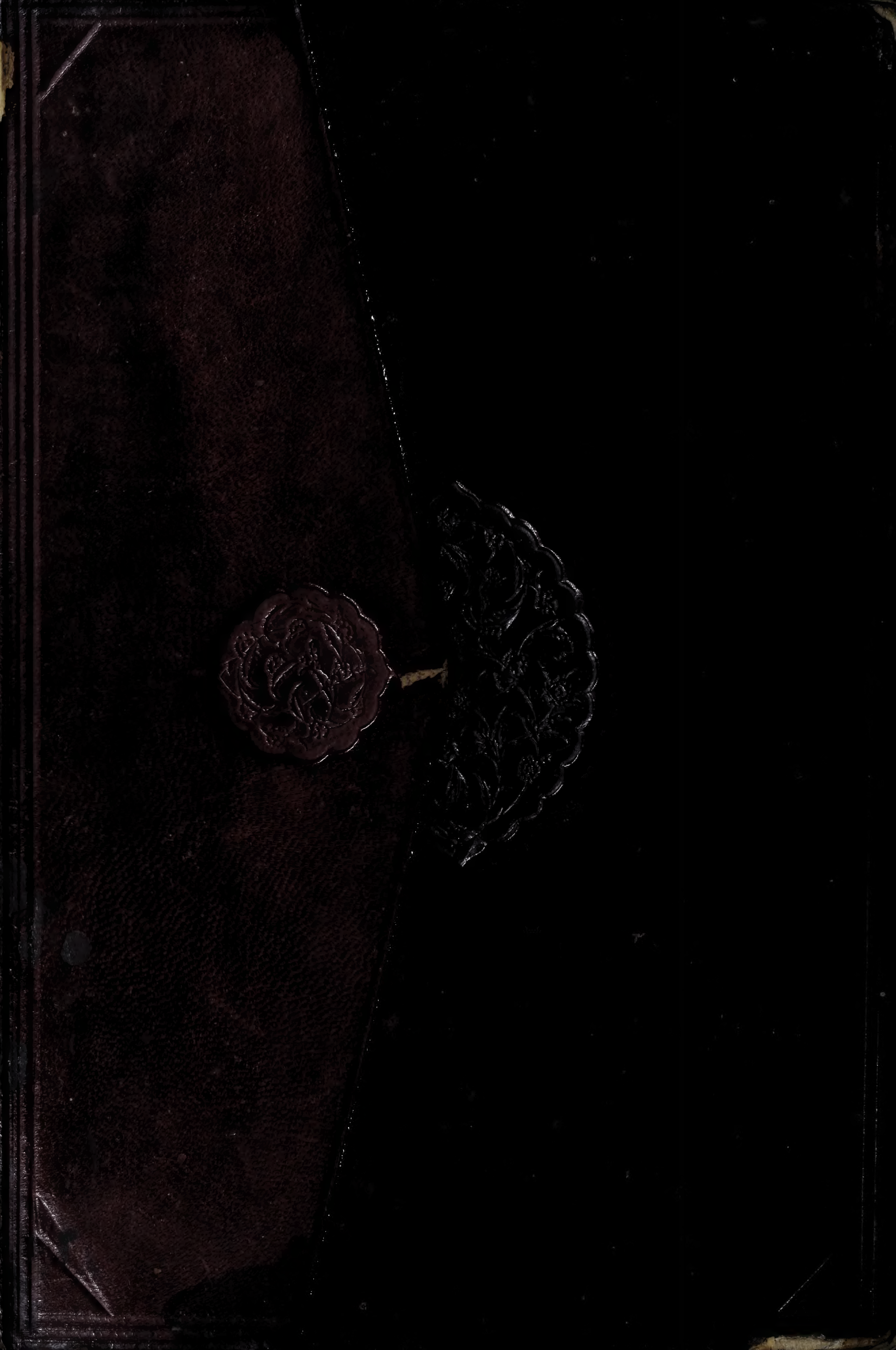




هذا كتاب حديث شريف من حديث مصابيح

وذكر في كتاب العالم والمتعلم قال المتعلم رحمه اخبرني هل يكون المؤمن اذا ارتكب الكبائر عدوا لله تع قال العالم رض ان المؤمن لا يكون لله عدوا
وان ارتكب جميع الذنوب بعد انه لا يدع التوحيد وذلك بان العدو يبغض عدوه ويناوله بالمنقصة والمؤمن قد يرتكب العظيم من الذنب والله
في ذلك احب اليه مما سواه وذلك لانه لو خير من ان يحرق بالنار او يفتري على الله من قلبه لكان الاحراق بالنار اليه من ذلك احب
قال المتعلم ان كان الله احب اليه مما سواه فلم يعصيه وهل يكون احد يحب اخر يعصيه فيما يامره قال العالم رض نعم قد يحب الولد والده
وربما عصاه وهذا المؤمن لله احب اليه مما سواه وان عصاه وانما يعصيه لان الشهوة ظاهرة غالبة عليه وربما كان الرجل عاملا
فينزع عن عمله فيعذب بالوان من العذاب ثم اذا ترك رجع الى عمله ان قدر عليه والمراة تبلغ من نفاسها ثم اذا قامت طلبت
الولد قال المتعلم اخبرني عن هذا المؤمن اير تكب المعصية وهو يعلم انه يعذب عليها قال العالم ما يرتكبها وهو يعلم انه يعذب
عليها ولكنه يرتكبها لخصلتين اما الواحدة فانه يرجو المغفرة واما الاخرى فانه يامل التوبة قبل المرض والموت قال المتعلم
وهل يقوم على ما يخاف ان يعذب عليه قال العالم نعم ربما يقوم الرجل على ما يخافه ان يضره من طعام او شراب او قتال
او ركوب بحر ولولا ما يرجو النجاة من الغرق اذا ركب البحر

مسئلة

قال الامام الرازي رح في المحصل الايمان لا يزيد ولا ينقص لانه اسم لتصديق الرسول بكل ما جاء به من عند الله تع وهذا لا يقبل التفاوت
فكان مسمى الايمان غير قابل للزيادة والنقصان عند من هو اسم لاداء العبادات كالمعتزلة او اسم للاقرار والاعتقاد والعمل كبعض
الفقهاء كان قابلا لهما والبحث لغوي ولكل واحد من الفريق نصوص وطريق التوفيق ان يقال الاعمال من ثمرات التصديق فكل ما دل
على ان الايمان لا يقبل الزيادة والنقصان فهو مصروف الى اصل الايمان وما دل على كونه قابلا لهما فهو مصروف الى الايمان الكامل
وقال الامام السيغناقي ابو المعين رح تاويل ما ورد من الزيادة في الايمان انهم كانوا امنوا بالجملة ثم كان ياتي فرض بعد فرض فهو
يؤمنون بكل فرض ويزداد ايمانهم بالتفصيل على ايمانهم بالجملة وان كان ايمانهم بالجملة ايمانا بوضع التحقيق وقد روي هذا التاويل
عن ابن عباس وعن ابي حنيفة رح وكذا الثبات على الايمان والدوام عليه زيادة في كل ساعة ويحتمل ان يزداد نوره في القلب بالاعمال
الصالحة وينقص ذلك بالمعاصي فاما هو في ذاته فلا يحتمل الزيادة والنقصان وتاويل قوله تع اليوم اكملت لكم دينكم ان المراد باليوم
عصر رسول الله ع م لا يوم معين من عصره لانه لو كان كذلك لثبت ان الدين كان قبل ذلك اليوم ناقصا وان من مات قبل ذلك
اليوم من المهاجرين والانصار مات على دين ناقص وان رسول الله ع م كان يدعوهم قبل ذلك اليوم الى دين ناقص وهذا
كله باطل فالحق ان المراد باليوم عصر رسول الله صلم اذ كان من قبله ذلك فترة وكانت الحاجة ماسة الى من يبين الحق
للخلق فبين ذلك برسول الله صلم في عصره وهذا النوع ظاهر متداول في الكلام فان ملكا من الملوك لو اراد ان يمن على اهل
مملكته يقول ان من كان قبلكم من ابائكم في زمان الملوك الماضية كانوا في انواع الفتن وصنوف المصائب والمحن
وانتم اليوم في ظل السلامة وكنف الرعاية بيمن مملكتي ورافتي على طبقات رعيتي لا يريد بذلك اليوم الذي يخاطبهم
فيه لكن يريد جميع عصره وزمان ثبوت سلطنته فكذا هذا او نقول المراد من قوله تع اكملت لكم دينكم اظهرت لكم اي
اليوم اقدرتكم على اظهار دينكم واظفرتكم بعدوكم حتى يئسوا من تركهم الدين يؤيده قوله تع اليوم يئس الذين كفروا
من دينكم

مسئلة

ايماننا مثل ايمان الملائكة والرسل صلوات الله عليهم وسلامه لانا صدقنا من وحدانية الرب وربوبيته وقدرته وما جاء
من عند الله بمثل ما اقرت به الملائكة وصدقت به الانبياء والرسل كذا قال ابو حنيفة رح في كتاب العالم والمتعلم حين سال فقال المتعلم
قد عرفت الآن ان ايماننا مثل ايمان الملائكة وتصديقنا مثل تصديقهم ويقيننا مثل يقينهم ولكن اخبرني من اين هم اشد خوفا

والطوع لله منا ومن اين قالت الجهال اذا راوا من الانسان ذلة او جزعا عند مصيبة او جبنا من عدو او حرصا على الدنيا
هذا من ضعف اليقين قال العالم رح اما قول الجهال هذا من ضعف اليقين فانما قالوا ذلك لجهالتهم بتفسير اليقين واليقين
بالشي هو العلم به حتى لا شك فيه فليس احد من اهل الشهادة يشك في الله وفي كتبه ورسله وان ركب ما ركب واما قولك من اين هم
اشد خوفا واطوع لله منا ويقيننا مثل يقينهم نعم هم اشد خوفا واطوع لله منا لخصال اما الواحدة فانهم كما فضلوا بالنبوة
والرسالة فكذلك فضلوا بالخوف والرغبة وبجميع مكارم الاخلاق على من سواهم والخصلة الاخرى انهم عاينوا من الملك
والعجايب ما لم نعاين والخصلة الثالثة انهم كانوا لا يمهلون عند المعصية والرابعة انهم كانوا يخافون ما ينزل لغيرهم
من العقوبة على المعصية فكان ذلك ايضا مما يحجزهم عن المعاصي قال المتعلم رح ان كان ايماننا مثل ايمان الرسل اليس
ثواب ايماننا مثل ثواب ايمانهم فما فضلهم علينا قد استوينا في الدنيا في الايمان واستوينا في الاخرة في ثواب الايمان
وان كان ثواب ايماننا دون ثواب ايمانهم اليس هذا ظلما اذا كان ايماننا مثل ايمانهم ولم يجعل لنا من الثواب
مثل ما جعل لهم قال العالم رح قد اعظمت المسئلة ولكن تثبت على الفتيا الست تعلم ان ايماننا مثل ايمانهم
لانا آمنا بكل شي امنت به الرسل ولهم بعد ذلك علينا فضل في الثواب على الايمان وجميع العبادات لان الله تع كما فضلهم
بالنبوة على الناس كذلك فضل كلامهم وصلوتهم وبيوتهم ومساكنهم وجميع امورهم على غيرها من الاشياء ولم يظلمنا ربنا
اذا لم يجعل لنا مثل ثوابهم وذلك انه انما يكون الظلم اذا نقصنا حقنا فسخطنا فاما اذا زادهم ولم ينقصنا حقنا
واعطانا ما ارضانا فان ذلك ليس بظلم والانبياء والرسل لهم الفضل في الدنيا على جميع الناس لانهم القادة وهم امناء
الرحمن ولا يدانيهم احد من الناس في عبادتهم وخوفهم وخشوعهم وتحملهم المؤنات في ذات الله تعالى وفي الاخرة
انما ادرك الناس باذن الله تع الفضل بهم فلهم مثل اجور من يدخل الجنة بدعائهم

مسئلة

الايمان شي حقيقي معلوم الحد على ما ذكرنا فاذا حصل بذلك الحد كان الذات به مومنا كالقعود والجلوس والسواد والبياض
وغير ذلك لما كانت معاني معلومة الحد متى وجدت حقيقتها كان الذات بها قاعدا جالسا اسود ابيض فكذا هذا ثم اذا كان
كذلك لا معنى لقول الاشعرية ومن تقدمهم من الخوارج وطوايف من الناس ان لا عبرة للايمان من وجد منه التصديق للحال
ولا للكفر من وجد منه التكذيب بل العبرة للعاقبة فان كان في علم الله تع ان هذا الشخص المعين يختم له بالايمان فهو للحال
مؤمن وان كان مكذبا بالله تع ولرسوله ساجدا للصنم وان كان في علمه انه يختم بالكفر نعوذ بالله منه يكون للحال كافرا
وان كان مصدقا لله تع ولرسوله فهذا لا معنى له لان الحقايق لن تعرف معدومة باعتبار العلم بانها ستعدم فان الله تع
يعلم الحي حيا ولا يعلمه للحال ميتا وان كان يعلم انه يموت لا محالة وكذا هذا في الجالس والقائم والاسود والابيض وكل وصف
ولو كان الامر على ما يزعمون لكان ينبغي ان نكون نحن الآن في الاخرة وان يكون كل ميت حيا لان عاقبة ذلك وحيث كان
هذا باطلا لاداءه الى التناقض دل على بطلان ذلك المذهب وبمعرفة بطلان هذا يعرف بطلان مقالتهم لانا نقول
نحن مومنون على الثبات بل نقول نحن مومنون ان شاء الله مع وجود حقيقة التصديق كقول من يقول انا قائم ان شاء الله
او انا قاعد ان شاء الله مع وجود حقيقة القيام او القعود عنه وذلك باطل فكذا هذا ولا معنى لقول من قال منهم ان ايماني حق
بلا استثناء واذا وصف نفسه قال انا مومن ان شاء الله لان المانة اذا كان حقا كان مومنا حقيقة كالقعود متى كان متحققا
كان الرجل قاعدا حقيقة ولا معنى لقول من يقول انا مومن بالله من غير استثناء وانا مؤمن عند الله ان شاء الله لان الايمان
اذا تحقق منه بحقيقته كان مومنا عند الله حقيقة وانما الشك من انه يكون عند الموت مومنا ام لا ولا يطيقون بهما انهم يشكون
في وجود التصديق للحال بل انما يعنون ذلك على ان المذهب عندهم ان لا عبرة للايمان الموجود للحال والكفر الموجود للحال
بل العبرة لحالة الموت وتلك الحالة مستورة عليهم فاذا لم يعلموا بها لم يعلمون ما هم عليه للحال لسقوط اعتبار ما هو الموجود للحال
عندهم وعرف بطلان ذلك يعرف بطلان هذا

هذا من تعليقات مولانا قطب الدين
الازنيقي تغمده الله بغفرانه
في التوفيق بين الاحاديث المختلفات
الظواهر في كتاب
المصابيح

هذا الكتاب محمد فقيه

والذي يدل على صحة ما ذهبنا اليه ان الله شهيد بالايمان لمن آمن بالله ورسله بقوله آمن الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله الآية ومدح بقطع القول الذين قالوا ربنا اننا سمعنا مناديا ينادي للايمان ان آمنوا بربكم فآمنا ولم يأمرهم بالاستثناء وان لم يكن لهم بالعاقبة علم وامر ايضا بالقول بذلك من غير استثناء فقال قولوا آمنا وايضا قال ومن احسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال انني من المسلمين جعل قوله انني من المسلمين احسن قول من غير استثناء وقال ابراهيم عم حين قال اولم تؤمن قال بلى من غير استثناء وعن ابن عمر رض انه اخرج شاة ليذبح فمر به رجل فقال امؤمن انت قال نعم ان شاء الله فقال لا يذبح نسيكتي من شك في ايمانه ثم مر به رجل فقال له امؤمن انت فقال نعم فذبح شاته جعل قوله انا مؤمن ان شاء الله شكا في الايمان وعن ابن مسعود رض انه يستثني في ايمانه وكذلك اصحابه فلقيهم صاحب معاذ بن جبل فناظرهم حتى انزل ابن مسعود واصحابه عن ذلك واستغفر ابن مسعود عن ذلك خطاء من نفسه وقال عبد الله بن المبارك من شك في ايمانه فليس بمؤمن يعني بالشك انه لا يدري انه مؤمن او ليس بمؤمن فاما اذا لم يشك هذا الشك ولكنه يستثني على معنى انه هل يبقى على الايمان في مستقبل الوقت ام لا وعلى ان قوله انا مؤمن حقا يقتضي ان يكون مستكملا للايمان بتوابعه كما يقال فلان عالم حقا فيقتضي استكمال العمل بما يوجبه العلم فلا يكون كفرا بل الاول من هذين الوجهين جائز والثاني خطاء وليس بكفر وانما كان خطاء لان توابع الايمان ليست من اصل الايمان ونفس الايمان يكون حاصلا بدون توابعه فلا يصح الاستثناء في الايمان الا يرى ان ابن مسعود رجع عن هذا الاستثناء واستغفر ولم يكن استغفاره الا لاجل انه كان مخطئا في الاستثناء لانه لم يكن شاكا في ايمانه اذ الشك فيه كفر معاذ الله منه وهذه الجملة من كتاب تبصرة الادلة والتلخيص وفيها زوايد من غيرهما وقال الامام في العالم المحارجي كان ابن مسعود رض يقول انا مؤمن ان شاء الله وتبعه جمع عظيم من الصحابة والتابعين وهو قول الشافعي وانكره ابو حنيفة رح واصحابه قالت الشافعية نحمل هذا على التبرك لا على الشك كما في قوله تع لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين وليس المراد الشك لانه على الله تع محال بل التبرك والتعليم وقالوا ايضا نحمل على الشك لكن لا في الحال بل في العاقبة لان الايمان المنتفع به هو الباقي عند الموت وكل احد يشك في ذلك فنسأل الله تع ابقاءه عليه في تلك الحالة وايضا لان الايمان عندنا مجموع القول والعمل والاعتقاد وكان حصول الشك في العمل يقتضي الشك في احد اجزاء هذه الماهية صح الشك في حصول الايمان واما عند ابي حنيفة رح فلما كان الايمان عبارة عن الاعتقاد المجرد لم يكن الشك في العمل موجبا وقوع الشك في الايمان فظهر انه ليس بين الامامين مخالفة في المعنى

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله الذي هو ملهم حقايق المحكمات ومظهر دقايق المشكلات ومبين اسرار المجملات
وحافظ القلوب المطهرات عن صدمة الخلل بالمتشابهات وصولة الزيغ بالتشبيهات باتباع
هوى النفس والمشتهيات واكمل التحيات وافضل الصلوات على اكمل الانبياء وافضل البلغاء
بالدرجات محمد المبعوث لدعوة الخلق الى اعلى المقامات وعلى آله واهله الطيبين والطيبات
هذا واعلم ايها الاخ المسترشد والطالب المستزيد ان علم الحديث والتفسير من اهم العلوم
واعظم المعلوم لان المطالب الدينية والاحكام النبوية مبينة فيه ومستنبطة منه لكن اكثر المتعلمين
في زماننا لا يهتمون بتحصيله اما لعدم اعتنائهم بامر الدين او لتسويلهم لتسويل الشياطين او لظنهم
بان امره سهل وعلم يتيسر بعد تحصيل علم الآلة بدون تحمل التعب في التعلم والقراءة فيشتغلون
في تحصيل الفنون الآلية ويتعمقون في تكميل العلوم العقلية وما يستشعرون ان ذلك فاسد لان تقدم
تعلم العلم الديني واجب بعد تحصيل علم الآلة بقدر الضرورة لاسيما يكون ذلك العلم من ضروريات الدينية
مع ان اكثر العلماء شرطوا التعلم والسماع في علم الحديث والتفسير بخلاف الفنون الآلية والعلوم العقلية
ومع ان دفع المعارضة الظاهرة من النصوص القرآنية والخبرية خطب معضل وامر مشكل ولذا تحير في دفع
الكل اجلة العلماء وائمة الفضلاء ولصعوبة الدفع والتوفيق تاسيسهم اختلاف المذاهب والآراء وهذا
العبد الفقير والخامل الحقير لما اشتغل بدرس كتاب المصابيح وخطر في نفسه الفاتر وقلبه القاصر عند ذكر
وجه دفع التعارض الظاهري في بعض الكلام النبوي المذكور فيه عند الدرس بالطريق الظاهر المقبول عند اهل
العقول التابع بالمنقول والمعقول التمس بعض المشتغلين من الاخوان والسامعين من الخلان
ان يبرز ذلك في فضاء التحرير والتوضيح على وجه التقرير والتصريح فاجاب وشرع في تسطيره وتحريره
وذكر في اثناء دفع التعارض والتاويل وخلال التوفيق والتفصيل قواعد قوية وضوابط شريفة مناسبة للمقام
ومستجدة للافهام حتى يندفع بها التعارض الظاهري من وجوه الكلام في مثل ذلك المقام ولا احتياج الى جواب
جزئي في كل سوال شخصي رجاء ممن يطلع فيه من الصلحاء المتعلمين والطلباء المتورعين ان يذكرني بخير الدعاء
في وقت الاجابة والصفاء حتى يكون ذلك سببا لوصول استغاثتي وغفرانه من ربه الكريم ورحمانه انه مجيب الدعوات
وغافر السيئات ورافع الدرجات ومانح البركات

باب الايمان

قال النبي عليه السلام عند سوال جبرئيل عم عن حقيقة الايمان الايمان ان تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر
وان تؤمن بالقدر خيره وشره وقال النبي عم عند سوال جبرئيل عم عن حقيقة الاسلام الاسلام ان تشهد
ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وتقيم الصلوة وتؤتي الزكوة وتصوم رمضان وتحج البيت ان استطعت
اليه سبيلا وقال النبي عم الايمان بضع وسبعون شعبة افضلها قول لا اله الا الله وادناها اماطة الاذى عن الطريق
والحياء شعبة من الايمان وقال النبي عم لا يؤمن احدكم حتى اكون احب اليه من والده وولده والناس
اجمعين وقال النبي عم امرت ان اقاتل الناس حتى يشهدوا ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله

ويقيموا الصلوة ويؤتوا الزكوة واذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم واموالهم الا بحق الاسلام وحسابهم
على الله وقال النبي عم من صلى صلوتنا واستقبل قبلتنا واكل ذبيحتنا فذلك المسلم الذي له ذمة
الله وذمة رسوله وعن سفيان بن عبد الله الثقفي قال قلت يا رسول الله قل لي في الاسلام قولا لا اسأل
عنه غيرك قال قل امنت بالله ثم استقم وقال النبي عم المسلم من سلم المسلمون من يده ولسانه والمؤمن
من آمنه الناس على دماءهم واموالهم وقال النبي عم لا ايمان لمن لا امانة له وقال عم ما من احد يشهد
ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله صدقا من قلبه الا حرمه الله على النار وقال النبي عم ما من عبد
قال لا اله الا الله ثم مات على ذلك الا دخل الجنة وقال ابو ذر قلت وان زنى وان سرق ثلث مرات
وقال النبي عم في جوابه ثلث مرات ايضا وان زنى وان سرق وقال في الثالثة على رغم انف ابو ذر وقال عم
من شهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله وان عيسى عبد الله وابن امته وكلمته
القاها الى مريم وروح منه وان الجنة حق والنار حق ادخله الجنة على ما كان من العمل واعلم ان الاحاديث
المذكورة في بيان الايمان والاسلام متخالفة وفي الظاهر متدافعة لان الحديث الذي في جواب جبريل عليه السلام
يدل على ان الايمان يكون عبارة عن الاعتقاد والاقرار بالامور الستة فقط اذ لا يجوز ان يقال ترك النبي عم
بعض اجزاء الايمان في بيانه عند جواب جبريل وقوله عم امرت ان اقاتل الناس حتى يشهدوا ان لا اله
الا الله وان محمدا رسول الله ويقيموا الصلوة ويؤتوا الزكوة واذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم واموالهم
الا بحق الاسلام وحسابهم على الله يدل على ان الاعتقاد والاقرار بوحدانية الله وصدق رسوله
يكفي في الاسلام وعلى ان الصلوة والزكوة من اجزاء الايمان وقوله عم ما من احد يشهد ان لا اله الا الله
وان محمدا رسول الله صدقا من قلبه الا حرمه الله على النار يدل على ان الاعتقاد والاقرار بوحدانية الله
وصدق رسوله يكفي في الايمان وقوله عم ما من عبد قال لا اله الا الله ومات على ذلك الا دخل الجنة
يدل على ان التوحيد يكفي في الايمان ولا يحتاج الى تصديق الرسول وقوله لا يؤمن احدكم حتى اكون احب
اليه من والده وولده والناس اجمعين وقوله لا ايمان لمن لا امانة له يدل على ان الايمان لا يصح بدون كمال
محبة الرسول وغلبته على ساير المحبوبات وبدون الامانة والاحتراز عن الخيانة وقوله عم الايمان بضع وسبعون
شعبة يدل على ان اجزاء الايمان اكثر من سبعين شعبة وقال النبي عم في جواب جبريل عند سواله عن الاسلام
الاسلام ان تشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وتقيم الصلوة وتؤتي الزكوة وتصوم رمضان
وتحج البيت وقال ايضا المسلم من سلم المسلمون من يده ولسانه وقال ايضا من صلى صلوتنا واستقبل قبلتنا
واكل ذبيحتنا فذلك المسلم الذي له ذمة الله وذمة رسوله وقال لعبد الله الثقفي في بيان الاسلام قل امنت
بالله ثم استقم فالحديث الذي في جواب جبريل عم يدل على ان يكون الاسلام عبارة عن الشهادتين واقام
الصلوة وايتاء الزكوة وصيام رمضان وحج البيت والاحاديث الباقية تدل على ان تكون اكل ذبيحتنا وسلامة
المسلمين من يد المسلم ولسانه واستقامته من اركان الاسلام وتدل ايضا على ان ما ذكر في كل واحد
يكفي في الاسلام فلا بد في ذلك من التوفيق ودفع التعارض الظاهري فقلنا ان نعول في دفع التدافع الظاهر

ان الحديث المذكور في بيان الايمان في جواب جبرئيل ع م اقوى بحسب الدلالة والرواية والاحاديث الباقية ادنى منه
دلالة ورواية فلا يعارضه فيكون المراد منها بيان فروع الايمان وكماله او ثمراته وشعبه والاقتصار على بعض الشعب
والمكملات في بعض الاحاديث لاقتضاء المقام ذلك وستعرف فيه تفاصيل الكلام وكذا التاويل في الاحاديث
المختلفة في بيان الاسلام واعلم ان هذا القدر من البيان والتوفيق والترجيح والتحقيق لا يكفي هنا لان باب الايمان
والاسلام اصل اعظم واهم وان الاحاديث المختلفة الواردة فيه على ما ثبت في الكتب المعتبرة كثيرة وفي الظاهر
متدافعة ولذا اختلف اهل الاسلام في حقيقة الايمان والاسلام فنشاء منه اختلاف المذاهب والاراء وفرق اهل الضلال
والاهواء وقد الف الامام محمد الشهرستاني في بيان فرق اهل الكفر وارباب الاهواء كتابا فمن اراد معرفة تفاصيلها
فليطالع فيه وقد اخذ صاحب المواقف منه خلاصة فرق اهل الاهواء الذين انتحلوا الى الايمان ومن اراد معرفة ذلك
فليطالع فيه وقال اكثر اهل الحديث اصول فرق اهل الاهواء ستة القدرية والجبرية والرافضة والخارجية والمعطلة
والمشبهة ثم تفرقت كل فرقة منهم الى اثني عشر فرقة فصاروا اثنين وسبعين فرقة واعلم ان مشاهير ممن ظن انهم
هم من اهل الحديث واختلفوا في ذات حقيقة الايمان المعتزلة والمرجئة والخارجية فلنا ان نبين خطاء رأيهم وعلمهم
بظواهر بعض الاحاديث مع عدم قدرتهم على الجمع والتوفيق وان نبين المذهب الحق فيه حتى يخرج السامع بذلك القدر
عن ذلة التقليد بما سمع من ابيه او امام مذهبه ويعرف المذهب الحق المثبت بالادلة القوية ويعتقد عليه ويتدين به
لكن لا بد لنا قبل الشروع في بيان المذهب الحق وتزييف غيره من بيان ضابطة نافعة في المقصد فاعلم ان ظاهر بعض النصوص
الشرعية الواردة في الامور الاعتقادية او العملية او الخلقية تدفع بعضها بحسب التعارض الظاهر كما سمعت بعضه فيما سلف
وقد يخالف ظاهر بعضها الاصل الاصولي المثبت في اصول الدين فلا بد في التفصي عنهما من بيان قاعدتين حتى يعرف المستدل
بهما طرائق التوفيق او الترجيح في الاول وشرائط التاويل والتوضيح في الثاني ولا يحتاج الى سماع توفيق جزئي وتاويل شخصي
في كل موضع من مواضع التدافع وموانع التعارض لان ذلك يشوش الحال ويكدر البال فاعلم في بيان القاعدة الاولى
ان شرط التعارض ان يكون النصان متساويين في الذات والصفات وان يقتضي احدهما بالذات ما يضاد مقتضى
الآخر وذلك بان يكون محل حكميهما وزمانيهما وجهتيهما واحدا فمعنى التساوي في الذات ان يكون النصان متساويين في الثبوت
بان يكونا متواترين او مشهورين او من الاحاد ومعنى التساوي في الصفات ان يكون دلالتهما متساوية في القطعية
والظنية وتساويهما في الدلالة القطعية بان يكون النصان الدالان على الحكمين المتضادين مفسرين او محكمين او ظاهرين او نصين
ويكون دلالتهما ايضا بالعبارة او الاشارة او الدلالة او الاقتضاء وتساويهما في الدلالة الظنية ان يكون النصان مأولين
او عامين خص منهما البعض او خبرين من الاحاد ويكون دلالتهما ايضا بالعبارة او الاشارة او الدلالة او الاقتضاء
وقد يستعمل التعارض في النصين المتخالفين وان لم يكن ذاتهما وجهة دلالتهما متحدتين لكن المحقق انهما ليسا متعارضين
لما عرفت ان شرط التعارض التساوي فيهما واذا عرفت هذا القدر من التفصيل فاعلم ايضا ان لا تعارض في كلام الله
ولا في كلام رسوله حقيقة لان ذلك يقع من الجهل تعالى الله عنه وحفظ رسوله منه فان قلت رسوله انسان غير معصوم
عن السهو والنسيان فلم لا يجوز ان يكون التعارض في النصوص الشرعية فندفعه اولا بالتوفيق والعمل بالنصين ببيان
اختلاف جهتي النفي والاثبات كما سيجيء تفصيله ببيان امثلته واذا لم يتيسر التوفيق والجمع ندفعه باعتبار اختلاف الزمان

بان يكون

بان يكون المتاخر مبيّنا انتهاء مدة حكم المتقدم وان لم نعلم التاريخ ندفعه ايضا بالترجيح باعتبار الوصف لما عرفت من ان النص ترجح على المحكم ترجح على المفسر والمفسر على النص والنص على الظاهر وترجح الحقيقة على المجاز والصريح على الكناية والعبارة على الاشارة والاشارة على الدلالة والدلالة على الاقتضاء وترجح ايضا ما دل على الحرمة على ما يدل على الاباحة اذا تساويا في الذات جهة الدلالة والترجيح بتلك الطرق يتصور في الكتاب والحديث وقد يختص بالحديث ترجيح باعتبار اخر كترجيح الخبر المتواتر على المشهور والمشهور على خبر الواحد وترجيح ما كان راويه فقيها على غيره وترجيح ما كان راويه معروفا على ما كان مجهولا وترجيح المسموع من فم رسول الله على غيره وترجيح ما يوافق القياس على ما يخالفه واذا لم يتيسر التوفيق والترجيح بوجه من الوجوه توقف فيه واذا عرفت هذا المقدار من التحرير والتفصيل في بيان القاعدة الاولى فاعلم ايضا في بيان القاعدة الثانية ان حقيقة الكلام وظاهره يترك كثيرا ويصار الى المعنى المجازي بقرينة مانعة عن ارادة المعنى الحقيقي والقرينة اما عقلية او حسية او عادة او شرعية او نقلية وامثالها كثيرة وعلاقات المجاز المرسل والاستعارة غزيرة وايراد تفاصيلها لا يليق بهذا الموضع لكن نورد لكل واحدة من تلك القرائن مثالا واحدا حتى يعتبر الباقية فمثال ما يترك ظاهره بالقرينة العقلية قوله عم الاعمال بالنيات لان عقلك يدل على ان الاعمال توجد بدون النية فيكون المراد حكمها ومثال ما يترك حقيقته باعتبار الحس قوله تع واوتيت من كل شيء لانك تبصر ان بلقيس ما يعطى كل شيء من الدنيا فالمراد لازمه وهو بيان كثرة ما اعطيت من امور الدنيا ومثال ما يترك ظاهره بقرينة عرفية وعادية قوله والله لا اكل راسا لانك تعرف ان راس السمك والذباب وما لا يباع في السوق مطبوخا في ذلك الموضع لا يراد منه في عرف اليمين فيكون المراد ما يباع في السوق عادة من الرؤس ومثال ما يترك حقيقته بقرينة شرعية قوله وكلتك بالخصومة مع فلان لانك تعرف ان الخصومة مهجورة في عرف الشريعة والمسلم العاقل لا يوكل لها احدا فيكون المراد سببها وهو اثبات المدعي بها وجواب الخصم ومثال ما يترك ظاهره بقرينة نقلية قوله عم من ترك الصلوة متعمدا فقد كفر وقوله تع ومن قتل مومنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها فان النصوص القاطعة الراجحة دلت على ان المؤمن لا يكون كافرا ولا مخلدا في جهنم بفعل الكبيرة كقوله تع وان طايفتان من المومنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما والامر بالاصلاح بعد القتل يدل على انهم لم يخرجوا عن الايمان بالكبيرة وقوله عم لا يكفر المؤمن بذنب ولا يخرج عن الاسلام بعمل وامثاله وهذا الخبر مشهور مرجح على حديث من ترك الصلوة فان قلت فما وجه رجحان الاية الثانية على الاولى قلنا الاية الاولى مخصوصة بخروج القاتل عمدا على وجه القصاص والعادل الباغي بخلاف الاية الثانية اذ الاصلاح بين كل طايفتين متقاتلتين واجب بالامر والعام المخصوص دليل ظني يعارضه الخبر الواحد فترجح عليه الاية الثانية القاطعة فيكون المراد من تارك الصلوة وقاتل المومن المستحل بالترك والقتل والمراد من الكفر ستر نعمة الايمان وفعل الكفار ومن الخلود طول المكث وما قاله الاصوليون في كتبهم من ان جملة ما يترك به الحقيقة خمسة انواع مندرج جميع امثلتها في الضابطة المذكورة واذا عرفت هذا القدر في بيان القاعدتين ثبت بهما ما هو المذهب الحق في باب الايمان والاسلام وتبين بهما خلل ساير المذاهب المخالفة منقول قال كبار المرجئة لا يضر المعصية مع الايمان كما لا ينفع الطاعة

مع الكفر استدلالا بظواهر الاحاديث كقوله عم من قال لا اله الا الله دخل الجنة وقوله عم ما من احد يشهد ان لا اله الا الله
وان محمدا رسول الله صدقا من قلبه الا حرمه الله على النار وقوله عم ما من عبد شهد ان لا اله الا الله وان محمدا
رسول الله الا حرمه الله على النار على ما كان من عمل وقوله عم لا يلق الله عبد بالشهادتين غير شاك فيهما الا
دخل الجنة وان زنى وان سرق وقوله عم حرم على النار من قال لا اله الا الله وقد اورد مسلم بن الحجاج القشيري
في كتابه مثل هذه الاحاديث كقوله قال معاذ قال النبي عم من كان اخر كلامه لا اله الا الله دخل الجنة وعنه انه
قال قال عم من لقي الله لا يشرك به شيأ دخل الجنة وروي ذلك عن عبادة بن الصامت وعتبان بن مالك
وفي حديث عبادة على ما كان من عمل وروي انس انه عم قال حرم على النار من قال لا اله الا الله يبتغي بذلك
وجه الله واجاب العلماء عن ذلك روي عن ابن المسيب انه قال كان مثل هذه الاحاديث قبل نزول
الفرايض والامر والنهي وقال الحسن البصري معناه من قال ذلك وادى حقه وقيل ذلك في حق من قاله
عند الندم والتوبة ومات على ذلك وروي عن البخاري انه قال معناه يكون مآله الجنة والمراد بتحريم النار تحريم
الخلود وذكر الشيخ ابو عمرو بن الصلاح في جوابه يجوز ان يكون مثل تلك الاحاديث اقتصارا من بعض الرواة
من بعضين في الحفظ والضبط بدليل مجيئه تاما في رواية غيره ويجوز ان يكون اختصارا من رسول الله فيما خاطب
به الكفار عبدة الاصنام والثنوية لانهم اذا قالوا لا اله الا الله حكم باسلامهم وقال بعض اصحاب الحديث
اذا قالوا ذلك يجبرون على قبول ساير الاحكام ويجعل حكمهم حكم المرتدين واستدل البعض بظاهر بعض الاحاديث
المذكورة على ان الايمان معرفة وحدانية الله تع ولا يحتاج فيه الى تصديق الرسول وغيره وما وجدت من الاجوبة
في الكتب التي عندي بعد ما نقلته والانسب على ما ظننته صوابا ان يقال تاويلا وجوابا في توجيه كون مجرد الشهادتين
سببا لدخول الجنة وتحريم النار ان الشهادتين من شانهما ان يكونا سببين لدخول الجنة وتحريم النار ان لم يمنع كما في
من ترك بعض العبادات المفروضة وارتكاب بعض المعاصي المحرمة لان النبي عم كما بين ان شان الشهادتين ذلك بين
ان ترك الفرايض وارتكاب المعاصي يودي الى دخول النار ولكن هذا التاويل راسخا في قلبك حاضرا في حفظك حتى
يخلصك في كثير من المواضع عن حيرة التردد ويجعل رايك فيه في مقام التثبت والتسدد حين تفرغ من صماخ قلبك في لوح
الوعد بدخول الجنة على واحد من العبادات السهلة والوعيد بدخول النار على سهل من السيآت الكثيرة
وفي كون مجرد لا اله الا الله بدون محمد رسول الله سببا لدخول الجنة ان قول لا اله الا الله علم للشهادتين اومن باب
اطلاق الجزء وارادة الكل كما يقال قرأت الحمد لله ويراد قراءة سورة الفاتحة بتمامها او لفظة الله علم يدل على ذاته
بجميع صفاته فمن جملتها بعثة الرسل وانزال الكتب وارسال الملائكة واقامة القيمة والتقدير على ما كان ويكون
من الخير والشر فيكون معنى لا اله الا الله الاقرار بوحدانية الله وبجميع صفاته بجملة وقد جاء مثله ذلك في باب
الشفاعة حيث قال النبي عم اسعد الناس بشفاعتي من قال لا اله الا الله خالصا من قلبه وحكى ايضا عن الله تعالى انه
قال لاخرجن منها من قال لا اله الا الله ويشبه ان يكون قوله عم في جواب سفيان بن عبد الله الثقفي عند
سواله عن الاسلام قل امنت بالله ثم استقم وقوله عم في اشتراط الساعة لا تقوم الساعة على احد يقول الله
من ذلك القبيل وقرينة التاويل هنا ايضا النصوص القاطعة والاجماع الدالة على ان مجرد قول لا اله الا الله

وبحج قول الله لا يكفي في الايمان والخلاص عن الخلود في النار فلا بد فيه ايضا من الجمع والتوفيق والتاويل والتحقيق
بما عرفت في القاعدتين وسينقش في صحيفة ذهنك ولوح فهمك ما يؤكد ذلك من زيادة التنوير والتحقيق
في اثبات المذهب الحق بالبرهان والتدقيق ان شاء الله تعالى بفضله التسديد والتوفيق وقال جمهور الخوارج
بكفر المؤمن بارتكاب الكبيرة وقال جمهور المعتزلة المومن يخرج من الايمان بفعل الكبيرة ولا يدخل في الكفر
لعدم جحوده بل يكون فاسقا ويخلد في النار من مات بدون التوبة عن الكبيرة واستدل الخوارج بظواهر
بعض النصوص الشرعية كقوله عم من ترك الصلوة متعمدا فقد كفر وقوله عم ومن مات ولم يحج فليمت ان شاء
يهوديا او نصرانيا وقوله عم بين العبد والكفر ترك الصلوة واستدل المعتزلة بقوله عم لا يسرق سارق وهو
مومن ولا يزني زان وهو مؤمن وادلتهم من الايات ايضا كثيرة كقوله تع ومن يعص الله ورسوله ويتعد
حدوده يدخله نارا خالدا فيها وقوله تع الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم اولئك لهم الامن وهم مهتدون
وقوله تع واما الذين فسقوا فماويهم النار كلما ارادوا ان يخرجوا منها اعيدوا فيها وقوله تع ومن يقتل مؤمنا
متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها فنقول في جوابهم ايضا ان النصوص القطعية الراجحة في الدلالة على ان المؤمن
لا يخرج عن ايمانه بارتكاب الكبيرة كثيرة لما ذكرنا وسنذكر ايضا بعضها ان شاء الله تع في اثبات المذهب الحق
فلا بد لنا من تاويل هذه النصوص المرجوحة الدالة على خلافها لما عرفت ان النصوص الشرعية لا يتصور
التعارض فيها حقيقة فنذهب اولا الى الجمع والتوفيق واذا لم يتيسر ذلك نذهب الى غيره فالنصوص القطعية
الدالة على ان المؤمن لا يخرج عن ايمانه بفعل الكبيرة قرينة دالة على ان المراد من النصوص التي استدل بها
الخوارج والمعتزلة على اثبات مدعاهم غير ظواهرها فنقول المراد من العصيان والتعدي في قوله تع ومن
يعص الله ورسوله العصيان والمخالفة من كل وجه بان لا يؤمن ولا يعمل بمقتضى الايمان لما عرفت ان المراد
من المطلق الكامل اذا لم يوجد قرينة التقييد والمراد من الامن في الاهتداء ايضا كمالهما وذلك مشروط
بعدم خلط الظلم والمعاصي او المراد من الظلم اعظمه وهو الكفر وكذا من الفسق مع ان قوله تع واما الذين
فسقوا في مقابلة قوله تع واما الذين امنوا يدل على ان المراد من الذين فسقوا غير المؤمنين ويؤيد ذلك
قوله تع كلما ارادوا ان يخرجوا منها اعيدوا فيها الآية والمراد من قوله تع ومن يقتل مؤمنا استحلال
القتل او قتل المؤمن لايمانه فيكون القاتل كافرا او المراد من الخلود طول المكث والمراد من ترك الصلوة
تركها مستحلا او مستخفا فيكون كافرا حقيقة بالاتفاق او المراد من الكفر ستر نعمة الايمان بترك شكرها باقامة
الصلوة ومحافظتها او اطلق الكفر على ترك العمل بمقتضى الايمان او التشبيه بالكفرة بترك الصلوة او المراد
من الكفر لازمه وهو شدة العذاب او الزجر عن ترك الصلوة بابلغ الوجوه وكذا تاويل قوله عم بين العبد
والكفر ترك الصلوة والمراد من قوله عم لا يسرق سارق ولا يزني زان وهو مؤمن بيان ان مقتضى
الايمان ان لا يسرق المومن ولا يزني او نفي من باب نفي الشيء وتنزيل وجوده بمنزلة عدمه لانعدام كماله
او مقتضاه والمراد من قوله فليمت ان شاء يهوديا او نصرانيا تشبيه تارك الحج باليهودي والنصراني او المراد
من التارك المستحل بالترك او الزجر عنه بابلغ الوجوه ولنا ايضا ان نقول ظواهر النصوص الشرعية التي

استدل بها المرجئة على عدم مضرة المعصية مع الايمان كالاحاديث المذكورة وكقوله تع واتقوا النار التي
اعدت للكافرين وكقوله تع لا يصليها الا الاشقى الذي كذب وتولى وقوله تع انا قد اوحي الينا ان العذاب
على من كذب وتولى يدفع ظواهر ما استدل به الخارجية والمعتزلة فلا يعمل باحدهما وقال جمهور المفسرين
والمحدثين الايمان عبارة عن الاعتقاد بما يجب اعتقاده وعن الاقرار به والعمل بالفرائض والاجتناب
عن الكبائر واستدلوا على ذلك بالايات والاحاديث الكثيرة كقوله تع قد افلح المؤمنون الذينهم في صلوتهم
خاشعون والذينهم عن اللغو معرضون والذينهم للزكوة فاعلون والذينهم لفروجهم حافظون والذينهم
لاماناتهم وعهدهم راعون والذينهم على صلواتهم يحافظون اولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس
هم فيها خالدون وقوله تعالى انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم اياته زادتهم
ايمانا وعلى ربهم يتوكلون الذين يقيمون الصلوة ومما رزقناهم ينفقون اولئك هم المؤمنون حقا وقوله عليه السلام
في تفسير الايمان في حديث وفد عبد القيس بالشهادتين والصلوة والزكوة وصوم رمضان واعطاء الخمس
من المغنم وقوله عم الايمان بضع وسبعون شعبة وقوله عم والله لا يومن احدكم حتى يحب لاخيه ما يحب
لنفسه وقوله عم والله لا يؤمن والله لا يومن والله لا يومن قيل من يا رسول الله قال الذي لا يامن
جاره بوايقه وقوله عم لا ايمان لمن لا امانة له وقوله عم لا يجتمع الشح مع الايمان في قلب مومن ابدا وقوله عم
لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من الكبر وامثال هذه كثيرة ولنا ان نقول في جوابهم لما دل النصوص
التي هي اقوى مما ذكرتم على ان فعل الاعمال المفروضة وترك الكباير ليسا جزئين من الايمان وجب علينا ان نوفق
ونجمع بين النصوص الشرعية ونؤول قوله تع قد افلح المومنون الى اخر الاية بانه يحتمل ان يكون المراد من الفلاح
الدخول في الجنة من اول الامر وان يكون المراد من المومنين في قوله تع اولئك هم المؤمنون حقا الكاملون او المراد
بيان اهل الفردوس من المومنين ولا يلزم منه ان لا يدخل غيرهم الجنة لما عرفت ان الفردوس اعلاها مع ان
جميع الفرايض غير مذكورة في النصين المذكورين من القران وانهما ساكتان ايضا عن ترك الكباير فلا يثبت بهما
مذهبهم بل يختل وليس اقامة الصلوة وما بعدها من اجزاء الايمان في حديث الوفد لان تفسير الايمان الشهادتان
فقط وما بعدهما هي المامورات الاربعة التي امرهم النبي عم بعملها ولو سلم قلنا المراد منها بيان شعب الايمان
وثمراته او مكملاته او مقتضياته وكذا التاويل في قوله عم الايمان بضع وسبعون شعبة مع ان اماطة الاذى
من الطريق ليس من اجزاء الايمان بالاتفاق ومع ان بعض اهل السنة طعن في رواة هذا الحديث اذ قال
في بعض رواية الايمان بضع وستون فقالوا هذا دليل عقليه والمراد من قوله لا يومن احدكم والله
لا يومن لا يعمل بمقتضى الايمان او نفي الايمان وتنزيله بمنزلة العدم لانعدام كماله او مقتضاه او المراد من قوله
لا يومن لا يأمن مثل الزجر عن ترك العمل بموجب الايمان او العذاب الشديد وكذا التاويل في قوله لا ايمان
لمن لا امانة له والمراد من قوله لا يجتمع الشح مع الايمان النفي وارد في صورة الخبر للمبالغة كقوله تع فلا رفث
ولا فسوق ولا جدال في الحج او المراد بيان المنافرة بين الشح والايمان وان مقتضى الايمان ان يمنع او المراد
بيان ان المومن الكامل من لا يكون في قلبه الشح والبخل او نزل الايمان مع الشح بمنزلة المعدوم لنكتة التي ذكرنا

عليها والمراد من قوله لا يدخل الجنة ان شان الكبر ذلك ان لم يمنع مانع اولا يدخل ما دام بتغير الكبر ذمته واذا عرفت

هذا القدر من التاويل نورد المذاهب الباطلة المذكورة فاعلم ان حقيقة الايمان في الشريعة عبارة عن التصديق

بوحدانية الله تع وبجميع صفاته بجمله و برسالة محمد عم وتصديق على ما جاء به على سبيل الجزم واليقين

من غير تردد وتخمين مع الاقرار بذلك في حالة الاختيار وهو المذهب الصحيح المروي عن ابي حنيفة رح

ويدل على ذلك مقابلة الايمان بالكفر في مواضع كثيرة والمراد من الكفر التكذيب بالاتفاق فيكون المراد

من الايمان في مقابلته التصديق بما قلنا ويدل عليه ايضا قول الكفار عند الاضطرار منا كما قال فرعون

عند قرب الغرق امنت انه لا اله الا الذي امنت به بنوا اسرائيل وقال قوم يونس امنا بالله وحده

والخصم مقر بان المراد من الايمان في ذلك الموضع التصديق العاري عن العمل ويدل على ذلك ايضا

عطف الاعمال على الايمان في مواضع كثيرة من القرآن كقوله تع الذين امنوا وعملوا الصالحات واضافة

الايمان الى القلب كثير من الايات كقوله تع كتب في قلوبهم الايمان وقوله تع ولم تؤمن قلوبهم ويدل على ذلك

ايضا قوله تع يا ايها الذين آمنوا اقيموا الصلوة وآتوا الزكوة لان الامر بالفرائض بعد النداء بامنوا

يدل على انها ليست اجزاء الايمان ويدل عليه ايضا قوله تع فمن يعمل من الصالحات من ذكر او انثى وهو

مؤمن لان كل الشيء لا يكون قيد الجزئه ويدل على ذلك قوله عم في جواب جبرائيل عند سواله عن حقيقة

الايمان الايمان ان تؤمن بالله الحديث وقد عرفت وجه الدلالة فيه ويدل على ان ترك الكباير ليس

جزء من الايمان قوله تع وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما الآية لان الامر بالاصلاح

بينهما بعد المقاتلة والبغي دال على ان ايمانهم لم يزل بالقتل والبغي والمعاصي وقوله تع يا ايها الذين امنوا

كتب عليكم القصاص في القتلى وقوله عليكم يدل على انهم لا يخرجون عن الايمان بالقتل واذا الطم هذا القدر

من الترجيح وجنس حجاك لتحدي بك ان تتنبه وتتفكر آخذا بيدي عقلك عروتي القاعدتين فتطلع على ان

ادلة المذهب المنصور اقوى فتتدين بذلك الاعتقاد الاسنى والمذهب الاقوى والاتقول بك

حكم رسول الله بصحة ايمان من تكلم بكلمة الشهادة قبل العمل بالفرائض وحكم بها ايضا الصحابة والتابعون

ومن بعدهم من العلماء الى هذا الآن ولم ينكر عليه احد من علماء الزمان فذلك حجة قاطعة لا يسوغ انكارها

في هذا الآن ومن تفاريع ذلك ان الايمان هل يزيد وينقص والايمان والاسلام واحد ام لا

وايمان المقلد صحيح ام لا وبيان الحق في تلك التفاريع ايضا لا يخلو عن الفائدة فنقول اذا عرفت ان الايمان

عبارة عما ذهب اليه ابو حنيفة رح من التصديق والاقرار وذلك لا يزيد ولا ينقص بحسب الاجزاء والذات

لكن قد يقوى ويرسخ باعتبار تعاضد الادلة اليقينية التفصيلية او الكشف والاسرار الذوقية الباطنية ويكمل

ويحكم ايضا باعتبار المواظبة على العبادات والمجانبة عن السيئات اذ يعرف كل احد ان ايمان الانبياء

والملائكة وتصديقهم وجزمهم ليس كتصديق العوام واعتقادهم في القوة والثبات لان ايمانهم لا يقبل

التغير والتردد بتشكيك المشكك ولا بتعاقب المصايب والمعايب بخلاف ايمان العوام المقلدين

فالآيات الدالة على زيادة الايمان كقوله تع واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا وقوله تع فاما الذين

امنوا فزادتهم ايمانا وقوله تع وما زادهم الا ايمانا وتسليما وقوله تع ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم ماولة
بذلك الاعتبار وقد روي عن ابي حنيفة رح ان من امن بكل آية نزل واعتقد عليه زاد ايمانه باعتبار متعلق
وقيل الثبات في الايمان زيادة عليه اذ يوجد في كل ساعة مثل ما تقدم وقيل يزداد نور الايمان
بالاعمال الصالحة وينقص بارتكاب المعاصي وقد عرفت ان حقيقة الايمان التصديق الجازم فلا يزيد ذلك
ولا ينقص اذا لم يكن الاعمال جزءا من الايمان نعم قد يكون التصديق الجازم بجهة التقليد وقد يكون بجهة الاستدلال
او جهة الكشف او جهة المواظبة على الطاعة بالاخلاص لكن اختلاف الجهة لا يؤدي الى الاختلاف في ذات التصديق
وماهيته الحاصل ان حقيقة الايمان التصديق بوحدانية الله تع وصدق رسوله مع الاقرار بهما حالة
الاختيار وذا لا يزيد ولا ينقص لان من ترك احد الامرين او تردد فيه يكون كافرا لكن جزم المقلدين
يكون بالتقليد وجزم المستدلين بالادلة وجزم المرتاضين بالكشف فيكون التفاوت باعتبار الوصف
لان جزم المستدل اقوى من جزم المقلد وجزم المكاشف اقوى من جزم المستدل ولا يلزم من ذلك التفاوت
الزيادة والنقصان في حقيقة الايمان وذاتياته فاحفظ هذا التحقيق والتدقيق فان هذه المسئلة مع ظهور الحق
فيها من معارك الاراء قال الامام الرازي في تفسيره الكبير عند تاويل قوله تع واذا تليت عليهم اياته زادتهم
ايمانا قال الواحدي يزيد الايمان بتنوع الدلائل وكثرتها وعليه اكثر العلماء لكن هذا غير صحيح لان الدليل الذي
يفيد العلم يجب ان يكون مقدماته قطعية فلا يختلف الاعتقاد الحاصل به والمراد من زيادة الايمان زيادة
باعتبار الاخطار فان بعض المؤمنين لا يخطر تصديقه الا مرة واحدة وبعضهم يواظب عليه وبينهما مراتب
كثيرة او المراد زيادته باعتبار نزول الايات في زمن النبي عم ويجوز ان يختلف باعتبار الاطلاع على حكمة
تخليق الله واذا تاملت فيه عرفت انه غير صحيح لان حصول قوة اليقين بتعاضد الادلة وقوة الكشف
وجداني لا يجوز انكاره فان من لم يقو قلبه بالادلة والكشف يمكن تردده باعتبار تزاحم اعتراض اهل
الاهواء في كيفية ذات الله تع وصفاته بخلاف من اطمئن قلبه بالوصول الى اعلى مراتب الاستدلال والكشف
بواسطة حصول كمال تخلية القلب وتجليته وتحليته وما ذكره الامام الرازي من الوجهين الاولين عين ما ذكره
ابو حنيفة رح للتنكير عرفت انه تاويل قد يكون غير التحقيق وهو يقول ايضا الايمان والاسلام واحد عند الحنيفة
خلافا لبعض الشافعية والحشوية واستدل الخصم بجواب النبي عم عند سوال جبريل عم عن الايمان والاسلام
بان الاسلام ان تشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وتقيم الصلوة وتؤتي الزكوة وتصوم رمضان
وتحج البيت ان استطعت اليه سبيلا وبانه عم لم يذكر الاعمال المذكورة في بيان الايمان عند سوال جبريل عليه السلام
وبقوله تع قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا وبالاحاديث الدالة على ان الاعمال اجزاء
الاسلام قلنا لنا دليل اقوى من ذلك يدل على ان الايمان والاسلام واحد كقوله تع ومن يبتغ غير الاسلام
دينا فلن يقبل منه وقوله تع ان الدين عند الله الاسلام فالآيتان يدلان على ان لا يجوز ان يكون
الايمان غير الاسلام فان قلت يفهم منهما ان لا يكون الايمان غير الاسلام من جهة الانقياد الذاتي
ـنـ ان لا يكون غيره في الحقيقة قلنا الدين والايمان واحد كما قال النبي عم بعد بيان الايمان عند سوال

جبرائيل عنه هذا جبرئيل اتاكم ليعلمكم دينكم وكقوله تع يا قوم ان كنتم امنتم بالله فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين
وقوله ان تسمع الا من يؤمن باياتنا فهم مسلمون وقوله تع قل لا تمنوا علي اسلامكم بل الله يمن عليكم ان
هديكم للايمان وقوله تع فمنكم كافر ومنكم مؤمن ولو كان المسلم قسما اخر لقيل ومنكم مسلم وفهم
منه ايضا ان الفاسق ليس واسطة بين المومن والكافر وقوله عم لا يدخل الجنة الا نفس مؤمنة وقوله
في حديث اخر لا يدخل الجنة الا نفس مسلمة فيتاول دليل الخصم بتلك الدلايل القوية الراجحة المبينة ان
المراد منه غير ظاهره بان نقول المراد من الاسلام في قوله تع اسلمنا الانقياد ببعض الاعضاء كالمنافقين
الذين اسلموا وانقادوا بلسانهم لحفظ دمائهم واموالهم ولم تسلموا بقلوبهم لا الاسلام الشرعي وبان
المراد من الاسلام في حديث جبرئيل عم شعبته وثمراته مع انه ذكر في بعض الروايات ان جبرئيل عم
سال في المرة الثانية عن شعب الاسلام وشرايعه وقال النبي عم في جوابه ان تقيم الصلوة وتوتي
الزكوة وتصوم رمضان وتحج البيت وروي عن ابي حنيفة عن علقمة بن مرثد عن ابن عمر انه قال سئل
النبي عم عن شرايع الاسلام فعلى هذا احتمل ان يقال يجوز ان لا يسمع الراوي لفظ الشرايع او حذف
لان حذف المضاف شايع في السنة البلغاء عند ظهور القرينة واذا عرفت ذلك فاعلم ايضا ان بعض
المتقدمين من كبار الشافعيين يقولون الايمان اخص من الاسلام وان الاعمال جزء من الايمان
والاسلام فلا باس لنا في ان ننقل مذاهب بعضهم من اهل الحديث قال الشيخ الامام ابو عمرو بن
الصلاح في شرح البخاري الحديثان في جواب جبرئيل عم لبيان اصل الايمان وهو التصديق الباطن
ولاصل الاسلام وهو الانقياد بالظاهر لان حكم الاسلام في الظاهر يثبت بالشهادتين والفرايض
الاربع اظهر شعاير الاسلام وبها يتم استسلام المكلف وتركها يشعر بالانحلال قيد انقياده او اختلاله واسم
الايمان يتناول ما فسر به الاسلام وساير الطاعات لكونها ثمرات للتصديق الباطن الذي هو اصل الايمان
ومقوياته ومتمماته وحافظات له ولهذا فسر النبي عم الايمان في وفد عبد القيس بالشهادتين والصلوة
والزكوة وصوم رمضان واعطاء الخمس من المغنم ولهذا لا يطلق اسم المؤمن المطلق على من ارتكب الكبيرة
او ترك الفريضة لان اسم الشيء مطلقا يطلق على الكامل وقال ايضا بما ذكرنا ان الايمان والاسلام يجتمعان
ويفترقان فهذا تحقيق وفاق بين متفرقات نصوص الكتاب والسنة الواردة في باب الايمان والاسلام
التي غلط فيها الخايضون وقال الخطابي تكلم في هذا الباب رجلان من اكابر اهل العلم وذهب
كل واحد الى قول وصنف فيه كتابا يبلغ عدده الى مئتين والصحيح ان يقيد الكلام في هذا ويقال ان
المسلم قد يكون مومنا في بعض الاحوال والمومن مسلم في جميع الاحوال فكل مؤمن مسلم وكل مسلم مومنا وقال
مثل ذلك ابو عمرو ثم قال فعلى هذا استقام تاويل النصوص وقوله عم الايمان بضع وسبعون شعبة بيانا
ان الايمان الشرعي اسم لمعنى ذي شعب واجزاء له ادنى واعلى والاسم يتعلق ببعضها كما يتعلق بكلها والحقيقة
يقتضي جميع شعبه وبذلك يتفاوت درجات المومنين وقال الامام البغوي مثل ذلك وقال ايضا التصديق
والعمل يتناولهما اسم الايمان والاسلام واعلم ان مذهب بعض الشافعيين من اهل الحديث ذلك ولذا قيل

فما معنى الحديث قلنا لسنا
باولين بالاشتغال ببيان
معنى الحديث منكم انما علينا
ابطال كلامكم واني داحتجاجكم
وقد فعلنا بحمد الله تع ثم نقول
ذكر في الروايات الصحيح انه
عليه السلام سئل في المرة
الثانية عن شرايع الاسلام
لا عن الاسلام فاجاب باقام
الصلوة وايتاء الزكوة الحديث
فيحمل ما روي انه سئل عن الاسلام
على ان بعض الرواة لم يسمع لفظ
الشرايع في السؤال او على انه
ترك تلك الزيادة لعلمه ان احدا
لا يشتبه عليه ان المراد بالسؤال
الثاني هو الشرايع دون
الاسلام اذ لا يتصور مومن
ليس بمسلم او على انه اضمر
لفظة الشرايع واقام المضاف
اليه مقامه او قال انه ذكر الاسلام
واراد به الشرايع بطريق المجاز
كما يذكر الايمان ويراد به الشرايع
كالصلوة ونحوها على ما قيل
في قوله تع وما كان الله ليضيع
ايمانكم اي صلوتكم الى بيت المقدس

ليس صح

الاعمال جزء من الايمان عندهم لكن بعض المتكلمين المتاخرين منهم كصاحب المواقف والطوالع لا يقولون كذلك بل يقولون الايمان الشرعي عبارة عن التصديق القلبي فنقول نحن ايضا في ترجيح مذهبنا وتاويل دلايل اهل الحديث الدالة على خلافه ان ضم الاعمال في بيان الايمان والاسلام انما هو باعتبار المظاهر والمكملات لا باعتبار الاجزاء والذات لما عرفت ان اظهر العلامات والافعال الدالة على تصديق القلب الاقرار واعظم الاعمال الدال عليه بعد الصلوة لانها مشتملة على تعظيم المعبود وخضوع العابد باللسان وبقية الاعضاء والجنان وتتكرر كل يوم خمس مرات والمواظبة عليها تدل على قوة الايمان والاسلام وكمال نورهما ولذلك حكم بايمان من صلى صلوتنا بجماعة وان لم تسمع منه كلمة الشهادة وبعدها الزكوة لان النفس جبلت على محبة المال حتى تترك الانسان حفظ نفسه لحفظ ماله ويرضى بهلاكها فبذله مع محبته في سبيل الطاعة يدل على غلبة محبة معبوده وبعدها الصوم لان النفس خلقت على حب مشتهيات البطن والفرج فمنعها عن شهواتهما اشد التكاليف بذلك الاعتبار وهو ايضا افضل الاعمال باعتبار انه اصون من الريا لخفائه وبعده الحج لان فيه مفارقة الاهل والاحباب والبعد عن الوطن والاتراب وارتكاب متاعب الغربة والرفقة فكانت تلك الفرايض الاربع بعد الاقرار من مكملات الايمان والاسلام ودالة على جهة كمال لهما والتمام ومعظمات العبادات وامهات الطاعات واظهر العلامات الدالة على قوة الايمان والثبات فذكر بعض تلك الفرايض الاربع او كلها مع الشهادتين في بيان الايمان والاسلام في اكثر المقام لتلك النكتة والمرام فان قلت الاقرار ايضا من اعمال الجوارح الدالة على التصديق القلبي فلم جعل جزء الايمان وركن الاسلام عند البعض بخلاف غيره من الاعمال المفروضة قلنا جعل ذلك جزءه لقوة دلالته في اظهار التصديق والتعبير عما في الضمير لما عرفت ان تمام العبارة والكلام لاعلام ما خطر في القلب والافهام او للاجماع من لدن رسول الله عم الى الآن على ان الحكم بايمان الانسان موقوف على تكلم كلمة الشهادة باللسان والصلوة بالجماعة اقيمت مقام الايمان لشدة اختصاصها باهل الاسلام فالحاصل ان شعب الايمان والاسلام ومكملاتهما واناردهما من الاعمال والعبادات كثيرة وعمدتها الفرايض الاربع ولذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الايمان بضع وسبعون شعبة وقال جمهور العلماء سهام الاسلام ثلثون ولا يبعد ان تكون المراد منه بيان كثرة شعبه لا الحصر فبين رسول الله صلى الله عليه وسلم حقيقة الايمان على وجه الاختصار والاجمال وفي بعض المواضع على وجه التوسط والاتمام وبين في بعض المواضع كمال الايمان وقوته بضم ثمراته وشعبه وكل ذلك من مقتضيات المقام ومحسنات الكلام فيكون ذلك من كمال حكمته وتمام بلاغته ومن لم يطلع على السر والحكمة فهو من سوء الفهم والبلادة فعليه اثم الزلة والضلالة لما عرفت ان الواجب عليه ان يسال عن كشفها اهل التحقيق لما لم يتشرف بجودة الفهم والتدقيق فان قلت ما مقتضى الاختصار وفايدة الابهام في بيان الايمان والاسلام المقتضي توضيح المرام على وجه التمام حتى لا يزل فيه بعض الانام وما وجه ذكر بعض الثمرات والشعب في بيان كمالها دون بعض قلنا اعتبارات بلغاء الانام

و مقتضيات

ومقتضيات الحال والمقام كثيرة لا يمكن تعديدها وتفصيلها على وجه الحصر والتمام لما عرفت ان لكل بليغ نكتا
واعتبارات متعددة بحسب دقة فهمهم في المحاوي والعبارات وانهم لا يخرجون الكلام على مقتضى الظاهر الا عند
ضرورة اقتضاء المقام لان مراتب حسن الكلام بقدر دقته في الافهام ولا يطلع على دقايق التراكيب
المصوغة على خلاف مقتضى الظاهر الا ذو الطبع القاهر والفهم الباهر ولذا قال السكاكي لا بد من الاطلاع
على خواص تراكيب البلغاء واعتباراتهم بعد استقراء استعمالاتهم من العقل السليم والطبع المستقيم
وقلما ملك الحكم غيرهما فنحن عنهما بمراحل لكنا عرفنا ان الله تكامل العلم واستنباط الاسرار لا يتسنى
الا بتصادم الانظار وتلاحق الافكار وان لكل قلب من قلوب الانام فيضا خاصا وفيما نا خاصا
من الملك العلام وذلك من غرايب فضله العام وعجايب صنعه التام ولذلك استقبح بعض اهل الفراسة
والافكار وذوي الكياسة والانظار ترك التصرف والاجتهاد تعللا بالقصور عن درجة الكمل من النظار
فلا باس لنا ان نتكلم في تاويل كلام نبينا عم بقدر طور عقلنا وقدر غور فهمنا فنقول يحتمل ان تكون
اختصار الشيء في بيان الايمان على قول لا اله الا الله اعتبارا بالدلالة التضمنية او باطلاق البعض وارادة
الكل لكون السامع ذكيا عارفا بان المراد منه الشهادتين او ما يتم ويكمل به الايمان او لكونه مشركا فيكون
النكتة فيه بيان الاهتمام بالزجر عن الشرك وترك الايمان وحقية السبب المودي الى الخلاص عن النيران والوصول
الى الجنان وان يكون النكتة في الاقتصار على الشهادتين في بيان الايمان بيان اصل الايمان الاجمالي التعليمي
وان لا ايمان الا بذلك القدر في الدلالة المطابقية وان يكون النكتة في بيانه بقوله ان الايمان ان تومن بالله وملائكته
الخ بيان بعض متعلقات التصديق والاقرار سوى التوحيد وتصديق الرسول وتخصيص ذلك البعض
لاشتماله على اصول ومصالح وحكم ومنافع وان يكون النكتة في قوله الايمان بضع وسبعون شعبة الرمز
الى ان للايمان مكملات دالة على قوته وكمال نوره والى ان الناقص والضعيف بمنزلة المعدوم عند طلاب
الكمال حتى لا يزعم الغافلون ان الاقتصار على الشهادتين يكفي في امر الايمان واكماله وكلا تماونوا في تقويته
وتثبيته واكماله وتنويره بالمواظبة على الطاعات والاجتناب عن السيئات وان يكون النكتة في تخصيص بعض
الشعب الثمرات بالجم في كل موضع بين فيه علايم الايمان ومكملاته لرعاية اعتبارات المقام ومقتضياته من كون
ذلك البعض مهما لذلك السامع لفتوره فيه او لتحصيله ما سواه دونه او لكون الواجب عليه ذلك العمل بعد
الايمان او لغيره من المقتضيات واعتبر تلك النكت والاعتبارات في بيان الاسلام باختلاف العبارات
لما عرفت ان البلغاء يقصدون في كل اسلوب من كلامهم نكتة دقيقة وحكمة رفيعة لاسيما يكون البليغ
في مقام موعظة ونصيحة او موضع دعوة وشريعة وستعرف زيادة التفصيل في مقتضيات المقام
فيما يناسب من تاويلات الكلام واذا عرفت ذلك فاعلم انما ذكرت من طرق الترجيح والتوفيق
وضوابط التاويل والتحقيق لا تتم الا بعد جمع جميع النصوص الشرعية وضبطها متنا ودلالة فضبط
متن القران يسير لانه مجموع في المصاحف ومثبت تواتر جميع اياته واما ضبط نظمه من جهة الدلالة وضبطها
فعسير اذ لا يتيسر الا من دقق النظر وضبط قواعد الاصول والمعاني والقدرة على رعايتها في الجزئيات وضبط

الاحاديث متنا ايضا شان مشكل وامر معضل لما عرفت ان معرفة احوال الرواة واسانيدهم متفرقة
لانقراضهم وبعد عهدهم وما سمعنا في هذا الزمان من النقلة العدول لا يصل الى حد التواتر فبقي
ان نعتقد على ما وجدنا من الكتب المعتبرة او ما سمعناه ممن نعتقد عليه في العلوم الشرعية ولصعوبة
جمع الاحاديث والاطلاع على طرق دلالتها وكون المراد منها حقيقتها او مجازها ووقع الاختلاف
بين كبار المجتهدين كابي حنيفة وصاحبيه ومالك والشافعي وزفر واحمد بن حنبل رحمهم الله لان
الاحاديث كثيرة لا يوجد مجموعها في بلدة واحدة بل في اقليم واحد ولو تصور الاجتماع فمنسوخاتها كثيرة
ومعرفة التواريخ صعبة ولو سلم فمقتضيات المقام كثيرة ومن جملتها معرفة اسباب صدور الحديث ولو
لم نعلم سبب الورود والحادثة والتاريخ ولا تقييد ولا تخصيص بعض الايات والاحاديث في بعض
المواضع لا يستقيم الكلام بذلك بتضييق قلوب المستدلين فيه من اجرائه على ظاهره ولذا قيل
التفسير لا يصلح الا لمن كان في مهبط الوحي واطلع على الحوادث واسباب النزول ولتلك الصعوبة
لم يعمل ابو حنيفة رح الا بالحديث الذي قال النبي عم في اخر عمره لانه جمع كتب الاحاديث الصحيحة
المروية عن عدول التابعين المفروع على فقهائهم واستنبط الاحكام من ثوابتها واقويها دلالة
ومتناوبه رواية ولم يعمل بظواهر اكثر الاحاديث ولذا طعن بعض اهل التعصب بانه من اهل الرأي
وقد رد ذلك الزعم فخر الاسلام في كتابه ولم يتيسر جمع تلك الاحاديث لباقي المجتهدين كالشافعي وغيره
فعملوا باقوى ما عندهم ولا طعن في حقهم لذلك لانهم لم يقصروا في الاجتهاد والاعتبار ولم يتعصبوا في
الاستنباط والاختيار فان قلت فاذا وجب في التاويل والتحقيق والترجيح والتوفيق جمع
النصوص الشرعية من الاحاديث النبوية ورعاية شروطها من جهة الاسناد والدلالة فلا يتيسر ذلك لامثالنا
فلا يكون الترجيح والتاويل حريا لحالنا لانا اذا رجحنا نصا على نص او قيدنا وخصصنا بعضه ببعض
يحتمل ان يوجد نص موافق لمرجوح دال على ما يخالف الراجح بوجه اقوى منه او يوجد نص موافق
لمطلق قيد وعام خصص راجح على المقيد والمخصص قلنا تعذر الجمع يضر المجتهد لانه يجب عليه ان يحفظ
جمع النصوص الشرعية الثابتة في زمانه لا المقلد لانه يقلد في الاصول والفروع امامه ومقتداه فياول
النصوص الدالة على ما يخالف مذهبه في المسائل الاصولية والفروعية الثابتة بالادلة القطعية عند امامه
وان لم يعلم المقلد تلك الدلائل ولا يجوز ان يدفع الخصم بذلك الاحتمال تاويله وترجيحه لان المحتمل
والموهوم لا يعارض ولا يقدح في قطعية دلالة المحقق والموجود والا لا يكون دلالة الالفاظ على الاطلاق
قطعية كما ذهب اليه بعض اهل الاهواء واذا عرفت ذلك عرفت ان في معرفة طرق الترجيح والتاويل
فوائد كثيرة وعوائد غزيرة لمن يرتقي بجودة الطبع والرعاية ودقة الفهم والدراية من حضيض الجهل
والتقليد المحض الى مدارج العلم ومنصب الاستدلال ومعاقد التصرف وذروة الانتقال لانه اذا
حفظ قواعد الترجيح والتوفيق وضوابط التاويل والتحقيق وقدر على رعايتها واستنباط جزئياتها
منها يأول النصوص الشرعية من القرآن وما وجد من الخبرية ويدفع تعارضها الظاهر ويمنع ايضا

الرواة وهم

الاعتراض على مذهبه ويثبت عقيدته في المسائل الاعتقادية وتخلص ايمانه عن ذل التقليد وصولة الاختلاف فيكون صحيحا بالاتفاق والايتلاف ويجمع بين المذاهب ايضا في مواضع الاحتياط اذا امكن واذا عرفت بيان الترغيب والكلام الواقع فيه على وجه الاستطراد فاعلم ايضا ان الفرع الثالث بيان ايمان المقلد وهو صحيح عندنا لكنه يصير فاسقا بترك الاستدلال عند الاقتدار كما صرح به ابو حنيفة رح ولم يعتبر بعض المتكلمين ايمان المقلدين لانهم يقولون اذا لم يميز المقلد بين الصحيح والفاسد من الايمان يتبع لمن ولدته جملتهم او بابيه او بونس قبيلته فيكون كابيهم فلا اعتبار لدينه واعتقاده فنقول في جوابهم هذا الاستدلال مخالف للاجماع لان النبي عم اعتبر بايمان الاجلاف واهل البلادة الذين لا يعرفون الدليل واعتبر ايضا الصحابة والتابعون ومن بعدهم من المجتهدين الى الآن بايمانهم في حكم الدنيا والآخرة وما يخالف الاجماع مردود وان وافق القياس واذا عرفت ذلك فاعلم ان هذا الفقير من مقلدي ابو حنيفة رح فلا بد لنا من نقل كلام مقتبس من كبار علمائنا حتى يعتقد السامعون من المتعنتين على ذلك لان قبول المسائل والمقبولات يكون بقدر مرتبة قائلها ومن مشاهير علمائنا المتكلمين قدوة المحققين ابو المعين ميمون بن محمد بن معتمد المكحولي فننقل كلامه في هذا الباب قال في تبصرة الادلة ان الايمان الشرعي عبارة عن التصديق بالقلب والاقرار باللسان دون غيرهما من اعمال الجوارح واختلف الناس فيه اختلافا لا سبيل الى ذكره لكثرة الاقاويل فيه فنذكر من ذلك جملا على طريق الاختصار فمن الناس من زعم ان الايمان هو المعرفة بالقلب والاقرار باللسان والعمل بالاركان وحكي ذلك القول عن مالك والشافعي والاوزاعي رحمهم الله وعن اهل الظاهر وجميع ائمة الحديث كاحمد بن حنبل واسحق بن راهويه ومن المتكلمين ايضا كالحارث بن الاسد المحاسبي وابن العباس القلانسي وابن الثقفي ومن الناس من زعم ان الايمان يكون بالقلب واللسان دون غيرهما واليه ذهب السمرية والنجادية والغيلانية وحكي هذا عن كثير من اصحاب ابي حنيفة رح غير انهم اختلفوا فيما بينهم فمنهم من جعل بالقلب المعرفة ومنهم من جعل التصديق وكان بشر بن غياث المريسي يقول ان الايمان هو التصديق في اللغة وما ليس بتصديق فليس بايمان الا ان التصديق يكون بالقلب واللسان جميعا والى هذا القول ذهب ابن الراوندي ومن الناس من يقول ان الايمان يكون باللسان فقط واليه ذهب الرقاشي وعبد الله بن سعيد القطان والكرامية غير انهم اختلفوا فيما بينهم فزعم الرقاشي ان الاقرار يكون ايمانا بشرط وجود معرفة القلب والمعرفة عنده ضرورية يوجد لا محالة ولا يكون ايمانا لان الايمان اسم لفعل مكتسب وكذا يقول عبد الله واما الكرامية يزعمون ان الاقرار ايمان بدون شرط المعرفة والتصديق وهذا فاسد لان المنافقين لم يكونوا بمجرد اقرارهم مؤمنين بالاجماع ومن الناس من يقول ان الايمان لا يكون الا بالقلب غير ان هؤلاء اختلفوا فيما بينهم وقال بعضهم لا يكون الا بالقلب وهو المعرفة وهو قول جهم بن صفوان وابو الحسين الصالحي احد رؤساء القدرية وقال بعضهم الايمان هو التصديق بالقلب واليه ذهب الشيخ ابو المنصور الماتريدي وهو مروي عن ابي حنيفة وهو قول الحسين بن الفضل البجلي وابي الحسن الاشعري وقد صرح به ابو حنيفة في كتاب العالم والمتعلم

وايمان المقلد صحيح وان كان عاصيا بترك الاستدلال وحكمه حكم غيره من الفساق وهذا القول محكي
عن ابي حنيفة والثوري والاوزاعي واحمد بن حنبل وعن اهل الظاهر وعن المتكلمين ايضا
كعبد الله بن سعيد القطان والحارث بن اسد بن المحاسبي وعبد العزيز بن يحيى المكي وذهب اكثر
المتكلمين الى انه لابد لثبوت الايمان او لكونه نافعا من دليل يبنى عليه اعتقاده غير ان الشيخ
ابا الحسن الرستغفني صاحب الامام ابو منصور الماتريدي يقول لا يشترط ان يبنى اعتقاده على
الاستدلال العقلية كل مسئلة بل اذا بنى اعتقاده على قول الرسول وعرف انه رسول ظهرت عليه
المعجزات وقبل منه القول بحدوث العالم ووحدانية الصانع من غير ان عرف ذلك بدليل عقلي
يكون كافيا في صحة ايمانه وكذا يقول ابو عبد الله الحليمي من متاخري اهل الحديث وفرع على
هذا ابو منصور بن ايوب من متكلمي اهل الحديث وقال لو بنى اعتقاده على قران او حديث
يكون كافيا والمشهور من مذهب ابي الحسن الاشعري انه لا يكون مومنا ما لم يعتقد كل مسئلة
من مسئلة اصل الدين عن دليل عقلي ولكن لا يشترط ان يعبر ذلك بلسانه ويكون قادرا على دفع
شبه الخصم وقال عبد القاهر البغدادي من المعتزلة هذا وان لم يكن مومنا عند الاشعري
لكن لا يكون كافرا ايضا لوجود ما يضاد الكفر من التصديق وقال عامة المعتزلة لا يكون المقلد
مومنا وانما يكون مومنا اذا اقدر على حل جميع ما يورد عليه من الشبهات وقد تم خلاصة ما اورده
ابو المعين في تبصرة الادلة واذا عرفت هذا القدر من التفصيل على مذهب ابي حنيفة في باب الايمان نذكر خلاصة
ما اعتقد عليه الشافعية من تفاصيل باب الايمان قال قدوة المتاخرين من الشافعيين مولانا عضد الدين
في مواقفه اعلم ان الايمان في اللغة التصديق قال الله تع حكاية عن اخوة يوسف وما انت بمومن لنا
اي بمصدق لنا وقال النبي عم الايمان ان تومن بالله وملائكته وكتبه ورسله اي تصدق واما في الشرع
فهو عندنا وعليه اكثر الائمة كالقاضي والاستاذ التصديق للرسول فيما علم مجيئه به ضرورة وتفصيله فيما علم
تفصيلا واجمالا فيما علم اجمالا وقيل هو المعرفة فعقوم لله وقوم لله ولما جاءت به الرسل وقالت الكرامية
هو كلمتا الشهادة وقالت طايفة التصديق مع الكلمتين ويروى ذلك عن ابي حنيفة رحمه الله وقال قوم انه
اعمال الجوارح فذهب الخوارج والعلاف وعبد الجبار الى انها الطاعات فرضا ونفلا وذهب الجبائي وابنه
واكثر البصرية الى انها الطاعة المفترضة دون النوافل وقال السلف واصحاب الاثر الايمان مجموع هذه الثلثة
فهو تصديق بالجنان واقرار باللسان وعمل بالاركان وقال ايضا الكفر خلاف الايمان فهو عندنا عدم التصديق
للرسول بما علم مجيئه به ضرورة فان قيل فشد الزنار ولبس الغيار بالاختيار لا يكون كافرا
قلنا جعله النبي عم علامة للتكذيب فحكمنا عليه بذلك هو عند كل طايفة مقابل لما فسر به الايمان وقالت الخوارج
كل معصية كفر وقالت المعتزلة المعاصي منها ما يدل على الجهل بالله ووحدانيته وما يجوز عليه وما لا يجوز عليه
وبرسالة رسوله كالقاء المصاحف بالقاذورات والتلفظ بكلمات دالة على ذلك فهو كفر ومنها ما لا يدل
على ذلك فهو اما معصية او مكروه وقال في تفصيل الكفار الانسان اما معترف بنبوة محمد عم او غير معترف

والثاني اما معترف بالنبوة في الجملة وهم اليهود والنصارى وغيرهم واما غير معترف بها وهو اما معترف
بالقادر المختار وهم البراهمة اولا وهم الدهرية ثم انكارهم للنبوة اما عن عناد او عن اجتهاد
والمعترف بنبوته اما مخطئ في اصل وشبهه انه ليس بكافر اولا وهو اما عن برهان وهو ناج بالاتفاق
او عن تقليد وقد اختلف فيه ومرتكب الكبيرة من اهل الصلوة مؤمن ذهب الخوارج الى انه كافر
والحسن البصري الى انه منافق والمعتزلة الى انه ليس بمؤمن ولا كافر حجة الخوارج وجوه الاول قوله تعالى
ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون قلنا المراد من لم يحكم بشيء مما انزل الله او بالتورية
بقرينة ما قبله وهو انا انزلنا التورية وانه يحمل على من لم يعتقدها فيختص باليهود الثاني وهل نجازي
الا الكفور قلنا هو متروك الظاهر اذ يجازي غير الكفور بالثواب لقوله تعالى اليوم تجزى كل نفس بما كسبت
الثالث قوله تعالى بعد ايجاب الحج ومن كفر فان الله غني عن العالمين قلنا المراد ومن جحد وجوبه
الرابع ان العذاب على من كذب وتولى قلنا متروك الظاهر للاتفاق على عذاب شارب الخمر والزاني
مع انه غير مكذب بل اليهود والنصارى الخامس قوله تعالى فانذرتكم نارا تلظى لا يصليها الا الاشقى الذي
كذب وتولى والفاسق يصليها قلنا لعل ذلك نار خاصة السادس قوله تعالى في حق من خفت موازينه
الم تكن اياتي تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون والفاسق ممن خفت موازينه قلنا بل ثقلت بالايمان
السابع يوم تبيض وجوه وتسود وجوه قلنا لا نم ان كل فاسق كذلك بل هي واردة في بعض الكفار
لقوله تعالى اكفرتم بعد ايمانكم الثامن انه من اصحاب المشامة وقال تعالى والذين كفروا باياتنا هم اصحاب المشامة
قلنا هو من باب ايهام العكس وينتقض بالزاني والسارق مع عدم تكذيبهما التاسع ومن كفر بعد ذلك
فاولئك هم الفاسقون وهو يقتضي حصر الخبر قلنا ممنوع لان الكافر ابتداء كذلك العاشر لا ييأس من روح الله
الا القوم الكافرون والفاسق آيس من روح الله قلنا ممنوع للرجاء الحادي عشر انك من تدخل النار
فقد اخزيته مع ان الخزي اليوم والسوء على الكافرين قلنا الخزي المحلى باللام لا عموم له والمراد الخزي
الكامل الثاني عشر واما من اوتي كتابه بشماله الى قوله انه كان لا يؤمن بالله العظيم قلنا ذكر قسمين
لا يدل على عدم الثالث مع ان التخصيص ظاهر الثالث عشر الا لعنة الله على الظالمين قلنا يلزم تكفير
الانبياء حيث اعترفوا بظلمهم الرابع عشر قوله تعالى واما الذين فسقوا فماويهم النار الاية قلنا يقتضي
ان يكون كل فاسق مكذبا بالقيمة وانه باطل قطعا الخامس عشر قوله يتساءلون عن المجرمين ما سلككم الى قوله
وكنا نكذب بيوم الدين قلنا قد مر جوابه السادس عشر قوله تعالى وسيق الذين كفروا الى قوله وسيق الذين اتقوا وقد مر
مثله السابع عشر ولاية الله وعداوته ضدان قلنا لا نم عدم الواسطة بين كل ضدين احتج من زعم انه منافق
بوجهين الاول قوله عم آية المنافق ثلث اذا وعد خلف واذا حدث كذب واذا اؤتمن خان قلنا متروك الظاهر
لان من وعد غيره ان يخلع خلعة نفيسة ثم اخلفه لا يخرج بذلك عن الايمان الى النفاق اجماعا الثاني ان
من اعتقد ان في هذا الجحر حية لم يدخل يده فيه واذا قال ذلك ثم ادخل يده فيه علم انه قاله لا عن اعتقاد
قلنا مضرة الحية عاجلة محققة بخلاف عقاب الذنب لانها اجلة وبجواز التوبة والعفو فافترقا واحتج المعتزلة

ولا يكفر احدا بالذنب وقد اليه
اربعون رجلا حتى قدموا
الكوفة وسئلوا سوفهم وقالوا
يا ابا حنيفة هذا اخر يوم من الدنيا
واول يوم من الاخرة قد ابتلاك
بمشكلين فان خرجت منهما والا
قتلناك فقال ابو حنيفة رح
اتريدون ان تتصفوني قالوا
نعم قال فتغمدوا سيوفكم قالوا
وكيف نغمدها ونحن نرجوا
نخضبها بدمك قال فتكلموا قالوا
ما تقول في جنازتين بباب المسجد
احديهما رجل شرب الخمر حتى سكر
ثم لم يزل يشرب حتى مات فيه غرقا
والاخرى امراة زنت حتى حملت
فلما اثقلت بالحمل شربت دواء
فسقط ولدها ثم ماتت في نفاسها
ما تقول فيهما فقال ابو حنيفة رح
امن اليهود كانا قالوا
لا قال امن النصارى
قالوا لا قال امن المجوس
قالوا لا قال فمن اية الاديان
كانا قالوا امن يشهد ان لا اله
الا الله وان محمدا رسول الله
قال ومن اهل الاقرار بما جاء
من عند الله قالوا نعم قال
فاخبروني كم هو من الايمان
نصفه او ثلثه او ربعه قالوا
ان الايمان لا يكون له نصف ولا ثلث
ولا ربع بل هو الايمان كله قال
فما تسئلوني عنهما وقد شهدتم
انهما مؤمنان فقال رجل منهم
دعنا يا ابا حنيفة من هذا
اخبرنا امن اهل الجنة هما ام
من اهل النار فقال ابو حنيفة رح
اقول كما قال نوح عم في قوم كانوا
اعظم جرما منهما قال وما علمي بما كانوا
يعملون ان حسابهم الا على ربي لو تشعرون
وما انا بطارد المؤمنين واقول
كما قال خليل الله في قوم كانوا اعظم
جرما منهما فمن تبعني فانه مني ومن عصاني
فانك غفور رحيم واقول كما قال
عيسى عم ان تعذبهم فانهم عبادك
وان تغفر لهم فانك انت العزيز
الحكيم قالوا فبرئت عن الخوارج
الله عنك ونستغفر الله ونور الله
في جميع ما كنا فيه فضلوا
مذهبهم كلهم

لانهم كانوا يشهدون عليه بالكفر ولا يقطعون ولا يمنعون ... في مقابر المسلمين

بالزنا

بوجهين الاول ان الفاسق ليس بمؤمن لما مر ولا كافر بالاجماع وايضا فيلزم بينونة الزوجة بمجرد رمي الزوج
اياها بالزنى من غير لعان وقضاء قاض لانه ان صدق فهي كافرة وان كذب فهو كافر قلنا هو مؤمن وقد مر الكلام فيه
وقال انما نكفر المخالف للحق من اهل القبلة هل يكفر ام لا جمهور المتكلمين والفقهاء على انه لا يكفر احد من اهل القبلة والمعتزلة
الذين هم قبل ابي الحسن تحاملوا فكفروا الاصحاب فعارضه بعضنا بالمثل وقد كفر المجسمة مخالفوهم وقال
الاستاد كل مخالف يكفرنا فنحن نكفره والا فلا ولنا ان المسائل التي اختلف فيها اهل القبلة من كون الله تعالى
عالما بعلم او موجدا لفعل العبد او غير متحيز ولا في جهة ونحوها لم يبحث النبي عم عنها عن اعتقاد من حكم باسلامه فيها
ولا الصحابة ولا التابعون فعلم ان الخطاء فيها ليس قادحا في حقيقة الاسلام فان قيل لعله عم عرف منهم ذلك اجمالا فلم يبحث
عنها كما لم يبحث عن علمهم بعلمه وقدرته تعالى وجوب اعتقادهما قلنا مكابرة والعلم والقدرة مما يتوقف عليه ثبوت نبوته
وكان الاعتراف بهما دليلا على العلم بهما ولنذكر الان ما كفر به اهل القبلة وننقضي عنها وفيه ابحاث الاول
كفرت المعتزلة في امور الاول نفي الصفات لان حقيقة الله تعالى ذات موصوفة بهذه الصفات فمنكرها جاهل بالله
والجاهل بالله كافر قلنا الجهل بالله من بعض الوجوه لا يضر والا لزم تكفير المعتزلة والاشاعرة بعضهم بعضا
فيه الثاني انكارهم ايجاد الله فعل العبد وانه كفر اما اولا فلانهم جعلوا غير قادر على فعل العبد والعبد
غير قادر على فعله فهو اثبات للشريك كما هو مذهب المجوس واما ثانيا فللاجماع على التضرع الى الله تعالى ان يرزقهم الايمان
وهم ينكرونه لانهم يقولون قد فعل من اللطف ما امكن لوجوبه عليه قلنا المجوس كفروا بالغيرة وخرق الاجماع
ليس بكفر ثم من يلزمه الكفر ولا يعلم به لم قلتم انه كافر الثالث قولهم بخلق القرآن وفي الحديث الصحيح من قال القرآن
مخلوق فهو كافر قلنا احاد ولعل المراد بالمخلوق المختلق اي المفترى الرابع قد اجمع من قبلهم ان ما شاء الله
كان وما لم يشأ لم يكن وهم ينكرونه قلنا منع الاجماع وكون مخالفه كافرا الخامس المعدوم شيء وانه تصريح
بمذهب اهل الهيولى سيما نفاة الاحوال لان ذاته عندهم وجوده قلنا الالزام غير الالتزام واللزوم غير
القول به كما مر السادس انكارهم الرؤية وقد قال تعالى بل هم بلقاء ربهم كافرون قلنا اللقاء مجاز فلعل المراد
لقاء ثوابه قال المفسرون المراد بالوصول الى دار الثواب الثاني تكفير المعتزلة الاصحاب بامور الاول انكار
كون العبد فاعلا لفعله لانه يسد باب اثبات الصانع اذ طريقه قياس الغائب على الشاهد واذا جاز عدم
استناد فعلنا الينا جاز استناد الحوادث لا الى محدثها قلنا ممنوع لنا في اثبات الصانع وجوه لا تحتاج فيها
الى اثبات هذا القياس الثاني نسبة فعل العبد الى الله يلزمه كونه فاعلا للقبيح فجاز اظهار المعجزة على يد الكاذب
وجاز الكذب فيه وفيه ابطال الشرائع بالكلية قلنا اجبنا عنها الثالث اثبات الصفات قول بقدماء وقد كفر
النصارى بالقول بقدماء ثلثة فكيف السبعة قلنا قد مر جوابه الرابع قولهم القرآن قديم فانه يقتضي عدم كون
المسموع قرآنا لحدوثه قطعا قلنا مشترك الالزام الا ان يقولوا انا نسمع حكايته قول الله تعالى منقول بمثله
الثالث قد كفر المجسمة بوجوه الاول ان تجسيمه جهل قد مر جوابه الثاني عابد لغير الله كعابد الصنم
قلنا بل معتقده الله الخالق الرازق العالم القادر ما لا يجوز عليه مما قد جاء به الشرع على تأويل يليق بالله
بخلاف عابد الصنم الثالث قوله تعالى لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم وما ذلك الا لانهم جعلوا الله

الا ملزم الشرك وهؤلاء كذلك قلنا ممنوع المستند ما تقدم الرابع تكفير الروافض والخوارج لوجوه الاول
القدح في اكابر الصحابة وفيه تكذيب الرسول حيث اثنى عليهم وعظمهم قلنا لا ثناء عليهم خاصة ولا انهم
داخلون فيه او الثناء عليهم بشرط سلامة العاقبة ولم توجد عندهم الثاني الاجماع على تكفير من كفر عظماء
الصحابة قلنا آحاد والمراد مع اعتقاد انه مسلم فان من ظن المسلم انه يهودي او نصراني فقال له يا كافر
لم يكن كفرا بالاجماع تم ما نقل من المواقف واعلم ان التكفير حكم شرعي لا امر عقلي فلا بد فيه من بيان
ضابطة شرعية وقاعدة كلية حتى يتيسر للمستدل ضبط جزئياته وتاويل النص الدال على كفر المؤمن بقول او قول
اذا لم يكن من جزئيات تلك القاعدة منقوك ما يثبت في هذا الباب من الشارع تكفير من كذب ان دع كان جهل
وامثاله ممن صرحوا بتكذيب الرسول عم او من كذبه دلالة بالقول او بالفعل المودي اليه اما الاول فكالتكلم
بكلمة الكفر والانكار بحكم النص الشرعي قطعي الثبوت والدلالة بدون التاويل واستحلال الحرام المجمع عليه وتحريم
الحلال المجمع عليه وكالاستخفاف بالامور الدينية والاستهزاء بها وساير الاقوال الدالة على الرضا بالكفر
صراحة واما الثاني فكاتباع الكفرة في الزي والهيئة بدون الضرورة كلبس الكسح ووضع القلنسوة والمنطقة
واشراكهم في الاعياد وشعايرهم بالذهاب اليها وبقبول هدياتهم فيها وغيرها من الافعال الدالة على الرضا
بكفرهم صراحة ولا يكفر اهل القبلة بما سوى ذلك لما ثبت عن ابي حنيفة رح انه لا يكفر اهل القبلة بذنب وما ثبت ايضا
من ارباب اصول الفقه انهم قالوا ان جهل صاحب الهوى في صفات الله واحكام الاخرة من اهل القبلة دون جهل الكفرة
فلا يكفرون بل يلزمنا مناظرته وكشف شبهته وما صرح به الفقهاء ايضا من ان شهادة اهل الاهواء مقبولة سوى الخطابية
لانهم يوجبون معاونة اهل جلدتهم بالشهادة لهم وغيرها لا لانهم كافرون باتباع الهوى واعلم ايضا ان
هذا الفقير انما نقل بعض تفاصيل المذاهب المختلفة في الايمان وبعض تفاصيل تكفير اهل القبلة واثبت ما هو
الحق في الملة الحقة الحنيفية كثيرة غاية ذلك في علم الحديث والتفسير لما عرفت ان النصوص الشرعية من الايات
والاحاديث في باب الايمان والكفر متخالفة وفي الظاهر متدافعة وفي تكفير اهل القبلة كثيرة كما سمعت بعضها حتى
ذهب الحسن البصري الكامل في علم الدين والعبادة الى ان مرتكب الكبيرة منافق وذهب مقاتل بن سليمان
المفسر الى ان المعصية لا تضر مع الايمان وبينهما كما ترى تعارض مع ان مستند كل منهما من الايات والاخبار
فيجب على المعلم المستدل ان يعلم اولا اصول مذهبه في كل باب من الاصول الاعتقادية والفرعية على ما ذهب الله
امامه ومقتداه واثبته بالبراهين العقلية والنصوص القطعية النقلية حتى يعبر على تاويل ما يخالف مذهبه
من الايات والاحاديث وبالقواعد السابقة والضوابط السالفة واثبت ما هو الحق عنده وازال التاويل
وتحقيقه التردد عن قلب المتعلم حتى يجتهد في التعلم والترقي اذ لو لم يكن المدرس مستدلا محققا وكان مدققا
وبين النصوص المتعارضة في الظاهر مرجحا وموفقا بل قائلا ان هذا النص الشرعي مخالف لاصول مذهبه
المثبتة بالادلة القطعية فيكون المراد منه غير ظاهره لا يجد المتعلم المستدل من قلبه باعثا على التوجه
الى تحمل متاعب العلم والتدرب والترقي فيه الى مدارج الكمال بل يتكدر حاله ويتحير باله عند تدافع النصوص
نعم من لم يبلغ الى فضيلة مرتبة الاستدلال يتقلد ويقبل ما سمع من استاذه بحسن اعتقاده ويعمل به

هؤلاء لا يسلمون كونهم من اكابر الصحابة الثالث ما علم من قال لاخيه المسلم يا كافر فقد باء به احدهما قلنا ...

بمنزلة المقلد العامي عند طلاب الكمال وكلا صفانه حق طالب الفضل والمنال والمشتغل على احراز مرتبة الاستدلال
ولما كان كلامنا هنا في اثبات ما هو الحق في باب الايمان والكفر نقلنا ما هو الاصل فيهما حتى باول ما وجد
ما يخالف ذلك الاصل من النصوص الشرعية بالضوابط المذكورة ولم ننقل ما هو الاصل في كل باب من الاعمال
الفرعية ولم نشتغل بتاويل ما يخالفه لان مقصودنا دفع التعارض الظاهري فيهما واذا عرفت المقدار المقنع
من التفصيل والتحقيق في باب الايمان والكفر فاعلم ايضا ان مقتضيات الاحاديث تتوافق ظاهرا من جهة
اخرى يزدحم فيه على بالك التحير ويتهجم على حالك التكدر ايضا اذ بعض الاحاديث يدل على ان النجاة من العذاب
والوصول الى الثواب يحصل بمجرد الشهادتين بل بمجرد كلمة التوحيد وبعضها يدل على وجوب ذلك وبعضها لا يدل
وكذا بعض الاحاديث يدل على ان طاعة واحدة توجب دخول الجنة وبعضها لا يدل على الوجوب وبعضها يدل
منفردا على الثواب العظيم وبعضها يدل على ان ذلك بقيد انضمام طاعة اخرى وقد يوجد ذلك الاختلاف في طاعة
واحدة وكذا بعض الاحاديث يدل على ان معصية واحدة توجب دخول النار وبعضها لا يدل على الوجوب
وبعضها يدل على انها يؤدي الى العذاب بمجردها وبعضها يدل على ان ذلك بقيد الانضمام معصية اخرى وقد يوجد ذلك
الاختلاف في معصية واحدة فلا بد لك في ذلك ايضا ايها الحبيب المشوق على اقتباس الفضل باحراز وظايف
التاويل والتحقيق واقتناص طرايق التوجيه والتوفيق من ان تتشرف في هذا الباب ايضا بتعلم ضابط
اصولي وكلام كلي حتى تدفع به ازدحام التحير عن بالك واقتحام التكدر عن حالك فاعلم ان كل واحدة من الطاعات
اصلية كانت او فرعية يوجب دخول الجنة بمقتضى كرم الله تع وموجب وعده لا باعتبار اقتضاء ذات
العبادة وايجابها لكن ذلك الوجوب الوعدي ايضا مشروط برعاية شروط العبادة من الاخلاص وغيره
وشرط صونها عن المحبطات والمفسدات وكل معصية يوجب دخول النار ايضا باعتبار مقتضى العدل
وموجب الوعيد بشرط ان لا تنمحي تلك المعصية بالتوبة او العفو او الطاعة وانما قلت ذات العبادة
والمعصية لا يوجب لان العقل لا يجوز ان يحكم على الله تع بالوجوب وغيره وستسمع ان شاء الله كلاما
مستوفى فيه واذا اجتمع في العبد موجبات الجنة ومقتضيات النار ولم يوجد مزيلهما يدخل النار اولا
ويمكث فيها بقدر وعلى واذا عرفت ذلك فاعلم ان ترك الوجوب في البعض للرمز الى ان الوجوب
او لاقتضاء المقام ذلك من كون السامع غير محتاج الى زيادة التاكيد والترغيب لغاية اعتنائه بامر
الدين ورسوخ قلبه في اليقين وغير ذلك من الاعتبارات المناسبة للمقام ومقتضيات الكلام وان الضم
لبيان ان العبادة والمعصية سبب لا موجب كما زعم بعض اهل الاهواء او لاقتضاء المقام ذلك من تحريض
السامع على جميع تلك الطاعات او مدحه عليه او من تخويف السامع عن جمع تلك المعاصي او ذمه عليه وغير ذلك
من مقتضيات المقام وان اتيان زيادة المثوبات او العقوبات وتركها ان كان في عبادات متنوعة
وسيئات مختلفة يجوز ان يكون ذلك باعتبار اقتضائهما وكونهما سببا لذلك ويجوز ان يكون بحسب اقتضاء
الحال والمقام ذلك كما عرفت من النكتة في الضم والترك وان كان في عبادة واحدة ومعصية منفردة يجوز
ان يقال فيه المجموع مقتضيات تلك الطاعة او المعصية والاختصار والاتمام كان بحسب الاعتبار الحال واقتضاء المقام

واذا تأملت في كل باب من ابواب الطاعة او المعصية و~~الاختصار و~~الاهتمام واطلعت على تلك الاختلافات
بين الاحاديث الواردة فيه فوفق بينها وادفع التدافع الظاهري بما سنحتك مما يحمي قدم فهمك على الدحوض
والزلل ويصونه ساعد قلبك عن الاعوجاج والشلل والله الموفق والهادي فان قلت قد اضمحل
ما يحيك في صدري ويختلج في قلبي من هواجس تلك الاختلافات بدوافع ما بطنتك الاسنى لكن نادت من قلبي
شبهة اخرى وهي ان النبي عم لم لم يبين مرامه في كل مقام بكلام ظاهر الافهام حتى لا يشوش فيه قلب بعض
الانام ولا يقع اختلاف المذاهب والآراء ولا يزيغ عنه اهل الاهواء قلنا قد عرفت جوابه مما شرحنا
في بيان اختلاف الاحاديث في باب الايمان وان اردت زيادة تفصيل فاعلم ان نبينا عم اعلم الخطباء
اعظم البلغاء مبعوث الى دعوة جميع الورى فخاطب تارة جماعة الجفاة والاغبياء وتارة زمرة الزكاة
والاذكياء ودفعة ارباب الزهد واليقين ووقتا اصحاب الفضل والتمهين فوجب عليه ان يصوغ كلامه
في بعض الوقت على طرق الاطناب والتوضيح وفي بعضه على طراز الايجاز والتلويح فراعى في كل كلامه
مقتضى الحال والمقام فمن فضل بالفهم المستقيم يطلع على النكته بفكره القويم ومن كان فاتر الفهم لا يفهم الا ظاهر
الكلام ولا يطلع على مقتضيات المقام من دقائق المعاني والمرام يجب عليه ان يرجع في مواضع الرموز والدقائق
ومعاضل الفحاوى والحقائق الى فضلاء الانام وامراء الكلام فان لم يرجع ووقع بسوء فهمه في التردد
والضلال فعليه الاثم والوبال لتركه الرجوع الواجب عليه والسؤال لا على البليغ الراعي مقتضيات الاحوال
ولقد وصى بترك الرجوع الخاص عند فوت ذوق الخواص مبادي مفتاح السكاكي وحكى ذلك عن شيخ
عبد القاهر واستاذه الحاتمي فان قلت قد تقضيت عن هذا السؤال لكن ما جوابك في مداحض الاشكال
ومزالق الاجمال فان المشكل يحتمل وجوها متعددة على السواء في المنوال والمجمل لا نعلم معناه بدون السؤال
ويستوي فيه البليغ والبليد والبطي والحديد قلنا ايراد اللفظ المشكل والمجمل في الكلام يدل ايضا على
كمال بلاغة نبينا عم لما عرفت ان مقام التوضيح والافهام غير مقام التورية والابهام فيكون ايرادهما من
مقتضيات المقام للكلام لان في المشكل احراز فضيلة التأمل واجر الاستنباط وفي المجمل فضيلة التعلم و
السؤال وفيهما فوائد اخرى لا يخفى على ذوي الافهام وحاصل الكلام في هذا المقام ان تعالى الناس على ثلث طبقات
طبقة لها ادنى تمييز وفهم لا يفهم الا ما يدل عليه بظاهر الكلام كاهل اللسان من العوام وطبقة لها تصرف واستدلال
تفهم ما يدل عليه بخلاف الظاهر كاهل التوسط من المستدلين والبلغاء وطبقة لها اطلاع على الاسرار
والدقائق كالمجتهدين والمكاشفين فاخرج نبينا عم كلامه على ثلث طبقات ومراتب لرعاية احوال
الطبقات الثلث وايفاء حق كل منها على قدره من الدرجات وفي كلام كل طبقة مراتب متنوعة لكن
لكل واحد منها وحدة نوعية وجهة جامعة فلتلك الجهة جعلت الكلام على ثلث مراتب فان قلت قد يقع
البليغ الكامل والمجتهد الفاضل في الزلل والخطاء في التصرف والتأويل فلا يحصل له ثواب الاجتهاد ومرتبة
الفضل قلنا يحصل لان للمجتهد والمأول اجرين اذا اصاب واجر واحد اذا اخطأ اذا اجتمع شرائطهما في التأويل
ولا يتعصب واعلم ايها الزكي المستقيم السليق والالمعي المنتج الطبيعة اذا ضبطت ما ذكره الفقير سيد

من قواعد الترجيح والتوفيق وقوانين التاويل والرفق تقتدر بهما على ان تدفع صورة التعارض الظاهري في كل
موضع من مواضع الكلام وان تاول كل كلام مخالف لمذهبك بالتوجيه المناسب للمرام وان تبين نكتة
كل واحد من الضم والترك في البيان وحكمة كل مبالغة وتركها وايراد زيادة ونقصان في البيان لكن هذا الفقير
الصادق وذلك الحقير الشفيق ما اقتصر على ما ذكر في القواعد والضوابط بل عين طرق الترجيح والتوفيق وبين
سبيل التاويل والتحقيق وفائدة الضم والترك والزيادة والنقصان وفائدة الاطناب والايجاز والاقتصار
وعلل الاجمال والتفصيل والاختصار في الصور الجزئية من احاديث المصابيح على وجه الاطناب في التوضيح
عونا للعلماء المتعلمين وتقريرا للقواعد السالفة في قلوب المبتدئين ودفعا للتردد عن قلوب المتاولين
لما عرفت ان لكل ذي فهم تشرف بفضيلة القدرة على التصرف والاستدلال وترقى الى درجة الفضل والكمال
فهم صورة التعارض في الكلام ومخالفته لمذهبه والمرام ويشرع في الترجيح والتوفيق لكن لا يرتقي فهم كل الى
ترجيح وتوفيق مقبول عند العقول وتاويل وتحقيق موافق للاصول والى التمييز بين الصحيح والسقيم
من الجواب وترك الضعيف واختيار الصواب لان ذلك شان معضل وامر مفضل اذ بذلك يظهر درجات
العلماء ومراتب الفضلاء كثيرا ما نرى المفسرين والمحدثين يختلفون في تاويل آية واحدة وحديث واحد
بحيث لا تقدر في كثير من المواضع على الترجيح والتوفيق بين تاويلاتهم وتتحير في التمييز بين الصحيح والضعيف
من توجيهاتهم فتضطر الى ان تختار ما يوافق مذهبك وترد الباقي لا بوجه برهاني وحجة بل بامر تقليدي
وتسليمي فليكن هذا اخر ما اورده الفقير من بيان الضوابط والتنبيهات والقواعد والتحقيقات لتاكيد الكلام
في باب الايمان والاسلام ولنشرع في سائر الابواب والاحكام قال فاخبرني عن الساعة قال ما المسئول عنها باعلم
من السائل فان قلت الظاهر في الجواب ما اعلم ولا يعلمها الا الله كما ارشد الله تعالى اليه بقوله يسالونك
عن الساعة ايان مرسها قل انما علمها عند ربي لا يجليها لوقتها الا هو ثقلت في السموات والارض لا تاتيكم
الا بغتة يسالونك كانك حفي عنها قل انما علمها عند الله قلت عدل عن الظاهر الى ما ذكر لنكتة وهي ان سوال
جبرائيل عم يدل على ان رسول الله عم يعلم حدوث وقت القيمة على اليقين لان السائل اذا لم يعرف ان
المسئول يعرف المسئول عنه ولذا رايت نفي العلم على المسئولة فان قلت قوله باعلم يدل على ان نفي زيادة علمه
على علم جبرئيل ولا يدل على انتفاء اصل العلم قلنا لما كان جبرئيل عم سائلا فهم منه في الظاهر انه لا يعرف معين وقت
حدوث الساعة واذا نفى النبي عم زيادة علم على علم فهم منه في الظاهر انتفاء اصل علم ويجوز ان يراد منها
اصل العلم علم مطلق وقوع الساعة ومن الزيادة في العلم علم وقوعها في وقت معين فمراده ح نفي زيادة العلم
وهو علم التعيين باب الكباير وعلامات النفاق قال النبي عم اربع من كن فيه كان
منافقا خالصا ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق اذا عاهد غدر واذا حدث كذب
واذا اتمن خان واذا خاصم فجر فان قلت ظاهر هذا الحديث مخالف لاصول الشرع لما عرفت بنص صحيح
ونقل صريح اقوى منه ان المؤمن لا يخرج عن ايمانه بارتكاب الكباير اذا لم يود الى تكذيب الشارع قلنا لم
معرفة بذلك قرينة اخراج مثل هذا الحديث عن الظاهر قال بعض الشراح في الجواب والتاويل ان النبي عم

علم

علم بالهام الله تع ان من اجتمع فيه تلك الخصال يصير منافقا لكن ذلك في نفاقه وقيل المراد من الحديث بيان
ان من استمر على تلك الخصال يعلم بذلك انه منافق قلنا هذه توجيهات مخرجة هذا الحديث عن ظاهره لكن
الاوسط اوسط كان المنافق صنفان منافق في الاعتقاد وهو كافر ومنافق في العمل والصفة وهو فاسق
وتلك لا تغفل ايضا عن ان قوله عم خالصا وخصلة منه يدل بظاهره على ان يكون منافقا حقيقيا وبمثل هذا
الدليل الاظهر حكم بذلك مثل حسن البصري الكامل في العلم والعمل ويمكن ان يقال لما وجد الايات والاحاديث
الدالة على مثل هذا الظاهر القطعية الدالة على ان المومن لا يخرج عن ايمانه بالكبيرة يكون المراد من قوله
خالصا زيادة التهديد كثرة ما في النفاق واجتماع علامته فيه او بيان انه منافق خالص في العمل او بيان
ان الاجتماع والاصرار يؤدي غالبا الى النفاق الحقيقي فاخرج الكلام مخرج الغالب للزجر عن ذلك بوجه بليغ او بيان
شدة عذاب من اجتمع فيه تلك العلايم للزجر البليغ كان المنافقين في الدرك الاسفل من النار وقد عرفت انه في
حديث آخر آية المنافق ثلاث لا يغلبه هذا الحديث لان الثلاث لا يمنع الاربع كما لا يمنع الاربع الزايد عليه وانه ذكر
الثلاثة في الاربع لاقتضاء المقام باب الايمان بالقدر قال النبي عم احتج آدم وموسى عليهما السلام
عند ربهما فحج ادم الحديث خلاصة معنى الحديث ان روح آدم وموسى عليهما السلام تصورا بصورتهما وقال موسى عم
لآدم اسكنك الله تع في جنته واهبطت انت بخطيئتك واكلك من الشجرة المنهية في وجه الارض وارتكب ذريتك بسببك
في المعاصي المودية الى العذاب ولو لم تاكل من الشجرة لبقوا في الجنة وتخلصوا من العصيان وعذابه وقال آدم عم في الجواب
يا موسى انت قرأت التورية وعلمت فيها ان الله تع قدر عصياني قبل وجودي باربعين عاما افتلومني على ذنب
قدره الله تع قبل خلقي فغلب آدم عم على موسى بالحجة والزمه وعلى جوابه والزامه اعتراض مشكل لان تقدير ذنب آدم عم
قبل خلقه لو كان رافعا اللوم عليه لكان تقدير ذنوب بنيه قبل خلقهم دافعا العذاب عنهم لعدم قدرتهم على ترك الذنب
واجاب بعض الشراح عنه بان يقال لوم موسى عم كان بعد توبة آدم وغفران الله ولذا لم يكن موجها وقيل
كان محاجتهما بعد خروج آدم عن دار التكليف ولذا الحج موسى عم وقيل اللوم والتوبيخ على ذنبه مخصوص بالله فلم يكن
لوم موسى موجها وقيل كان لومه بعد ظهور الحقايق في الآخرة ولذا الزم موسى عم يقول الفقير تلك الاجوبة غير مناسبة
لمتن الحديث لان آدم عم قال في الجواب افتلومني على عمل قدره الله قبل خلقي مع ان الخروج عن دار التكليف
لا يدفع اللوم والا لا يكون احد من العصاة ملوما على عصيانه في الآخرة ولو كان اللوم والتوبيخ مخصوصا بالله
لا يكون للتوبيخ الانبياء والعلماء في الدنيا وتوبيخ الآخرة على العصاة وجه وليس كذلك وايضا تظهر في الآخرة
حقيقة الامر والحال في مسئلة القضاء والقدر ولا يدفع ذلك الظهور اللوم والتعذيب على المعصية فلا بد في دفع ذلك
الاعتراض القوي من جواب شاف وكلام وافٍ فنقول مستعينا بالله وفضله الشامل وتوفيقه وفيضه الكامل
اعلم ان ظاهر قول آدم عم افتلومني يدل على الجبر والاضطرار كما ذهب اليه جمهور الشافعية لانهم يقولون
قدرة العبد غير مؤثرة في افعاله الاختيارية كما لا يؤثر في افعاله الاضطرارية لكن يصح اللوم والتعذيب على فعل خارج
عن قدرته بان لم يقدر على تركه واختياره وغيره لان الله تع مالك حقيقي يفعل في ملكه ما يشاء ولا يسأل عما يفعل ولا
يعترض عليه لانه لا يتصرف في ملك الغير ويكفي في كون العبد مكلفا وفعله مدارا للثواب والعقاب كونه محله

لخلق الطاعة والمعصية والحنفيون يقولون بقدرة العبد واختياره تاثير في افعاله الاختيارية فيكون الزام
آدم موسى عليهما السلام بقوله افتلومني على عمل قدره الله قبل خلقي هادما مذهبهم لان ذلك يدل على ان لا تاثير
لقدرة العبد في افعاله الاختيارية لانه لا يقدر على مخالفة ما قدره الله تع عليه بسبب قدرته وارادته فيلزم منه ان يكون
مجبورا في افعاله لسبق تقدير الله فيه اذ لو كان لقدرته تاثير يتيسر لموسى عم ان يقول لآدم عم ولك قدرة موثرة
وارادة واختيار في ترك الاكل عن الشجرة المنهية ولم تعلم انت تقدير الله الاكل في ذلك الوقت فلم لم تمتنع عنه
ولم تختر الطاعة امر الله فلا بد لهم من الجواب فيمكن ان يقال على مذهبنا المنصور المتجافي عن طرفي الافراط والقصور
ان للافعال الاختيارية تعلقين تعلقا بقدرة الله على وجه الخلق والايجاد بالاستبداد وتعلقا بقدرة العبد
على وجه الكسب بدون الانفراد فمدار اللوم والعقاب والمدح والثواب ذلك الكسب والاختيار فان قلت
قدرة الله تع غالبة ومستقلة وقدرة العبد مغلوبة تابعة فلا يقدر العبد على ان يفعل خلاف ما قدره الله تع
وارادة قبل خلق العبد فيلزم من ذلك الجبر والاضطرار وعدم القدرة والاختيار فكيف يكون قدرته
واختياره مدار الثواب والعقاب قلنا نعم الامر كذلك اذا نظرت الى ذات القدرتين والارادتين لكن
اذا تدبرت في ان سنة الله جارية على انه لا يوجد الافعال الاختيارية الا بعد تعلق قدرة العبد وتوجهه
واختياره تلك الافعال الاختيارية وان كان الله تع قادرا على عدم خلقها بعد توجه العبد وارادته اياها
وعلى خلقها بدون واسطة قدرة العبد واختياره وفي ان الامر والنهي وانزال الكتب وارسال الرسل
وامرهم بغاية الجد والاجتهاد في الدعوة والتبليغ ومحبة المطيعين والاحسان اليهم وعداوة العاصين
واباحة قهر الكفار وقتلهم وسبي اموالهم واولادهم والمدح والوعد بالجنة والقربة والكرامة على عبادة
المطيعين واعمالهم والذم والوعيد بالنار وانواع العذاب على عصيان المذنبين وافعالهم فهمت ما نقول
الى زيادة الاطناب والكشف في سر القضاء والقدر ولصعوبة كشف هذا المقام زعمت المعتزلة ان العبد
مستقل في افعاله الاختيارية وقادر على مخالفة ارادة الله وان لا تاثير لقدرة الله تع في افعاله الاختيارية
وقالوا هذا الحديث حكاية عن البعض الا ان الراوي لما دخل على رسول الله وظن انه اخبر عن نفسه فقال بعضهم
آدم مغلوب والغالب هو موسى عم واعلم ان ما قاله الشافعيون لنظرهم الى مجرد قدرة الله تعالى
القاهرة ونحن ملتزمون ومعترفون به لكنا نقول لله الحكم الباهرة ايضا فلا بد من الجمع بينهما نعم سلمنا ان الله تع
مالك مطلق يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد فلا راد لقضائه ولا مانع لحكمه كما اشار الى ذلك بقوله تع ولو يشاء الله
لهدى الناس جميعا وما تشاؤون الا ان يشاء الله ولكنا نعلم ايضا ان حكمه وفعله غير خارج عن سنن الحكمة
والعادة الالهية الا في موضع الاحتياج الى خرق العادة وان الوعد والوعيد على افعال العباد واضافتها
اليهم وتعلق الرضى والسخط والمدح والذم عليها في مواضع لا تحصى ليس بمجرد خلق الافعال في ذواتهم كما توهم
لان ذلك خارج عن طريق الحكمة ونسق النظم بل كان ذلك لتعلق خلق الافعال الاختيارية بتوجه العبد على
سبيل السنة الالهية لا على الايجاب والعلية فان قلت التوجه والاختيار يوجد بخلق الله تع فيلزم الجبر
قلنا التوجه والارادة امر اعتباري لا يحتاج الى الفاعل ولو سلم فلن يجوز ان يخلق الله تع ارادتنا على ان

على ان تعلق قدرتنا بالفعل او الترك على سبيل الجواز و الاختيار لا على سبيل الوجوب و الاضطرار كما انه تعالى
فاعل مختار لم يلزم منه ايجاده بالارادة وجوب الايجاد بحسب الذات فان قلت ارادة الله تعالى قديمة وارادة
العبد حادثة قلنا كلامنا على ان الفعل و الترك مع الارادة لا تؤدي الى الجبر سواء كانت الارادة قديمة
او حادثة واذا عرفت هذا القدر من التحقيق في هذا المقام الدقيق واردت معرفة وجه الجواب المستقيم
في الزام آدم موسى عليهما السلام حتى خرجت عن شبهة الجبر فاعلم ان قول آدم عم افتلومني على عمل
قدره الله تعالى قبل خلقي مشتمل على القيدين كون موسى مباشرا في اللوم وكون ذنب آدم مقدرا قبل وجوده
فيكون الكلام نصا في بيان ذينك القيدين فظاهرا واشارة في غيرهما لما عرفت في الاصول ان سوق الكلام
المقيد مثبتا كان او منفيا يكون لاجل بيان القيد فذهب البعض الى ان الانكار المستفاد من الهمزة في افتلومني
يكون لكون موسى عم مباشرا في لومه وقد عرفت ان لا وجه له فتعين ان يكون الانكار راجعا الى لوم على عمل مقدر
قبل وجود آدم فتوجه الاعتراض المشكل فنجيب على مذهبنا المنصور ان عصيان آدم عم صدر وجوده بواسطة
القدرتين وله يد فيه من حيث خلقتهما لانه فعل اختياري لكن لما نظر موسى عم فيه الى مجرد قدرة آدم عم لقوله
قد اهبطت بخطيئتك و هذا مشعر ظاهرا بعدم اعتبار قدرة الله تعالى التي هي الاصل و المستقل بحسب الذات
وان كان تاثيرها موقوفا على توجه العبد باعتبار السنة الالهية فيكون انكار آدم عم بقوله افتلومني راجعا
الى تخصيص موسى عم قدرة آدم بصدور المعصية لا الى تبرئة نفسه عن تلك المعصية وعدم تعلق قدرته
واختياره بها لما عرفت انه عم قال ربنا ظلمنا انفسنا وقال الله تعالى وعصى آدم ربه فغوى وقال الم انهكما
عن تلكما الشجرة وقال فازلهما الشيطان عنها وقال اهبطا منها جميعا فله مدخل في الجمع و التكلم فان قلت
الادب ان ينسب آدم ذنبه الى قدرته وكسبه و اختياره وان كانت قاصرة بحسب الذات قلنا ذلك مسلم
في موضع التضرع و التوبة لكن لما كان المقام موضع المناظرة والالزام والمباحثة و الاعلام يجوز ان يعتبر
الجانب الاقوى واذا عرفت ذلك فاعلم ان الزام آدم موسى بتزييف دليله لا بتضعيف مدعاه فكانه قال
اني مستحق باللوم و التوبيخ لصدور العصيان مني لكنك يا موسى اخطأت باسناد تلك المعصية الى قدرتي
بعبارة دالة بالظاهر على استقلالي فيه مع انك نبي عارف بان الاصل و المستقل فيه قدرة الله تعالى فاللائق بشانك
ان تنظر الى الجانبين لما عرفت ان النظر باحدهما مجردا ينبئ عن الجبر او القدر وامثال هذه النكتة كثيرة
منها قوله عم لابي هريرة جف القلم بما انت لاق فاختص او ذر يعني ان ابا هريرة رضي الله عنه نظر الى السبب
وزعم انه تام في وجود المسبب و دفعه وقال اريد ان اختصي حتى اسلم من شر الشهوة الباعثة
الى الزنا والتاهل فرد النبي عم كلامه لما دل بظاهره مجردا الى ملاحظة السبب وترك الطرف الاقوي في قوله
عن ان باشر الاسباب باعتبار السنة الالهية لا باعتبار الايجاب و العلية اذ لو اراد الله امرا بخلاف العادة
والسبب يوجد ذلك الامر و لا يندفع ذلك بانعدام السبب العادي فان الولد او الزنا لا يندفع بانعدام
الخصية اذ يجوز ان يحصل اثم الزنا او الولد بمجرد السحق واللمس بالشهوة او انزال الماء بدون الالة
لقوة الشهوة لا لملاحظة السبب لان ذلك مشروع ومستحسن لما عرفت ان بعثة الانبياء وانزال الكتب ووضع الشرع

لبيان ان للاسباب دخلا وتاثيرا وان لم يكن مستقلا والاحاديث الدالة على ذلك كثيرة كقوله عم ما من مولود الا يولد
على الفطرة فابواه يهودانه ويمجسانه وينصرانه يعني ان خلقة الانسان يدل على انه مخلوق للعبادة والطاعة قابل
لها لكن ابواه يغويانه ويخرجانه عن فطرة الله التي فطر الناس عليها وفيه رمز الى ان للاغواء ومصاحبة الفجار
اثرا في فعل المعصية كما ان للدعوة والنصيحة اثرا في فعل العبادة وتحصيل الاستقامة فيندفع بذلك التوجيه
شبهة الجبر عن قوله اتلومني على عمل قدره الله تع قبل خلقي فان عرفت وقلت قد تعلق علم الله تعالى
في ازل الازال بصدور المعصية عن آدم وعدم صدورها عنه محال فلا تقدر على تركها فتعلق القدرة والاختيار فيه
سواء كان قدرته مؤثرة قلنا تعلق علم الله تع بمعصيته على تقدير ان يفعلها بقدرته واختياره بمعنى ان يتوجه عليها
او غير موثر صح
ويختارها فيخلق الله تع اياها بعد ذلك على وجه العادة وطريق السنة الالهية فلا يلزم الجبر وهذا معنى قول
بعض العلماء ان العلم تابع للمعلوم والارادة تابعة للمراد يعني تعلق علمه تع وارادته في الازل بالمعلومات
والموجودات المترتبة في الوجود العيني على نسق ان يختارها المكلفون ويتوجهون الى فعلها لا على
ما يخالفها فتامل ذلك فانه دقيق وبالتحقيق حقيق وهذا قريب مما يقوله بعض المشايخ ان الممكنات
الموجودة المترتبة اقتضى كل واحد منها ما يناسب استعداده في النشاة العلمية والوجود العيني فافاض الله تع
على كل واحد منها من الاوضاع والاوصاف والاعراض على حسب ما يقتضيه وحكم على الله تع به ولا يمكن المخالفة
فيه لانه خارج عن الحكم لكن فيه بعض الخروج عن ظواهر الشرع واعلم ان معرفة ما قدر لكل احد في الازل
لا يمكن حتى يشرع في العمل على وفقه بل المعلوم له انه مامور بفعل الطاعة على غاية الامكان والقدرة ومنهي
عن اجتناب المعصية متعللا بان العبد لا يقدر على الخروج عما قدر له فان كل عاقل يعلم انه يفعل كل فعل
اختياري بلا اضطرار ويتركه بلا اجبار وطلب الدليل للامر الوجداني والعادي غير مستقيم وان الله تع
رغبه في العبادة ومدح على فعلها ووعد بالجنة عليها ومنع عن المعصية وذم واوعد بالنار والعقوبة عليها
وان الخلف في وعده ووعيده محال فالواجب على كل متدين ان لا يتجاوز عن هذا المقدار اذ فيما وراءه اغواء
واضطرار باب في اثبات عذاب القبر قال النبي عم المسلم اذا سئل في القبر يشهد ان لا اله الا الله وان محمدا
رسول الله فذلك قوله تع يثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت في الحيوة الدنيا وفي الاخرة واذا قيل له من ربك
وما دينك ومن نبيك يقول ربي الله وديني الاسلام ونبيي محمد وفي رواية انس اتاه ملكان فيقعدانه
فيقولان ما كنت تقول في هذا الرجل لمحمد يقول المؤمن اشهد انه عبده ورسوله فيقال له انظر الى مقعدك من النار
وقد ابدلك الله به مقعدا من الجنة فيراهما جميعا واما المنافق والكافر فيقال له ما كنت تقول في هذا الرجل لمحمد
فيقول ما ادري كنت اقول ما يقوله الناس فيقال له لا دريت ولا تليت ويضرب بمطرقة من حديد فيصيح
صيحة يسمعها غير الثقلين عن عبد الله بن عمر انه قال اذا مات احدكم عرض عليه مقعده بالغداة والعشي
ان كان من اهل الجنة فمن اهل الجنة وان كان من اهل النار فمن اهل النار فيقال له هذا مقعدك الى ان
يبعثك الله تع اليه في يوم القيمة وفي رواية ابي هريرة اتاه ملكان اسودان ازرقان يقال لاحدهما النكير
وللاخر المنكر فيقولان ما كنت تقول في هذا الرجل فيقول المومن هو عبد الله ورسوله اشهد ان لا اله الا الله

على قدر الطاقة فالواجب على كل مكلف ان يجهد في العبادة ويحترز عن المعصية والتهاون في امر العبادة والاجتناب عن المعصية صح

وان محمدا عبده ورسوله فيقولان قد كنا نعلم انك تقول هذا ثم يفسح له في قبره سبعون ذراعا في سبعين ذراعا
ثم ينور له فيه ثم يقال له نم فيقول ارجع الى اهلي فاخبرهم عن حالي فيقولان نم كنومة العروس لا يوقظه
الا احب اهله اليه حتى يبعثه من مضجعه ذلك وان كان منافقا يقول سمعت الناس يقولون قولا
فقلت مثل قولهم لا ادري فيقولان قد كنا نعلم انك تقول ذلك فيقال للارض التئمي عليه فيلتئم عليه فيختلف
اضلاعه فلا يزال فيه معذبا حتى يبعثه الله من مضجعه وفي رواية البراء بن عازب فيقولان للمؤمن
ما دينك فيقول قرأت كتاب الله تعالى فآمنت به وصدقت فينادي مناد من السماء ان صدق عبدي
فافرشوه من الجنة والبسوه من الجنة وافتحوا له بابا الى الجنة فيأتيه من روحها وطيبها ويفسح له فيه
مد بصره واما الكافر فذكر موته قال وتعاد روحه فيأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان من ربك فيقول
هاه هاه لا ادري فيقولان له ما دينك فيقول هاه هاه لا ادري فيقولان ما هذا الرجل الذي بعث فيكم فيقول
هاه هاه لا ادري فينادي مناد من السماء ان كذب فافرشوه من النار والبسوه وافتحوا له بابا الى النار
قال فيأتيه من حرها وسمومها ويضيق عليه قبره حتى تختلف اضلاعه ثم يقيض له اعمى واصم معه مرزبة
من حديد لو ضرب بها اعظم جبل لصار ترابا فيضربه ضربة يسمعها ما بين المشرق والمغرب الا الثقلين فيصير ترابا
ثم تعاد فيه الروح وفي رواية ابي سعيد يسلط على الكافر في قبره تسعة وتسعون تنينا تنهشه وتلدغه
حتى تقوم الساعة ولو ان تنينا منها نفخ في الارض ما انبتت خضرا اعلم ايها المتعلم والمسترشد قد وقع
في عبارات الاحاديث في هذا الباب اختلافات كثيرة في صفة الملكين وقولهما وفي حال الميت وقبره فلا بد
لك فيه من التوفيق لما عرفت ان لا تعارض في كلام الشارع لان ذلك اما للجهل او للتقرير على الخطاء والنسيان
في امور الدين ونبينا عم مصون عنها بفضل الله تعالى فنقول ايضا فيه وبالله التوفيق في الكلام الرفيق فاعلم
كلية ضابطة لتاويل هذه الاحاديث وامثالها لانها كثيرة في كلام الشارع فلا بد فيها من معرفة اصل كلي حتى
يقدر المستدل بها على التاويل والتوفيق ووجه التفصي عن التردد فيها فاعلم ان الاختلاف بين الاحاديث
في قضية واحدة ومعنى واحد قد يكون بالنقصان والزيادة وقد يكون بالتركيب والعبارة وقد يكون
الاختلاف في حديث واحد بالتاويل والازالة والاول قد يكون بذهول السامع عن الزائد لنوم وغفلة او مجيئه
بعد صدور بعض الحديث او ذهابه قبل تمامه او نسيانه بعض الفاظه هذا اذا كان زمان صدور الحديثين
المختلفين واحدا وان كان زمانهما مختلفين يحتمل ان يكون الاختلاف المذكور لذلك وان يكون باعتبار
الحال والمقام لان النبي عم افضل الخطباء واكمل البلغاء يؤدي المقصود الواحد بعبارات مختلفة في
الايجاز والاطناب والتفصيل والاجمال وقد يزيد في الكلام وينقص ويبالغ ويتساهل في الوعد
والوعيد والترغيب والترهيب نظرا الى حال المخاطبين واقتضاء المقام وقد نص بعض ارباب الاصول
بما ذكرنا بان الاختلاف الناشئ من الراويين او اكثر ويحمل الاختلاف الناشئ من راو واحد على غفلته
عن الزائد ونسيانه وانت تعرف ان ما في الاحتمالات مباحث فيه لكن ينبغي ان يعرف بعض المقتضيات
حتى يتصور الاختلافات ولا يستنكر بذهولك عن اسبابها فاعلم ان المقتضي قد يكون حال المتكلم او السامع

او الوقت لان المتكلم قد يكون في بعض الاوقات على الشوق والنشاط والحرص وشدة الرغبة في صوغ الكلام
او في غاية الاهتمام بحال السامع في نظم الكلام على وجه التفصيل والتصريح فيبسط كلامه ويطنب نظامه
وقد يكون في بعض الاوقات على خلاف تلك الاحوال فيوجز كلامه ويجمل وقد يكون المقتضي حال السامع
ايضا بان يكون حريصا وراغبا في استماع كلام المتكلم ويتبرك ويتشرف به او يكون في فهمه فتور وفي قلبه
قصور ويكون المتكلم مراعيا حاله فيقتضي ذلك اطناب الكلام فينبسط المتكلم في كلامه ايضا وقد يكون
حال المخاطب على خلاف ذلك فيقتضي الاختصار فيوجز كلامه المتكلم كلامه وقد يكون مقتضى الوقت والحال
بان يكون المقام مقام التضرع والتوبة او السوال والشكاية او المدح والدعاء وعرض الحاجة او الوعد والوعيد
على وجه التاكيد او التيسير والتحريض او الترغيب والتنفير او اللوم والتعيير على وجه المبالغة فيقتضي ذلك
البسط والاطناب فيبسط الكلام وقد يكون الحال والوقت على خلاف ذلك فيقتضي الايجاز فيوجز
وما اضفنا من الاحوال الى المقام يجوز ان يعتبر في المتكلم والسامع ايضا فينحصر بجميع المقتضيات للاحوال
فيهما لكن لما جرى عرف ارباب المعاني على اضافة الاحوال المذكورة الى المقام خصصنا بعض الاحوال بالمقام على ذلك
العرف والطريقة والثاني قد يكون للتفنن في نظم الكلام على تادية معنى واحد لاقتضاء المقام وقد يكون لجهة النقل
بالمعنى والثالث قد يكون لعدم تعين المعنى المجازي للماول بعد ثبوت قرينة صارفة عن ارادة المعنى الحقيقي فيقع
الاختلاف في تاويل الحديث الوارد في معنى واحد فاحفظ هذه الضابطة النافعة ايضا كما حفظت قبل هذا
قاعدة الجمع والتوفيق وضابطة الترجيح والتحقيق في دفع التعارض الظاهر وتصحيح الاحاديث المخالفة
للاصل الاصولي حتى ينكشف لك الامر ايضا في اختلاف الاحاديث بالزيادة والنقصان او بالعبارة والبيان او
بالتاويل والبيان في معنى واحد وان اردت زيادة التوضيح والتصريح وعدم الاكتفاء بالقاعدة الدافعة لترددك
في الاختلاف المذكور في احوال القبر واهله واختلاف احتماله فاعلم انه يجوز ان يكون جميع الاحوال
موجودة في كل قبر من قبر المؤمن والكافر لكن بين النبي عم احوالها تارة مفصلة وتارة مجملة بحسب اقتضاء
المقام ذلك فيكون الموجز مندرجا في المجمل والمختصر بعضا من الزائد مثلا يجوز ان يكون الملكان في كل قبر
متشخصين فياتيان كل كافر اذا وضع في قبره وتولى عنه اصحابه وانه ليسمع قرع نعالهم فيعاد روحه ويقال
لاحدهما المنكر والاخر النكير وهما اسودان ازرقان اصمان اعميان ويجلسان كل كافر ويقولان له ما كنت
تقول في هذا الرجل لمحمد عم فيقال هاه هاه لا ادري وكنت اقول ما يقول الناس فيقولان لا دريت
ولا تليت وقد كنا نعلم من قبل هذا ان يقول كذلك فينادي مناد من السماء ان كذب فافرشوا من النار
والبسوه من النار ويعرض عليه مقعده في جهنم بالغداة والعشي ويقال للارض التئمي فتلتئم فيضيق حتى
تختلف فيه اضلاعه ويسلط عليه تسعة وتسعون تنينا تنهشه وتلدغه حتى تقوم الساعة لو ان تنينا منها
نفخ في الارض ما انبت خضرا ويضربه الملكان ايضا بمرزبة من حديد لو ضرب بها جبل لصار ترابا فيضرب
بها ضربة يسمع ما بين المشرق والمغرب الا الثقلين فيصير ترابا ثم يعاد روحه يفعل هكذا الى يوم القيمة
لكن اخبر النبي عم عن هذه الاحوال في مجالس متعددة بعبارات متفاوتة في التركيب متحدة في المقصود تارة

على وجه الاطناب والتمام وتارة على وجه الايجاز والاجمال لاقتضاء المقام ذلك وقس عليه احوال قبر المؤمن
في اختلاف العبارة واتحاد المقصود والايجاز والاطناب ويجوز ان يقال الملكان متعدد ان كان ملكان
نكرة وان يكون الميت متعددا فيكون اختلاف الاحاديث لاختلاف احوال القبر لما عرفت ان اختلاف الاعمال
يقتضي اختلاف الاحوال في القبر والحشر والميزان والحساب والجنة والنار وقد بين الامام الداعي الى الله تع
في الدرة الفاخرة تفاصيل احوال القبر واهله بحيث لم يذكر تلك الاحوال في الكتب المشهورة ولا يبعد في ذلك
بل لعل احوالا اخر لم يذكرها النبي عم لقصور فهم السامعين عن ادراكها لكن ظاهر عبارة الحديث تدل
على ان الاختلاف من جهة الايجاز والاطناب والزيادة والنقصان بحسب اقتضاء الحال والزمان
لان قوله عم المسلم اذا سئل في القبر وقوله واما المنافق والكافر وقوله ان احدكم اذا مات وقوله
اذا قبر الميت يدل في الظاهر على ان حال كل ميت ما ذكر في الاحاديث المذكورة فان قلت يمكن
ان يقال اللام في المسلم والميت والمنافق والكافر للجنس او للعهد الذهني لا للاستغراق ومعنى احدكم بعضكم
قلنا يجوز ذلك بالاحتمال العقلي لكن تعرف وانت الفرق بين التاويل والتحقيق ويجوز ايضا
ان يقال بعض احوال المؤمن والكافر في بعض الوقت وبعضها في بعض الوقت حتى لا يلزم التزاحم الظاهر
وان يقال ايضا الزيادة والنقصان لذهول بعض السامعين عن الزائد لبعض الموانع التي ذكر تفصيلها
لكن ذلك ترجيح تاويل مرجوح لا يناسب المقام ومتن الحديث وقد ذهب بعض اهل الاهواء الى ان
العبارات المختلفة في احوال قبر المؤمن والكافر تمثيل للآلام واللذات الروحانية حتى تقرر في ذهن السامع
وهذا باطل لانك عرفت انه ما لم يمتنع المعنى الحقيقي بالبرهان القطعي من النقلي او العقلي في النصوص الواردة في
احوال القبر واحكام المعاد كما عدل عن الظاهر في خبر ذبح الموت في صورة الكبش ووزن الاعمال
في صورة الاجسام لان العرض لا يكون جسما لامتناع قلب الحقايق فيكون ذلك تمثيلا لانقطاع الموت
واعلام ثبوت مقادير الاعمال لا يعدل عنه الى المعنى المجازي لان اكثر احكامها على خلاف العرف
والعادة فلو اخرجت عن ظواهرها بقرينة مخالفتها للعرف والعادة لوقع الخلل في عقايد العوام ولمالوا
الى مذهب اهل الاهواء ورد جميع احوالها الى الروحانية كما قالت المعتزلة ان الميت اذا مات يبطل بنيته
وهو لا يعلم فلا يتيسر له الادراكات المحسوسة فيكون ذكر احوال الميت وثباتها بالامور الجسمانية للترغيب والترهيب
لكن من تخلص عن ذل الجمود والبلادة وتعارض الوهم والغباوة يفهم ان الله تع قادر على ان يجمع
جميع الحواس الظاهرة والباطنة في ذرات من تراب الميت فيلتذ بسببها بجميع اللذات الجسمانية والروحانية
ويتالم بآلامها فلا يخرج الاحاديث الواردة في احوال الميت والقبر عن ظاهرها وتاويل تلك الاحاديث بما ذكرنا
ولا يزيغ عن المنهج الشرعي المستقيم بالتوهمات الباطلة نعم قد يخرج بعض اهل السنة بعض النصوص الشرعية
الواردة في احوال الاخرة عن ظاهره بمخالفة مفهومه للعادة وستعرف تحقيق امثاله في احوال اهل الجنة والنار
وحاشا كلاها باب الاعتصام بالسنة والكتاب قال عبد الله بن عمر هجرت الى رسول الله صلعم يوما
فسمع صوت رجلين اختلفا في آية فخرج تعرف في وجهه الغضب فقال انما هلك من كان قبلكم باختلافهم

في الكتاب وقال ايضا في موضع اخر ذروني ما تركتكم وانما هلك من كان قبلكم بكثرة سوالهم واختلافهم على انبيائهم
واذا امرتكم بشيء فاتوا منه ما استطعتم فاذا نهيتكم عن شيء فدعوه فان قلت قال النبي عم في كتاب العلم هلا
تساءلوا اذا لم يعلموا وانما شفاء العي السوال وقال في موضع اخر اختلاف امتي رحمة فهم منه ان السوال والاختلاف
مستحب ومن الاول انه منكر ومنقوض فكيف التوفيق بينهما قلنا غضب النبي عم لكون السوال في غير موضع
الحاجة او لكثرة وافراطه ونهيه ايضا عن الاختلاف وتحذيره لكونه على وجه العناد وسوء الظن او بدون
العلم والدليل العقلي او الشرعي كسوال بني اسرائيل في البقرة بعد قول موسى عم ان الله يامركم ان تذبحوا بقرة
فان البقرة اسم جنس يطلق على كل فرد في اي سن كان وباي وصف اتصف فالسوال عن سنها وعن بيان السن
عن وصفها سوال في غير موضع الحاجة تشعر ذلك بالانكار وعدم الاعتقاد على قول نبيهم وكسوال عبدة الاصنام
على وجه الانكار والاستهزاء بقولهم االهتنا خير ام هو ولذا قال الله تبارك وتعالى ما ضربوه لك الا جدلا بل هم قوم
خصمون نعم سالوك يا محمد عن حال الهتهم كالملئكة والشمس والنجوم وحال عيسى للاسترشاد وطلب الحق
بل مقصودهم من السوال المجادلة والمعارضة بالباطل والاختلاف المنكر ايضا كاختلاف بني اسرائيل بعد نبيهم
واختلاف اهل الاهواء على حسب اهوائهم كالجبرية والقدرية والمشبهة والمعطلة والجسمية لان هذا ايضا اختلاف
بدون الدليل الشرعي والعقلي في ترويج الباطل لا في اظهار الحق والصواب بهما والسوال المامور السوال عند
الحاجة بان يكون في اللفظ ابهام واجمال او يكون بعض النصوص مخالفا لنص اخر في الظاهر كما قال الله تعالى
يسالونك ماذا ينفقون وقال تع يسالونك عن الشهر الحرام وقال تع يسالونك عن اليتامى وكما قال النبي عم في حق
قوم لم يجوزوا التيمم بجنب مجروح فاغتسل ومات قتلوه قتلهم الله تع هلا يسالوا اذا لم يعلموا وانما
شفاء العي السوال وهذا سوال عند الحاجة والسوال عند الابهام كثير ايضا حتى سال نبينا افضل البلغاء عم
جبريل عن تصريح معنى بعض نظم القرآن حتى قال الله تع فيه لا تعجل بالقران من قبل ان يقضى اليك وحيه وقال
تع لا تحرك به لسانك لتعجل به ان علينا جمعه وقرانه فاذا قراناه فاتبع قرانه ثم ان علينا بيانه والسوال عن التوفيق
والترجيح بين النصوص المتدافعة في الظاهر كثير اذا كثر سوال المتعلمين عن ذلك والمراد من اختلاف الامة
اختلاف دواعيهم او داعية بعضهم تدعوا الى الاشتغال بالعلم الديني وهمة بعضهم مصروف الى استكمال
علم القيل والقال وداعية بعضهم متوجهة الى العبادة والعزلة وبعضهم الى الجهاد والمجاهدة وبعضهم
الى نوع من الحرف وانما الهم الله تع كل صنف من الامم داعية تخالف داعية الاخر حتى ينتظم باختلاف
دواعيهم واعمالهم امور الدين والدنيا وذلك من اثار رحمة الله رب العالمين او المراد من ذلك الاختلاف
اختلاف المجتهدين في استنباط الاحكام الدينية والدنيوية من النصوص الخفية الدالة على تلك الاحكام
وذلك ايضا من اثار رحمة الله تع لان ما يتولد من تلاحق الافكار وتصادم الانظار ظهور الحق للمسترشدين
المنصفين لما عرفت ان الله تع يفيض على كل واحد من العلماء المتوجهين الى حضرة الله تع مع تكميل الظاهر
بالعبادات الصالحة وتطهير الباطن عن الاوصاف الردية وتحلية القلب بالاخلاق المنجية فيضا
خاصا وعلما بديعا ولان فيه منافع كثيرة للعوام من التوسع والترخيص كما اذا اراد الحنفي دفع الحرج

والغرض

والضرورة في بعض الحوادث يحكم بمذهب الشافعي وغيره وكذا غير الحنفي يحكم بمذهب الحنفي عند الضرورة

كتاب الصلوة

عن انس رضه قال جاء رجل الى النبي عم فقال اني اصبت حدا فاقمه علي الحد ولم يسأل النبي عم عنه وحضرت الصلوة فصلى الرجل مع النبي عم ثم قام فقال يا رسول الله اني اصبت الحد فاقم في كتاب الله قال عم اقد صليت معنا قال نعم قال فان الله تبارك وتعالى قد غفر ذنبك او حدك فان قلت قوله فاقم على الحد يدل على ان ذنبه كبيرة وهي لا يذهب بالصلوة بل بالتوبة فكيف قال قد غفر ذنبك قلنا يمكن ان يقال المراد من الحد جزاء الذنب بقرينة قوله بعد ذلك فاقم في كتاب الله اي حكمه في ذلك فيكون الحد مستعملا في معناه اللغوي وهو منع جزاء الاثم عن المعاودة اليه وقيل قصة ذلك الرجل انه من اهل السوق وجاءت امراة جميلة اليه لان تشتري منه تمرا فقال في البيت اجود منه فذهب بها الى بيته فاخذها فضمها الى نفسه فلما اراد ان يباشرها فقالت تلك المرأة اتق الله فارسلها وندم على فعله واتى النبي عم فقال اقم في كتاب الله ولو سلمنا ان ذلك كبيرة قلنا يجوز ان لا نعلم في ذلك الوقت تكفر الكبيرة ونعمل بظاهر قوله تع ان الحسنات يذهبن السيئات كما قال النبي عم اتبع السيئة الحسنة تمحها ولا نستبعد ذلك فان اكثر احكام الشرع لا يدرك بالعقل ولذا قال الله تعالى عفى الله عنك لم اذنت لهم او قلنا مقصود النبي عم من ذلك الكلام التحريض على الستر او قلنا غاية اللوم السائل ورقة قلبه وتضرعه محت جزاء تلك الكبيرة قال النبي عم بين العبد وبين الكفر ترك الصلوة اي المانع بين العبد وبين دخوله الكفر الصلوة واذا ترك دخل الكفر او الواصل بين العبد وبين الكفر ترك الصلوة فان قلت قال النبي عم لا يكفر المومن بذنب ولا يخرجه عن الايمان بعمل فكيف حكم هنا بكفره لترك الصلوة قلنا الحديث الذي ذكرته وامثاله من النصوص الواجبة قرينة تعليلية دالة على انه ليس المراد من الكفر اللازم بترك الصلوة الكفر الحقيقي بل معناه المجازي وهو المنع عن ترك الصلوة بابلغ الوجوه او يقال ترك الصلوة ينافي مقتضى الايمان فنزل منزلة الكفر او يقال ترك الصلوة من افعال الكفرة وخصالهم فشبه تارك الصلوة بهم فنزل الترك منزلة الكفر او يقال ترك الصلوة ينافي كمال الايمان والناقص ينزل منزلة المعدوم في اعتبارات البلغاء فنزل الترك منزلة الكفر الحاصل اذا تعذر المعنى الحقيقي بقرينة يصار الى المعنى المجازي المناسب للمقام واذا تعذر المعنى المجازي فتعيين المناسب للمقام من خواص الحذاق وليس ذلك حظ امثالنا وقال بعض الشراح المراد من الترك الترك على سبيل الاستخفاف او الانكار ولذا قيل ترك الصلوة دليل الكفر وهذا من محتملات الكلام وانت تعرف من بينها ما يناسب المقام ولو نظرت الى مجرد الاحتمال العقلي لجاز ان يقال المراد من الكفر ستر الحق وستر نعمة الايمان قال النبي عم خمس صلوات افترضهن الله تع من احسن وضوءهن وصلوهن لوقتهن واتم ركوعهن وخشوعهن كان له على الله عهد ان يغفر له ومن لم يفعل فليس على الله عهد ان شاء غفر له وان شاء عذبه فان قلت هذا يدل على ان الصلوات الخمس سبب للمغفرة وموجب لدخول الجنة لقوله كان له عهد ولا يحتاج فيه الى سبب اخر وقوله عم صلوا خمسكم وصوموا شهركم وادوا زكوة اموالكم واطيعوا اذا امركم تدخلوا جنة ربكم يدل على ان مجرد الصلوة لا يكفي في النجاة ودخول الجنة والا لا يكون لضم الصوم والزكوة والطاعة الا مزيد فايدة قلنا قد عرفت جواب مثل هذا السوال من الضابطة المذكورة

آن الصلوة لام

على الله عهد

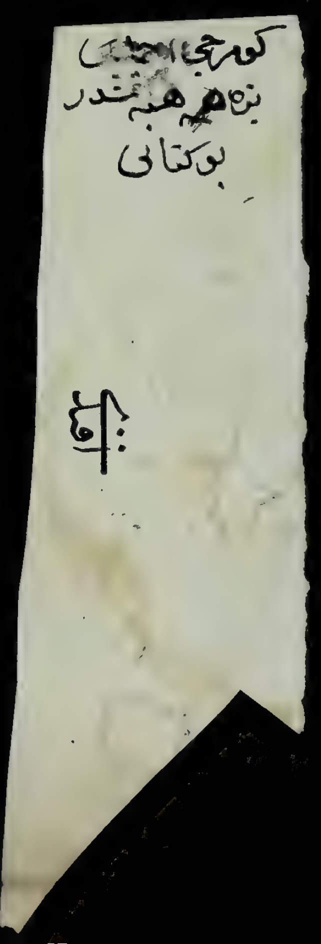
فقد ليس المراد من الحديث ظاهر معناه لقرينة نقلية فيجوز ان يراد من المغفرة مغفرة الصغاير لا الكباير وقوله على الله عمل يرمز الى الوعد الوجوبي ب الوعدي لما عرفت ان الله تع وعد بدخول الجنة على الطاعة اذا لم يمنع مانع ولو سلمنا انها تكفي فى المغفرة ودخول الجنة قلنا قد عرفت ان الاسباب الشرعية يجوز ان تتعدد فيكون الصلوة مفردة ويجتمع مع غيرها من الطاعات سببا للمغفرة ولذا علق النبي عم دخول الجنة في موضع سبب واحد وفي موضع اخر وباسباب مختلفة كما قال النبي عم عند دخوله المدينة افشوا السلام واطعموا الطعام وصلوا والناس نيام تدخلوا جنة ربكم وقال في موضع اخر افشوا السلام واضربوا الهام تورثوا الجنان وقد عرفت ان تعبير العبارة والزيادة والنقصان لاختلاف مقتضيات المقام فلا يعيله

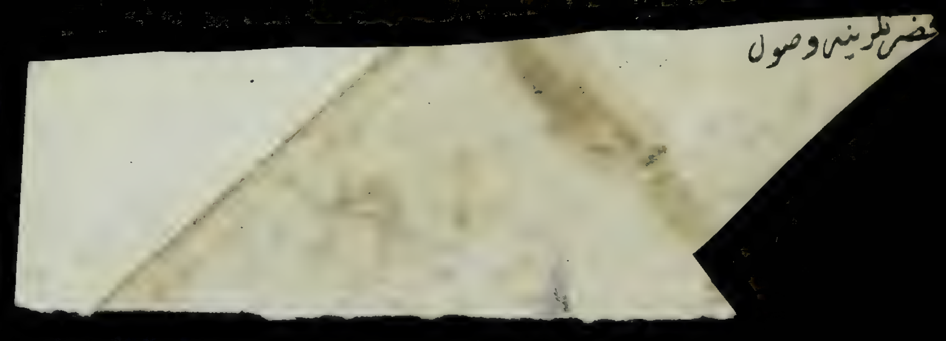
باب تعجيل الصلوة

قال النبي عم من ترك صلوة العصر حبط عمله فان قلت هذا مخالف لاصول الشرع لان حبوط العمل لا يكون الا بالكفر والارتداد وترك الصلوة لا يكون كفرا قيل في جوابه معناه حبط ثواب صلوة العصر وقال الامام التوربشتي المراد من هبوط العمل هبوط اضعاف المثوبات التي من قبل فضل الله تعالى يعني لو صلى العصر يعطى ثواب صلوة الفجر والظهر باعتبار ذاتيهما ويعطي الاضعاف من فضل الله تعالى الى العشر والسبعماية والى ما فوقها بقدر فضيلة عمل العامل واذا لم تصل العصر يحرم عن تلك الاضعاف وهو المراد من حبوط العمل وهذا غير بعيد لكن الانسب على ما فهم الفقير ان يقال المراد من هبوط العمل هبوط كمال عمل النهار توضيح ذلك ان عمل الليل يرفع بعد الفجر وعمل النهار يرفع بعد العصر ويجتمع فيهما الملائكة التي هم موكلون برفع اعمال العباد فيكون العبادة بهما محبوبة ومكملة ولذا قال النبي عم ان يلج النار احد صلى قبل طلوع الشمس وقبل غروبها وانما خصصها لزيادة فضيلتهما لان ملائكة الليل والنهار الذين ينزلون لعرض الاعمال يجتمعون في ذينك الوقتين واذا يرون المومن فيهما مستقلا بعبادة معبوده حصل بذلك فضيلة الانسان والمباهاة بعبادتهم على الملائكة كما قال النبي عم يتعاقب فيكم ملائكة الليل والنهار ويجتمعون في الصلوة الفجر وصلوة العصر ويعرجون ويخبرون بان العبد مشغول بالصلوة في وقت اتيانهم وذهابهم واذا ترك العبد صلوة العصر يذهب كمال عمل النهار لان تمام الامور بخواتمها فيكون عمل النهار ناقصا والناقص كالمحبوط في جنب الكامل وقد عرفت ان البلغاء ينزلون الناقص بمنزلة المعدوم والمحبوط فعلى هذا يجوز ان يقال قال النبي عم من ترك العصر حبط عمله للمبالغة في التهديد والزجر عن تركه وان لم يحبط ثواب اصل عمله

باب الذكر

عن انس رض ان النبي عم قال من صلى الفجر في جماعة ثم قعد يذكر الله تبارك وتعالى حتى تطلع الشمس ثم صلى ركعتين كانت له كاجر حجة وعمرة تامة تامة تامة فان ظاهر هذا مخالف لاصول الشرع ايضا لان مدار ثواب العمل يكون بقدر فضيلة ذاته والتعب فيه وفي الحج عبادات شريفة ومشقات كثيرة فكيف يكون ثواب الذكر بعد الفجر وركعتي الضحى مساويا لثواب الحج قلنا قال الامام التوربشتي رحمه في الجواب يجوز ان يكون مساوات ثواب الذكر وصلوة الضحى لثواب الحج باعتبار الاضعاف التي من فضل الله تع لا باعتبار ذات الذكر وصلوة الضحى وقال الاشرف يجوز ان يكون ذلك باعتبار شرف الوقت وفيها بحث


بو کتابی


ضرتلرینه وصول

لان الاضعاف تابعة لذات العمل فاى عمل فاق فى الشرف زادت اضعافه وقد عرفت ان فى الحج عبادات
عظيمة واركانا شريفة شاقة زايدة على الذكر وصلوة الضحى فى الفضيلة والمشقة وايضا فيه اوقات
شريفة شاملة وقت الذكر ووقت صلوة الضحى فيلزم منهما ان يكون الاضعاف المرتبة على الحج اضعاف
اضعاف ثواب الذكر وصلوة الضحى فان قلت ثبوت الاجرين مفيد اخراج الذكر وصلوة الضحى واوقاتهما
عن الحج فلا يلزم التداخل قلنا وفى الحج طواف وسعى واحرام واحتمال مشقات كثيرة من ترك مشتهيات النفس
فى الملبس والمنكح والمسكن وفيه ايضا انواع البر والصدقات وفضيلة الاوقات سوى اوقات صلوة الضحى
وما بينها وبين وقت صلوة الفجر كوقت عشر ذى الحجة التى قال النبى عم فى حقها انها افضل الايام
وفى ذلك العشر يوم عرفة ويوم عيد وفيه ايضا شرف كالكعبة وحرمها ومقام ابرهيم فيكون العبادة
فى تلك الايام والامكنة مفضلة على غيرها بالاعتبارات المذكورة على تقدير اخراج الوقت الذى بعد الفجر
وقبل صلوة الضحى من عمل فلا نسلم التساوى فى الثواب ويجوز ان يقال المشبه ليس الذكر وصلوة الضحى فقط
بل صلوة الفجر مع الجماعة والاشتغال بعدها بالذكر الى وقت الضحى وصلوة الضحى بعده فح لا يبعد ان يكون
اجر الجميع مساويا لاجر حجة وعمرة تامة والا نسلم ان يقال لا يلزم من التشبيه مساواة اجر الجميع
لاجر الحج والعمرة فى المقدار كما اذا قلت زيد كالاسد لا يلزم منه ان يكون مقدار شجاعة زيد مثل مقدار
شجاعة الاسد فى الواقع فيكون المراد من قوله كاجر حجة وعمرة تامة بيان اشتراك الاجرين فى مطلق الفضيلة
او المراد من التشبيه تشهير حال اجر الجميع لشهرة اجر الحج والعمرة الناس فى الفضيلة واعلم
ان الغرض العايد الى المشبه فى التشبيه قد يكون بيان امكان وجه الشبه فى المشبه وقد يكون بيان
حاله ووصفه فيه وقد يكون بيان حاله مقدار حاله فى الزيادة والنقصان وقد يكون تقرير حاله فى نفس
السامع وقد يكون وجه الشبه الاشتراك فى تمام الماهية وقد يكون فى جزء الماهية وقد يكون فى الصفة
الخاصة بالمشبه به المشهور بها كشهرة الاسد بالشجاعة وشهرة الحمار بالبلادة واذا كان المقصود
من التشبيه بيان امكان المشبه او بيان حاله او تقرير حاله يكون فيها المشبه به اتم واشهر فى وجه الشبه
ولا يلزم منه مساواتهما فى وجه الشبه واذا كان المقصود من التشبيه بيان مقدار حال المشبه فى وجه
الشبه يلزم منه مساواة المشبه للمشبه به فيه وقيل لا يلزم الاتمية فيما سوى تقرير حال المشبه لكن
المناسب للاستعمال ان يوجد الاتمية فى جميع الوجوه الا فى بيان المقدار وقد يكون الغرض من التشبيه
نحو تزيين المشبه او تقبيحه او استطرافه وهذا لا يقتضى ايضا التسوية فى مقدار وجه الشبه ولا الاتمية
والاشهرية فى المشبه به وقد يعود الغرض فى التشبيه الى المشبه به كما فى التشبيه المقلوب لايهام ان المشبه
المجعول مشبها به مشابه اتم واشهر فى وجه الشبه وانما اطنبت الكلام فى بيان فوايد التشبيه بادنى
مناسبة لان تشبيه العبادة السهلة بالعبادة العظيمة او ثوابها وتشبيه المعصية السهلة بالمعصية
الكبيرة الفاحشة فى القبح وعقابها كثيرة فى عبارات الشارع فيتشوش منه خاطر المبتدى كاستغرابه مساواة
الادنى للاعلى واذا عرف اختلاف الاغراض فى التشبيه سقط المرام على نسق المقام ولا يتوهم ان المقصود

من التشبيه بيان تسوية المشبه للمشبه به في مقدار وجه الشبه في كل موضع قال النبي عم في كتاب الصلوة الصلوات الخمس والجمعة الى الجمعة ورمضان الى رمضان مكفرات لما بينهن اذا اجتنب الكباير فان قلت اذا كان كل واحد من المذكورات الثلث مكفرة فلا يكون في ذكر الباقي فايدة قلنا قد عرفت ان الاسباب الشرعية يجوز تعددها وفايدة ذكر الثلث معا بيان ان كل واحد من شانه التكفير والتخلف لمانع لا يهدر فضيلته كما عرفت ان شان كل عبادة ان يكون سببا لدخول الجنة وذلك يكفي في بيان الفضيلة والتحريض على مواظبته والتخلف لمانع لا يقدح في ذلك كما ان المستدلين يثبتون مدعاهم بدليل مستقيم كاف في الاثبات لكنهم يوردون في اثباته ادلة اخرى ولا يعدون ذلك مستدركا فان اهل الميزان يثبتون مدعاهم بالخلف والافتراض والعكس واهل الشرع يثبتون مقاصدهم بالكتاب والسنة والاجماع والقياس لان مقصودهم بيان ان كل واحد من دلايلهم يصلح لاثبات مدعاهم مع ان تعدد الاسباب والدلايل مما يقوي ويكمل الوصول الى المقاصد ويقرر قبول السامعين مدعاه ويوكده بحيث لا يتردد فيه ويمكن ايضا ان يقال يكفر باحدها البعض فلا يلزم اهدار امر البعض ايضا فان الصلوة مكفرة للصغاير الحاصلة من الاقوال والافعال والجمعة مكفرة للصغاير الحاصلة من الاجتماع مع ابناء الدنيا ورمضان مكفر للصغاير الحاصلة من شهوة البطن والفرج ولا يستبعد ذلك الا المستدل المنصف لما عرفت ان لكل واحد من العبادات خاصية من التكفير كالاسباب الحسية فان الحمى المحرقة لا يزول الا بدواء مناسب كالتمرهندي وماء الرمانين وشراب النيلوفر ولا يزول بالعسل والترياق الاكبر ويمكن ان يقال معنى التكفير دفع ضرر الصغاير وذلك اما بازالة ضرر المحصول او الصون عن المتوقع فغاية الضمن في الصور لما عرفت ان تعاضد الاسباب مما يقوي داعية الدفع فتامل فيه يطلع على المراد فان قيل ان رحيث كل واحد مكفر في حق من لم يفعل الباقي وقال بعضهم المكفر كلها لا بعضها وانت تعرف ان كل واحدة مكفرة لقول النبي عم اتبع السيئة الحسنة تمحها وقال الله تع ان الحسنات يذهبن السيئات وقوله مكفرات ينادي بذلك ايضا لمن سمع ومن لم يفعل الباقي يكون مرتكبا في الكبيرة فلا يوجد التكفير لانه مقيد بالاجتناب عن الكباير نعم يمكن ان يقال يجوز ان يسقط وجوب الجمعة ورمضان بواسطة السفر فيكون الصلوة مكفرة دون غيرها لكن لا يتصور غالبا سقوط وجوب الصلوة عند وجوب الجمعة وصوم رمضان

باب القراءة في الصلوة

قال عقبة كنت اقود ناقة رسول الله صلعم في السفر فقال لي يا عقبة الا اعلمك خير سورتين فعلمني قل اعوذ برب الفلق وقل اعوذ برب الناس فلم يرني سررت بهما جدا فلما نزل لصلوة الصبح صلى بهما فقال بعدها يا عقبة كيف رايت فان قلت قد ثبت بالاحاديث الصحيحة ان المعوذتين ليستا بافضل من سورة يس وتبارك الذي بيده الملك والزهراوين وقل هو الله احد قلنا قد عرفت ان جهة التفضيل كثيرة ويختلف فخيرية السورتين على غيرها يجوز ان يكون بجهة لا توجد في غيرهما بان يكون باعتبار حال المخاطب او الوقت لا باعتبار الذات فان المعوذتين في السفر لا سيما في ظلم الليل يكون افضل واولى بحال المخاطب من جهة التعوذ بهما من ضرر الشيطان والجن والانس وضرر ساير المفسدات

وحصل بالباقي رفع الدرجة والفضايل في مقابلة التكفير ويمكن ان يقال انما يكفر كل واحد ما ينا سبها من الصغاير صح

والموذيات بمعنى السباع والهوام وان كان بارة السور افضل منهما باعتبار اخر فلا يلزم التدافع واعلم
ان جميع ايات القرآن متساوية في الثواب باعتبار الفاظها وحروفها لما عرفت ان لكل واحد من الحروف
عشر ثواب بلا فرق بين حرف وحرف لكن يجوز ان يكون بعض الآيات مفضلة على البعض باعتبار
الخواص والمعاني كما عرفت تفاصيلها بالاحاديث الصحيحة والعقل يحكم ايضا عندنا بان الآيات الدالة
على وحدانية الله تع واسمائه الحسنى وصفاته العليا غير متساوية للايات الدالة على المعاملة الدنيوية
واوصاف الفجار والآيات الدالة على وظايف العبادات لا تكون متساوية للآية الدالة على البيع والشراء
والطلاق والمخاصمات والآيات الدالة على احوال الانبياء والاولياء تفوق على الآيات الدالة على الكفرة
والاعداء وذلك كله باعتبار المعنى وقس الباقية عليه فالمعنى الا اعلمك خير السورتين لك في هذا الوقت
او باعتبار التعوذ عن المفاسد في اي وقت كان او باعتبار حالك لانك تهتم في المعاورة في مجاورة
اهل الشر لكن سوق الكلام يدل على ان خيرتهما باعتبار السفر كما قلت اولا **باب الركوع**
قال رفاعة بن رافع كنا نصلي وراء النبي فلما رفع رأسه من الركوع سمع رجلا يقول ربنا لك الحمد
حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه فلما انصرف النبي عم من الصلوة قال من المتكلم رايت بضعة وثلثين ملكا
يبتدرونها ايهم يكتبها اول وروي عن انس في باب ما يقرأ بعد التكبير ان رجلا جاء الى الصلوة
وقد حفزه النفس فقال الله اكبر الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه فلما قضى النبي عم صلوته فقال ايكم
المتكلم بالكلمات لقد رايت اثني عشر ملكا يبتدرونها ايهم يرفعها فان قلت قال في احدهما بضعة
وثلثين ملكا يبتدرونها وقال في الاخر اثني عشر ملكا يبتدرونها فلا بد من التوجيه في زيادة الملك
قال قدوة المحققين قطب المكاشفين صدر الملة والدين رحمه في توفيقهما اعتبر النبي عم في احد الحديثين مجموع
الحروف للتحميد وهي ثلث وثلثون وفي الاخر لم يعتبر الحروف المكررة فقال اثني عشر والمحققون
اتفقوا على ان الالف ليس بحرف تام لانه عبارة عن امتداد النفس وليس له مخرج معين من مخارج
الحروف فهو مادة جميع الحروف وراعى في بعض الحديث جميع الحروف بحسب الظاهر لا بحسب الباطن فقال
ثلثا وثلثين وفي هذا الحديث ارشاد للعوام وفي ذلك الحديث للخواص فهذا من دقايق النبوة صور
معاني الحروف بصور الملايكة وقال في حديث اخر اقرؤا القرآن فانه ياتي يوم القيمة شفيعا لاصحابه اقرؤا
الزهراوين سورة البقرة وسورة آل عمران فانهما ياتيان يوم القيمة كانهما غمامتان او غيايتان
او كانهما فرقان من طير صواف تحاجان عن اصحابهما فرقان من خاطر كناية عن ارواح صور الحروف
والكلمات والغمامتان او الغيايتان عبارة عن صور احدية جمع كل سورة منهما وهذا توفيق حسن
لكن لقائل ان يقول لم صور الحروف المكررة في احد الحديثين دون الاخر فيمكن ان يقال اعتبر الحروف المكررة
باعتبار شرف الوقت ووصف العامل وحاله وقد عرفت من قبل ان لفضيلة القائل من اخلاصه وعلمه وتدبره
نفسه دخلا في تزايد الثواب وان كان الذكر وساير العبادة واحدا وكذا الشرف للوقت والمكان
دخل فيه فيجوز ان تكون الزيادة في احد الحديثين لما ذكره الشيخ المحقق او تكون زيادة الثواب لفضيلة

احوال م

الوقت او المكان او القائل لان احد القايلين قال التحميد في الركوع والاخر حالة افتتاح الصلوة ولا شك في ان التحميد
في داخل الصلوة اشرف من التحميد في ابتدائها ولذا قال في التحميد في الركوع بضعة وثلثين وفي التحميد ابتداءها
اثني عشر ويمكن ان يقال ايضا ان عبارة التحميدين مغايرة فيجوز ان يرجع فايدة الزيادة الى اختلاف العبارة
لما عرفت ان لخواص التراكيب اثرا في التفصيل ولان بضعة ليست متعينة للثلاث حتى يتعين ان يكون
الزيادة لزيادة الحروف وقدرها عن عقبة بن عامر قال لما نزلت فسبح باسم ربك العظيم قال عم اجعلوها
في ركوعكم ولما نزلت سبح اسم ربك الاعلى قال اجعلوها في سجودكم وقال في باب السجود امرت ان اسجد
على سبعة اعظم على الجبهة واليدين والركبتين واطراف القدمين وظاهر الحديثين يدل على ان يكون تسبيح
الركوع والسجود والسجدة على سبعة اعظم واجبا وليس كذلك اجيب بان النبي عم لم يذكر التسبيحين
ووضع الاعظم السبع في بيان فرايض الصلوة وواجباتها ولذا لم يكونا واجبين وفيه بحث لان بيانه
النبي عم ثبت بخبر الواحد وذلك لا يفيد القطع واجيب ايضا بان قوله تع واركعوا واسجدوا لا يدل
على التسبيح ووضع الاعظم السبع في اللغة فخبر الواحد لا يفسرها وفيه بحث لان خبر الواحد يجوز
ان يبين ان المراد من السجدة في الشريعة وضع الجبهة مع الاعظم الباقية فيكون خبر الواحد بيانا للاجمال
والاظهر في الجواب ان يقال قد اجمع جمهور العلماء على ان التسبيحين ووضع جميع الاعظم ليس بواجب
فيكون اجماعهم دليلا على ان يكون الامر في قوله عم اجعلوها في ركوعكم وسجودكم وامرت ان اسجد
للندب لا للوجوب باب الصلوة على النبي عم قال النبي عم من صلى علي صلوة صلى الله عليه عشرا وحطت
عنه عشر خطيات ورفعت له عشر درجات وقال ما من احد يسلم علي الا رد الله علي روحي حتى
ارد فان قلت قال في موضع صلى الله عليه عشرا وزاد في موضع اخر عليه حط عشر خطيات ورفع عشر
درجات فكيف التوفيق بينهما قلنا فهم جواب مثل هذا السوال في الضابطة المذكورة فقل هنا يجوز
ان يكون المقصود من بيان فضيلة الصلوات بعبارات مختلفة التحريض عليه لا التعيين ويجوز ان يكون
جميع الفضايل بل اضعافها حاصلة في الصلوة على النبي عم والزيادة والنقصان في بيان الثواب لا في فضله
المقام فلا يوجد التدافع لان ذكر البعض لا يدل على نفي الزيادة واعلم ايضا ان الظاهر من رد الروح
تصريح اطلاع النبي عم على المصلين بقوة نفسه القدسية لان الدنيا غير خالية عن المصلين فيجوز ان تتعاقب الصلوات
من غير فصل ولو كان في بعض الايام فيلزم منه دوام التعلق ولا يتصور النزع في كل مرة لعدم الانقطاع
باب الذكر بعد الصلوة عن ابي هريرة رض انه قال قالوا يا رسول الله ذهب اهل الدثور بالدرجات
والنعيم المقيم صلوا كما صلينا وجاهدوا كما جاهدنا وانفقوا من فضول اموالهم وليست لنا اموال قال افلا
اخبركم بامر تدركون به من قبلكم وتسبقون به من جاء بعدكم ولا ياتي احد بمثل ما جئتم به الا من جاء بمثله تسبحون
في دبر كل صلوة عشرا وتحمدون عشرا وتكبرون عشرا وفي رواية تسبحون وتحمدون وتكبرون خلف كل صلوة
ثلثا وثلثين فان قلت قد فهم من هذا الحديث ان تلك الاذكار اكثر ثوابا واعظم درجة من الصدقات وان
المشتغل بها يسبق العباد العاملين ساير الطاعات من الصلوة والصوم وتلاوة القران والحج وليس كذلك

يمكن ان يجاب عنه بان المراد بما ذكر بيان فضيلة تلك الاذكار والترغيب فيه وتعظيم ما يدركون به من قبلكم وتسبقون به من جاء بعدكم لا
يدل عليه بابلغ الوجوه كما يقال لمن ادرك شيئا مرغوبا ادركت شيئا لم يدرك مثله احد في الدنيا مع انك تعرف ان
امثاله بل امثل منه وافضل كثيرة في ايدي الناس فمراده انه ادرك شيئا نفيسا ويعرف اهل الفهم مراده كذلك ايضا
لانهم يعرفون ان في ايدي الناس امثاله اكثر من ان تحصى او يقال المراد انكم تسبقون به من جاء بعدكم
وتسبقون به من سبقكم في العبادة التي هي من جنس الاذكار والتسبيح والتحميد بقرينة قولهم صلوا كما صلينا
وجاهدوا كما جاهدنا ولم يذكر الباقية للاكتفاء لان السامعين ما كانوا عاملين ذلك على الترتيب والعدد الذي
بينهما رسول الله عم فلم يوجد تلك الفضيلة في السابقين لعدم معرفتهم بها لكن سبقهم على من جاء بعدهم
على تقدير ان لا يجيئون الاذكار المذكورة على الترتيب والعدد المخصوصين بالقطع الا من جاء بمثله فيهما ويقال
المراد تفضيل الاذكار المذكورة على الصدقة فقط لقولهم وليست لنا اموال ولو سلم تفضيلها على العبادات التي هي
مطلقا بحمله بالنظر الى الاطلاق يمكن ان يقال الاذكار المذكورة افضل من ساير العبادات البدنية والمالية بجهة
لا يوجد فيها لان فضيلة كل عبادة باعتبار انها مذكرة للمعبود فالتسبيح والتحميد والتكبير مذكرة للمعبود بالصريح
وجامع لانواع المذكورات والتعظيمات لان التسبيح عبارة عن عبادة جامعة لانواع التنزيهات والتحميد
عبارة عن اقوال جامعة لانواع الصفات الثبوتية والتكبير عبارة عن اذكار شاملة لانواع التعظيمات والمدائح
ولا بعد في ان تكون الاذكار المذكورة اشرف من ساير العبادات بتلك الجهة وان كان غيرها اشرف منها
باعتبار المشقة وقهر النفس وبذل المال المحبوب للنفس وبذل الروح الانفس من كل مشتهيات النفس
او كونه كلام الله تع ويدل عليه ايضا قوله الا من جاء بمثله فان قلت هذا لا يناسب المقام اذ لا يلزم منه تفضيلهم
على الاغنياء المتصدقين قلنا مناسب لان المقصود من الكلام تسليتهم بتفضيلهم على الاغنياء بجهة اخرى
ليجتهدوا فيها ويواظبوا عليها حتى يسبقون بها غير تلك الجهة كما يقول لتسلية صاحبك ان كان لفلان فضيلة
المال والرياسة فلك فضيلة العلم والعبادة ويمكن ان يقال ايضا فضيلة الاذكار باعتبار سهولتها وحصولها
في عموم الاوقات بدون مشقة كثيرة مع حصول ثواب كثير ويؤيده عدم الجواب عن سبب السبق بغير
الذكر من كثرة الصوم والصلوة والتوجيهات من محتملات الكلام وانت تعرف ايها اقرب وانسب للمقام
فتمسك الاتم

باب الجماعة وفضيلتها

عن ابن عمر قال النبي عم صلوة الجماعة تفضل صلوة الفذ بسبع
وعشرين درجة وما قال في فضل الاذان شاهد الصلوة تكتب له خمس وعشرون صلوة ويكفر عنه ما بينهما
فما التوفيق بينهما قلنا يمكن ان يقال المراد من الاعداد المذكورة كثرة الثواب او يقال اللام في الفذ والجماعة
للجنس فيجوز ان يكون ثواب بعض الجماعة فاضلة على بعض الفذ بخمس وعشرين وعلى البعض بسبع وعشرين
والزيادة تكون باعتبار حال الجماعة والامام والوقت لكن هذا غير مناسب للمقام المقتضي للعموم ويجوز
ان تكون الزيادة في الدرجة بسبب تدرجه امر به نبينا عم ان صح باخر الحديث المشتمل على الزيادة كما قال
الله تع في شان امة نبينا عم ثلة من الاولين وقليل من الاخرين ثم قال ثلة من الاولين وثلة من الاخرين
ويجوز ان يعاد ذكر خمس وعشرون لا يدل على نفي الزيادة ولو لم يذكرا لتكون في سبع وعشرين فلا تعارض

ووجه التخصيص بمقدار خمس وعشرين وسبع وعشرين لا ندرك الا بنور النبوة **باب تسوية الصفوف**
قال النبي عم وما من خطوة احب الى الله من خطوة يمشيها يصل بها صفا فان قيل الخطوة الى الجهاد والحج افضل
من الخطوة الموصلة الى الصف والصلوة قلنا لا نم ذلك لان الصلوة افضل منهما لكونها حسنة في نفسها وجامعة لانواع
التعظيمات فيكون الخطوة اليها افضل فان قلت الخطوة ليست الى الصلوة بل الى صفها قلنا المقصود منه الصلوة
مع الجماعة وقد عرفت فضايل الفرايض الاربعة الفرعية واختصاص كل واحدة بفضيلة لا يوجد في غيرها وان الصلوة
افضلها فلا نعيدها فان قلت خطوة من دار الكفر الى دار الاسلام للايمان افضل منها قلنا فعلى هذا يراد
من الاحب الزيادة في ذاتها او بجهة خاصة **باب السنن وفضلها** قال النبي عم من صلى كل يوم وليلة
اثنى عشر ركعة تطوعا بنى الله له بيت في الجنة فان قلت قد ذكر في بيان فضيلة صلوة الضحى وست ركعات
بعد المغرب مبالغات كثيرة من رفع الدرجات وحط السيئات وذكر في بيان فضيلة ثنى عشر سنة موكدة
بناء بيت في الجنة فقط فيفهم منه انه دون صلوة الضحى وست ركعات وليس كذلك قلنا لم يرد مذكور بناء البيت
حصر فضايل السنن الموكدة بل بعض فضايل السنن لكفايته في التحريض باعتبار الحال والمقام او المراد من بناء
البيت استحقاق المصلين لدخول الجنة اولا بسبب السنن وذلك اعظم المقاصد لان الجنة مشتملة على انواع
الدرجات الرفيعة والذات الشريفة فلذا اقتصر عليه فلا يلزم منه كون صلوة الضحى وست ركعات افضل من السنن
الموظفة وقال عم من صلى بعد المغرب ست ركعات لم يتكلم فيما بينهن بسوء عدلن له بعبادة ثنى عشر سنة
قال القاضي ناصر الدين فان قلت كيف يعادل العبادة القليلة العبادات الكثيرة ففيه تضييع ثواب العبادات
الزائدة قلت الفعلان وان اختلفا نوعا فلا اشكال وان اتفقا فلعل القليل يكتسي بعادته ما يحصلها من الكم
والاحوال ما يرجح على امثاله وقال الامام التوربشتي يحتمل ان يكون زيادة ثواب القليل باعتبار الاضعاف
التي من فضل الله تع وفيه بحث لانا عبادة ثنى عشر سنة مشتملة على الفرايض التي دلت على فضلها على النوافل
الاحاديث الصحيحة وعلى اضعاف الوقت الذي بعد المغرب ولو لم يعتبر ذات العبادة في الفضيلة ويعتبر شرف
الوقت فقط يلزم ان يكون ثواب عبادة ثنى عشر ركعة اضعاف ثواب ست ركعات باعتبار الوقت فان قلت
العبادة الواقعة بعد وقت المغرب مخرجة عنها بقرينة الاحاديث الواردة في فضايلها قلنا لو سلمنا ذلك لكن
التفضيل باعتبار احوال المصلي لا يناسب لعموم قوله من صلى فبقي التفضيل باعتبار الوقت فيلزم من التفضيل
بذلك الاعتبار ان لا يكون وقت اشرف من الوقت الذي بعد المغرب وليس كذلك لما ثبت في الاحاديث الصحيحة
ان الوقت الذي بعد الصبح وفي الجمعة وشهر رمضان وبعد الثلثين من الليل اشرف منه ولو كان من ادلة
ثواب ست ركعات بثواب عبادة ثنى عشر سنة باعتبار الاضعاف التي من فضل الله تع يلزم ان يكون الاضعاف
المرتبة على ست ركعات واقعة بعد المغرب اكثر من الاضعاف المرتبة على عبادات ثنى عشر سنة من نوافل
الصلوات مع الصيامات والصدقات وساير العبادات لان العبادة مطلقة مع انها مشتملة على الاوقات
الشريفة سوى الوقت الذي بعد المغرب وسوى الفرايض ولا يستقيم ذلك لما عرفت ان ترتب الاضعاف وزيادتها
باعتبار فضايل المقتضيات من ذات العامل او عمله او حاله او وقته ومرجح ست ركعات بعد المغرب على

ثنى

على ثنتي عشرة ركعة من السنن المؤكدة وعلى عبادة ثنتي عشرة سنة مشتملة على فضائل العبادات وشرائط الاوقات بالجهات المذكورة او بواحدة منها لا يناسب فالاوجه في الجواب ان يقال المراد من معادلة ثواب ست ركعات بثواب ثنتي عشرة سنة بيان كثرة ثواب ست ركعات بعد المغرب والتحريض على مواظبتها لا بيان مساواة ثواب عبادة ثنتي عشرة سنة فان قلت ما وجه تخصيص ثنتي عشرة سنة في بيان كثرة الثواب قلنا لا يدرك حكمة تعيين مقدار الركعات والصدقات والحدود الزاجرات الامور التعبدية ويجوز ان يقال لما غلب استعمال الف والالف والسبع والسبعين واثني عشر في ارادة الكثرة لا الحصر حسب النصوص الشرعية في بعض المواضع على ذلك العرف والعادة ويؤيد ما ذكرنا من عدم ارادة الحصر قوله عم من صلى بعد المغرب عشرين ركعة بنى الله له بيتا في الجنة وللقائل ان يقول متكلف ويقول يجوز ان يفضل ذلك السبب على عبادة ثنتي عشرة سنة وعشرين ركعة بوجه من الوجوه غير ثابت بهما قلنا لا يمتنع ذلك عقلا لكن انت تعرف ان التاويل المقابل للمنقول المصون عن البعد في الاصول غير التاويل بمجرد الاحتمال العقلي اذ لو اعتبر ذلك الاحتمال لا يوجد دليل قطعي في النقليات والاصول على اكثر ما ثبت في الشرعيات باب صلوة الليل عن ابن عباس رض قال بت عند خالتي ميمونة فصلى النبي عم ثلث عشرة ركعة ثم اضطجع فنام حتى نفخ وكان اذا نام نفخ فآذنه بلال بالصلوة فصلى ولم يتوضا وعن ابن عباس انه رقد عند النبي عم فاستيقظ فصلى ركعتين اطال فيهما القيام والركوع والسجود ثم انصرف فنام حتى نفخ ثم فعل ذلك ثلث مرات ست ركعات كل ذلك يستاك ويتوضا ويقرء بعد كل وضوء ان في خلق السموات والارض حتى ختم السورة قال المظهر لم يتوضا في الرواية المتقدمة وتوضا في هذه الرواية لتجديد الوضوء لا لانتقاض وضوءه بالنوم لان قلبه لا ينام وقال شارح المشكوة لعله علم انتقاض وضوءه في تلك الرواية فتوضا لذلك قال شارح السنة ولم ينم قلبه ليعلم ما اوحي اليه في نومه قال ابو عبيدة بن عمرو رويا الانبياء وحي واذا ثبت ان نومه لا ينقض وضوءه فالتوجيه المذكور مستقيم وان لم يثبت يمكن ان يقال نفخه لا يدل على نومه على سبيل القطع اذ يجوز ان ينفخ بدون النوم فلذا لم يتوضا عند اذان بلال ويجوز ان يعلم نومه في المرة الاخرى لاستغراق السنة فتوضا فيها باب صلوة التطوع عن ابي هريرة رض قال سمعت رسول الله يقول ان اول ما يحاسب به العبد يوم القيمة من عمله صلوته فان صلحت فقد افلح وانجح وان فسدت فقد خاب وخسر وان انتقص من فرضه يكمل من نفله وكذا الصوم والزكوة وقوله فقد افلح ينافي بظاهره التهديدات الواردة في تارك الزكوة والحج وفاعل ساير المعاصي لان المومن اذا ارتكب الكباير لا ينجيه عن عذابها مجرد اتمام صلوته فيمكن ان يجاب عنه بان قوله فقد افلح من باب المبالغة في التحريض على المواظبة على الصلوة او معناه فقد افلح ان لم يمنع مانع من فعل يستحق دخول النار او يقال من واظب على الصلوة على وجه التعديل والاكمال لصلاح يتم ساير الفرائض ويجتنب عن المعاصي كما قال الله تعالى ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر فيكون بين اقام الصلوة وفعل ساير العبادات والاجتناب عن السيئات لازم شرعي ويحتمل ان يراد من الفلاح النجاة عن العقاب على ترك الصلوة ومن الانجاح الظفر بفضيلة الصلوة ورفع الدرجات بها والله اعلم ان الفلاح الكامل لا يكون الا باداء جميع الوظايف والاحتراز عن جميع السيئات

واذا علق النجاة عن العقاب والفوز بالثواب بعبادة واحدة ينبغي ان يعمل بها وبل ذلك وعادة الفقير تكثير التاويلات وعد بعض المحتملات لتعليم المبتدي طرق التاويلات ولايشير الى اقربها وانسبها في اكثر المواضع تعويلا على فهم العارف وبعثا له على اعمال الروية وتشحيذ الفكر في استنباط انسبها وتعيين اقربها والله الهادي والموفق لفيض الصلوات على من اقبل الى جنابه بفيض باستجماع الشرايط والادب باب الجمعة

قال النبي عم خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه ادخل الجنة وفيه اخرج منها ولا تقوم الساعة الا يوم الجمعة وفيه ساعة لا يسال عبد مسلم فيه خيرا الا اعطاه الله اياه فان قلت قد ثبت في الحديث ان خير الايام يوم عرفة فما وجه التوفيق فيه قلنا قد فهمت مما اسلفت من الاجوبة ما يرشدك الى التوفيق ودفع التعارض الظاهري في مثل هذا السوال من ان الشيء يجوز ان يكون افضل من غيره باعتبار ومفضولا عنه باعتبار فيوم الجمعة يجوز ان يفضل على ساير الايام باعتبار الفضايل المخصوصة المذكورة في الحديث من خلق آدم فيه وغيره ويكون عرفة مفضلة على ساير الايام باعتبار حصول معظم اعمال الحج فيها فلا يلزم منه ان يكون يوم الجمعة مفضلة ومفضلة عليه بجهة واحدة لما عرفت ان جميع الايام متساوية في ذواتها والتفضيل لا يكون الا باعتبار امر عارض فلا يبعد في ان يكون حصول اجتماع الحجاج واعمال الحج في الايام العشر من ذي الحجة سببا لفضلتها على ساير الايام ويوم عرفة يكون افضلها باعتبار وجود افضل اعمال الحج فيه او يكون يوم عرفة خارجا عن الايام التي فضل عليها يوم الجمعة بقرينة حديث تفضيل يوم عرفة على ساير الايام فان قلت دخول آدم في الجنة في يوم الجمعة وقبول الدعاء في ساعته يكون سبب فضيلته واما خروج آدم عن الجنة او قيام الساعة امر محزن ومهيب في ذاته فكيف يكون سببا للسرور والسعادات باعتبار ثمراته فان خروج آدم عن الجنة سبب نزوله في الدنيا ونزوله فيها سبب للعبادات ولوجود الاولياء الانبياء والاولياء من جملتهم نبينا محمد المصطفى صلعم وهو المقصود من الكونين وقيام القيمة ايضا سبب وصول العابدين والمقربين الى لقاء رب العالمين والى النعيم المويد والسرور المخلد وانواع اللذات والكرامات للمطيعين وكونه سببا لعذاب الاشقياء والفجار لسوء اعمالهم التي هم يخلق الانسان لاجلها ولذا قال الله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون لا يقدح في فضيلة القيمة بالنسبة الى الابرار الذين دارهم دار القرار بل الفجار بمنزلة المعدوم لعدم ترتب مقتضي الانسانية عليهم كما يقول الانسان والله ليس بانسان لعدم ترتب مقتضى الانسانية عليه ولا يخفاك اهل اللغة والافهام في ذلك القول والكلام والقيمة الصغرى نظير القيمة الكبرى في ذلك الاعتبار لان الموت مبغوض مستنكر عند الفجار ومحبوب مستبشر عند الابرار ولذا قال الله تع لليهود الذين زعموا انهم اولياء الله واحباؤه فتمنوا الموت ان كنتم صادقين يعني ان الموت سبب لوصول المحب الى المحبوب ووجدان اللذة الفاضلة والقوة الكاملة عنده فيكون الموت مطلوبة ومرغوبة لان الحيوة مانع عن الوصول والموت وسيلة اليه قال ابو موسى سمعت رسول الله صلعم يقول الساعة التي يستجاب الدعاء فيها من يوم الجمعة ما بين ان يجلس الامام الى ان يقضي الصلوة وقال عبد الله بن سلام هي آخر ساعة من يوم الجمعة وقال ابو هريرة كيف يكون اخر ساعة وقد قال رسول الله

لايصادفها

لايصادفها عبد مسلم وهو يصلي وتلك ساعة لا يصلي فيها فقال عبد الله بن سلام الم يقل رسول الله صلعم من جلس
مجلسا ينتظر الصلوة فهو في صلوة وقال ابو هريرة بلى قال فهو ذاك وقال انس رواية عن النبي عم التمسوا
الساعة التي يرجى يوم القيمة بعد العصر الى غيبوبة الشمس فان قلت الساعة اذا كانت بين جلوس
الامام وبين صلوته لا تكون في غيرها فما وجه التوفيق بين الاحاديث المذكورة فان قلت ان صح جميع الاحاديث
يكون الساعة دائرة لكن في اكثر الاحوال يكون في واحد من الاوقات المذكورة وان لم تكن دائرة تكون الواحد
من الاوقات واحدها ويكون سبب الاختلاف عدم ضبط الرواة **باب التنظيف والتبكير**
من غسل يوم الجمعة واغتسل وبكر وابتكر ومشى ولم يركب ودنا من الامام واستمع ولم يلغ كان له بكل
خطوة عمل سنة اجر صيامها وقيامها وفهم من هذا الحديث ان خطوة للجمعة افضل من صيام السنة
وصلوتها وهذا يخالف لقاعدة الاصول لان الصلوة افضل العبادات البدنية بالاتفاق والصوم اشرف
من الخطوة للجمعة بالاتفاق ايضا بدرجات كثيرة فكيف يعادل ثواب خطوة للجمعة بثواب الصوم والصلوة
فضلا عن ان يساوي بثواب صلوة سنة وصيامها منقول وبالله التوفيق المراد من هذا الحديث الحث
على التبكير ببيان فضيلة ثوابه بالوجه الابلغ لما عرفت بالنصوص القاطعة ان الصلوة والصوم افضل من التبكير
ويمكن ان يقال المضاف مقدر فمعناه مثل ثواب عمل سنة بقرينة بيانه بقوله اجر صيامها وقد عرفت انه
لا يلزم من التشبيه المساواة في مقدار الثواب ويمكن ان يقال لا احتياج الى اخراج الحديث عن ظاهره لما عرفت
ان سبب فضيلة الاعمال وتضعيف المثوبات قد يكون ذات الاعمال لعمل كالايمان والصلوة وقد يكون
حال العامل كاخلاصه وورعه وحضور قلبه ورقته وتضرعه واضطرابه وتوجهه بالكلية وقد يكون شرف
الوقت والمكان كوقت ليلة القدر ويوم عرفة ويوم الجمعة والثلث الاخير من كل ليلة والكعبة وتربة
رسول الله والمسجد الاقصى فلا يستبعد ان يكون ثواب العمل القليل اضعاف ثواب العمل الكثير بامر
خارج عن ذات العمل بان يقع في محل القبول والرضا بتلك الامور كما عرف بالحديث الصحيح
ان من سامح في بيعه وشرائه افلح مع جنايات عظيمة ومن قتل مائة رجل وندم عليه وتوجه الى قرية
ليسال عالما فيها عن كفارة قتله ولم يصل اليها ومات في الطريق دخل الجنة بواسطة ذلك الندم وان المرأة
المعتادة بالزنا غفرت لارواء الكلب وان رجلا غفر بسبب قطع غصن الشجر عن الطريق فان الله
اخفى رضاه بين العبادات حتى يواظب على جميعها لتحصيل الرضا كما اخفى ليلة القدر بين ليالي رمضان
وساعة الاجابة بين اوقات يوم الجمعة ليشتغل بالعبادة في ليالي رمضان واوقات الجمعة بالطاعة
والدعاء واخفى ايضا سخطه بين المعاصي ليحترز عن كلها فعلى هذا يجوز ان يقال وصل ثواب كل خطوة
الى ثواب صلوة سنة وصيامها بامر خارج عن ذاتها الخطوة من غاية صدق المبتكر واخلاصه وتحريض
الغير على الاغتسال والتبكير فيكون ذلك سببا لغاية القبول وكمال الرضا فان رضا الله تع اعظم الاسباب
في تضعيف المثوبات وترفيع الدرجات كما قال الله تع ورضوان من الله اكبر هذا على تقدير ان لا يوجد ذلك
المفضل والمضعف في صيام السنة وقيامها فان قلت ذات الصلوة والصوم يقتضي الاضعاف لفضيلتهما

الذاتية فكيف ترجح الاضعاف الراجعة الى امر خارج على الاضعاف الراجعة الى الذات قلنا قد عرفت ان رضا الله
اعظم الاسباب المفضلة فيجوز ان تحصل باعتبار الامر الخارج ولا تغفل عن النكتة فانا نعينك عن التشويش
والتحير في ترتيب الوعيدات والتغليظات على ادنى المعاصي والوعد بالدرجات والمبالغات في اقل العبادات
فان قلت لم لم تقل تلك النكتة في تفضيل اجر الذكر بعد الفجر واجر صلوة الضحى فيه قلنا لان ذلك التوجيه احتمال
عقلي فلا يصار اليه الا للضرورة والتدرج كما قال في القضايا المذكورة وقد عرفت ان الفقير يذكر المحتملات المتقاربة
في الظاهر لتشحيذ الاذهان وتعليم طرايق التاويل في الكلام وانت تعرف ان التاويل الاقرب والاولى هنا هو الاول
واختلف الشارحون في معنى غسل واغتسل وبكر وابتكر والانسب ان يكون معنى اغتسل وابتكر باشر الغسل
والتبكير ومعنى غسل وبكر حرض غيره على الغسل والتبكير حتى يتصف بالشفقة والرحمة على خلق الله والامر
بالمعروف والعمل بعلمه والتعليم به فلعل بعض السبب لفضيلة الخطوة تلك الشفقة والرحمة وقال عم عقيب
هذا الحديث من تخطى رقاب الناس يوم الجمعة اتخذ جسرا الى جهنم فان قلت التخطي صغيرة لمجي اداء
الفرائض لا يعاقب عليها لما ثبت في اصول الشرع ذلك وان من صلى الجمعة تمحا صغايره قلنا معناه اتخذ
جسرا ان لم يمنع مانع من الحسنة والتوبة والشفاعة وقد عرفت ان المعصية من حيث هي مخالفة للملك الجبار
لا صغيرة فيها وان سخط الله مكنون بين المعاصي وقول العلماء الصغيرة تمحى بالفرايض والكبيرة تمحى بالتوبة
لا تدل على الوجوب بل معناه ان المفهوم من ظواهر النصوص الشرعية ذلك وقد ثبت ايضا بالحديث الصحيح
جواز العقاب الاليم على بعض الصغاير والنجاة عن العذاب الاليم باقل العبادات كما اشار اليه النبي المختار
وعلى اله الاخيار ان العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله لا يلقي لها بالا يرفعه الله بها درجات وان العبد ليتكلم
بالكلمة من سخط الله لا يلقي لها بالا يهوي بها في جهنم ابعد ما بين المشرق والمغرب وقال عم ما من مسلمين يلتقيان
فيتصافحان الا غفر لهما والظاهر ان فعله استخرج للتحذير والمنع من تخطي الناس بوجه بليغ وتخصيص الجسر
من التمثيلات الزاجرة لئلا ليكون مناسبا للجناية **باب صلوة الخوف** عن يزيد بن رومان عن صالح بن خوات
عمن صلى مع رسول الله صلعم يوم ذات الرقاع صلوة الخوف ان طايفة صفت مع رسول الله وطايفة قامت وجاه
العدو فصلى النبي عم بالطايفة التي معه ركعة ثم ثبت قايما واتموا لانفسهم ثم انصرفوا فصفوا وجاه العدو وجاءت
الطايفة الاخرى فصلى بهم الركعة التي بقيت من صلوته ثم ثبت جالسا واتموا لانفسهم ثم سلم بهم وروى القاسم عن صالح
بن خوات عن سهل بن ابي حثمة عن النبي عم ذلك الحديث ايضا وقال جابر رض اقبلنا مع رسول الله صلعم حتى اذا
كنا بذات الرقاع نودي بالصلوة فصلى بطايفة ركعتين ثم تاخروا وصلى بطايفة اخرى ركعتين اخريين وكان لرسول الله صلعم
اربع ركعات وللقوم ركعتان فان قلت ظاهر الحديثين تدافع لان الحديث الاول يدل على انه عم صلى ركعة واحدة
مع طايفة وركعة اخرى مع الطايفة الاخرى والحديث الاخر يدل على انه عم صلى مع كل طايفة ركعتين مع ان الموضع
واحد والرواة عدول قلنا يمكن ان يقال يجوز ان يصلي النبي عم صلوة الخوف في موضع واحد مرتين على حسب اقتضاء
الوقت بان يكون احدى الصلوتين صلوة الفجر والاخرى ذوات اربع ركعات او يكون احديهما في السفر
والاخرى في الحضر فيندفع بذلك التوجيه التدافع الظاهري ويجوز ان يكون الموضع متعددا الا ان بعض الناس

صلوة الخوف

قالوا

قالوا اسم تلك العفوبة بذات الرقاع لوقوع المقاتلة في موضع الوان مرابه مختلفة وقال بعضهم سميت بها للف بعض الغزاة ارجلهم بخرق الاثواب ورقاعها وكلاهما يحتمل ان يكون في بعض الاوقات لكن الظاهر ان يكون الموضعان مختلفين حتى لا يتعارض الحديثان **باب صلوة الكسوف** عن عايشة رض ان النبي عم صلى صلوة الكسوف ركعتين باربع ركوعات وروى علي رض صلاهما بثمان ركوعات وروي سمرة انه صلاهما باربع ركوعات ولم يجهر بالقراءة فيهما فان قلت كيف التوفيق بين الاحاديث المذكورة مع ان الحنفيين يقولون صلاهما بركوعين قلنا ان يرفع التعارض الظاهر بينهما بحسب اختلاف الوقت بان صلاهما في بعض الوقت بركوعين وفي بعضه باكثر منهما وان اتفق الرواة على ان الوقت واحد ندفع التعارض بان نقول صلاهما بركوعين على الاصل لكن لما اطال الركوع فيهما على خلاف ساير الركوعات في الصلوة رفع بعض المقتدين راسه عن الركوع بعد ركوعه على وجه المعتاد ظنا بانه عم رفع راسه عن الركوع فلما اطلع على انه عم لم يرفع راسه عن الركوع ركع مرة اخرى فلما راى من خلفه هذا الراكع مرة اخرى ظن انه تابع رسول الله في تكرار الركوع فركع ذلك الراي ثانيا ثم اخبر الناس بان رسول الله ركع في ركعة واحدة ركوعين وكذا تاويل من اخبر بانه عم ركع اربع ركوعات في ركعة واحدة وان اتفق الرواة على انهم خلف رسول الله في الصف الاول لكن قال بعضهم ركع ركوعا واحدا في ركعة واحدة وقال بعضهم ركع اكثر من واحد نقول يجوز ان يركع في ركعة واحدة ركوعا واحدا وفي ركعة اكثر منه فيكون اختلاف الروايات بذلك الاعتبار وان وقع اختلافهم في جميع الركعات في زمان واحد نقول فيه ان الراوي اخطاء او نسي لما عرفت ان ذلك لا يتصور في ركعة واحدة في وقت واحد فيعمل في مثله بما ينا سب القواعد الشرعية ويترك الباقي وانما نقيد بامثال هذه التاويلات المذكورة لدفع شبه المبتدعين في كلام رسول الله وترددهم وتحيرهم حتى لا يقع في قلوبهم وسوسة شيطانية ونزعة نفسانية **باب سجدة الشكر** عن عامر بن سعد عن ابيه قال خرجنا مع رسول الله صلم من مكة يريد المدينة فلما كنا قريبا من عزوزاء نزل ثم رفع يديه فدعا الله ساعة ثم خر ساجدا ثم قال اني سالت ربي وشفعت لامتي فاعطاني ثلث امتي فخررت ساجدا لربي شكرا ثم رفعت راسي فسالت ربي لامتي فاعطاني ثلث امتي فخررت ساجدا لربي شكرا ثم رفعت راسي فسالت ربي لامتي فاعطاني الثلث الاخر فخررت ساجدا لربي قال بعض الشراح ليس معنى الحديث انه شفع في جميع امته بحيث لا يصيبهم النار لان هذا مناقض لكثير من الايات والاحاديث الواردة في تعذيب العصاة من امته بل معناه انه عم سال ربه تع ان لا يستاصل امته بالخسف والمسخ والغرق والحرق كساير الامم الماضية او لا يخلدهم في النار بل يخرج من النار من مات منهم على الاسلام وهذا توجيه حسن وتوفيق بين النصوص الشرعية ويمكن ايضا ان يقال قد اطلع رسول الله صلم في ذلك السفر على نزول بلية عظيمة من السماء فنزل ودعا وسعى وبالغ في الدعاء لدفع تلك البلية عن جميع امته فاستجاب الله دعاءه فاخبر بذلك رفقاءه واصحابه اظهارا للنعمة وشكرا للنعمة كما حكت ام سلمة عن رسول الله عم استيقظ ليلة فزعا يقول سبحان الله فزعا ماذا انزل الليلة من الخزاين وماذا انزل من الفتن من يوقظ صواحب الحجرات يريد ازواجه لكي يصلين رب كاسية في الدنيا عارية في الاخرة ويحتمل ان يراد من امتي الخواص الذين يتبعونه في جميع الامور الشرعية كما قال النبي عم امتي امة مرحومة ليس لها عذاب في الاخرة لكن المقام يابى عنه **باب عيادة المريض وثواب المرض** سئلت عن عايشة رض عن قول الله تع وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله وعن قول الله تع من يعمل سوءا يجز به فقالت سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم

باب صلوة الكسوف

عكن ح

باب سجود الشكر

للكا ح

باب عيادة المريض وثواب المرض

فقال هذه معاتبة الله العبد بما يصيبه من الحمى والنكبة حتى البضاعة يضعها في يد قميصه فيفقدها فيفزع لها حتى ان العبد ليخرج
من ذنوبه كما يخرج التبر الاحمر من الكير قال المظهر المعاتبة جريان العتاب بين الصديقين مع ان في قلبه محبة وليس المراد منه
ان جميع ذنوبه تكفر بالمكاره والامراض بل يذهب بعضها بها فيكون معنى قولها عايشة رض بيان ان ليس معنى الاية ان المجازاة
لا تكون الا بعذاب الاخرة حتى يلزم منه ان لا يعاقب الا في الاخرة بل كثير من ذنوب المؤمنين يمحى ويكفر بمصايب الدنيا وتكون
لما كان الغالب تكفر ذنوب المؤمنين بالامراض كما اشار النبي عم بقوله المؤمن كالخامة والمنافق كالارزة قال حتى يخرج العبد
من ذنوبه الخ باعتبار الغالب او المراد من العبد العبد المؤمن الكامل لما عرفت ان الذنوب لا تمحى بدون الصبر على البلاء والمؤمن
الصابر عند البلاء يكون كامل الايمان محكم الايمان فيكون ذنبه صغاير اذ لو وقع منه كبيرة يتدارك سريعا بالتوبة
والاستحلال والمراد من قوله تع ان تبدوا او من يعمل بعض المؤمنين بقرينة سبب النزول والسياق ايضا
حتى يناسب الحديث تفسير الاية والمراد من قوله تع او تخفوه عزم القلب واستقراره على المعصية لان مبادي الخواطر
غير مقدور فلا يحاسب عليها وانت تعرف الفرق بين توجيه المظهر وتوجيه الفقير فاخبر منهما ما يقارب التحقيق عن سعد
سئل النبي عم اي الناس اشد بلاء قال الانبياء ثم الامثل فالامثل يبتلى الرجل على حسب دينه فان كان في دينه
صلبا اشتد بلاؤه وان كان في دينه رقة هون عليه فما زال كذلك حتى يمشي على الارض ما له ذنب وقال عم اذا اراد
الله بعبده الخير عجل له العقوبة في الدنيا واذا اراد الله بعبده الشر امسك عنه بذنبه حتى يوافيه به يوم القيمة
وقال ان عظم الجزاء مع عظم البلاء وان الله تع اذا احب قوما ابتلاهم الله فمن رضي فله الرضا ومن سخط
فله السخط وقال لا يزال البلاء بالمؤمن اذا المؤمنة في نفسه وماله وولده حتى يلقى الله وما عليه من خطيئة وقال
ان العبد اذا سبقت له من الله تع منزلة لم يبلغها ابتلاه الله في جسده او في ماله او ولده ثم صبره على ذلك
حتى يبلغه المنزلة التي سبقت له من الله تع فان قلت كم مؤمن وولي تقي لم يعجل له عقوبته ولم يشتد بلاؤه
بل لم يصب اليه بلاء فيلزم منه ان لا يريد الله به خيرا او يلقى ربه بخطيئته وان لا يحبه وان لا يكون صلبا في دينه
وليس كذلك وكم من فاسق فاجر اشتد بلاؤه من جهة المرض وضياع المال وموت الولد فيلزم منه كونه محبوبا
عند الله ومحو جميع خطاياه وليس كذلك ولم اجد في الشروح التي وصل اليها مطالعتي هذا السؤال الصعب الظاهر
الورود فكيف جوابها فنقول وبالله التوفيق لتاويل الكلام الانيق ليس المراد من البلاء الشر والشدة والفقر
والعقوبة بل هو شامل للنفع والضر كما قال الله تع وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون ونبلوكم
بالشر والخير فتنة والينا ترجعون لكن المراد من البلاء هنا ما لم يتالم المؤمن منه بقرينة السياق لان العبد اذا ارتقى
مقامه سوفي صعوبة بوفه وظايفه ورعاية مقتضياته ولذلك الكنه قيل حسنات الابرار سيئات المقربين فان
الانبياء يذنب صدر على السهو والنسيان والزلة والخطا لان الاحتراز عن اسبابها اختياري ولا يواخذه غيرهم
وقد عرفت ان مقام التقوى غير مقام الفتوى والانبياء في اعلى مقامات التقوى فيكون الانبياء اشد الناس بلاء
ثم اشد الناس بلاء الاولياء بالنسبة الى العوام وقد عرفت ان ما يخالف النفس يتالم منه كثيره حتى قال النبي عم انطعاء
شرح المؤمن مصيبة واذا كان كذلك فمن كان صلبا في دينه اشتد بلاؤه من جهة مخالفة النفس والشيطان ومجاهدتها
ومنع دواعيها ومن جهة الدنيا واهلها ومن جهة رؤية المنكرات منهم او معرفتها وسماعها فانه لا يتمالك على نفسه

لقوة ايمانه ونهيه الناس عن المنكرات فيكون ذلك سببا الى عداوتهم وسبهم وطعنهم في حقه بل الى ضربه وجرحه وقتله
وهذه مشقة عظيمة ومصيبة مستمرة وبلية متنوعة فلهذا قال النبي عم الدنيا سجن المؤمن والفاجر لا اذى منها
لموافقته لنفسه وشيطانه والتذاذه بوجود المنكرات وسماعها بل بمباشرتها وفعلها ومصايب الدنيا قليلة سهلة
بالنسبة الى مصايب المؤمن لسببية تلك الاشياء فان قلت فقوله عجل له العقوبة وقوله في نفسه وماله وولده وقوله ابتلاه
الله في جسده وماله يدل على ان المراد من البلاء المصيبة والمضرة الواصلة الى النفس والمال والاولاد لا الابتلاء بتكاليف
الاوامر والنواهي قلنا هذا لا ينافي ان يكون المراد من البلاء ما سبق ما ذكرنا في المواضع المذكورة المصايب الدنيوية
فالمعنى على هذا ان الولي والنبي والمؤمن الصلب اذا ابتلي يكون بلاؤه شديدا بالنسبة الى غيرهم لان بلاءهم لرفع درجتهم
وشدة البلاء يكون سببا لقوة الرفع وهم مستحقون بها ومن لم يكن صلبا هون وقل بلاؤه لانه غير مستحق بان يرفع الدرجات
فيكون سببه مناسبا له وتعجيل العقوبة سبب الخير والرفع ايضا وامساكه وتاخيره سبب الشر بالنسبة الى فوز الدرجة
وذهاب الذنب سبب تعجيل العقوبة كما ان هوين البلية صار سببا لعدم زوال الذنب سبب شدة البلية ولا يلزم منه
ان لا يوجد فيهم خير ورفع وذهاب ذنب من جهة اخرى لعدم انحصار اسباب الخير والرفع في شدة البلية وتعجيل العقوبة
وحدوث المصيبة اذ يجوز ان يجتهدوا في طاعة الله وتكميلها بقوة بدنهم وصحتهم وشكر نعمتهم ويصلوا بذلك الى درجة يكون
وان فات عنهم رفع الصابرين ويذهب بسبب تلك العبادة ذنوبهم لان الحسنة تمحو السيئة ويرشد الى ذلك قوله عم
ان عظم الجزاء مع عظم البلاء وقوله اذا سبقت للعبد من الله منزلة لم يبلغها بعمله ابتلاه الله في جسده او في ماله
او في ولده ثم صبره على ذلك حتى يبلغه المنزلة التي سبقت له من الله تع ح ان قوله فان كان في دينه صلبا وقوله اذا
اراد الله بعبد خيرا وقوله اذا احب قوما ابتلاهم ولا يزال البلاء بالمؤمن او المؤمنة قضايا جزئية فلا يلزم منه عكس
الكلي بطريق عكس النقيض حتى يلزم المحذور المذكور والعكس الجزئي كما مر ثانيا لان بعض من لم يشتد بلاؤه ولم يعجل عقوبته
لا يكون محبوبا عند الله ولم يذهب ذنبه فان قلت قوله واذا اراد الله بعبده الشر امسك عنه بذنبه حتى يوافيه به
يوم القيمة يدل على ان ذنبه لا يزول بدون العقوبة قلنا ليس كذلك لما عرفت من النصوص الشرعية القاطعة
في تكفير السيئات بما سوى العقوبة والبلاء من الحسنات والعفو والشفاعة والتوبة فهذه قرينة مخرجة هذا الكلام
عن ظاهره فالمراد حتى يوافيه به اذ لم يذهب بجهة اخرى من الاسباب وليس المراد ايضا من قوله حتى يمشي على الارض
ماله ذنب وحتى يلقى الله وما عليه من خطيئة ظاهره لما عرفت بالنصوص القاطعة ان حقوق العباد والمظالم
وترك الفرائض لا تذهب بل الكبائر ايضا مطلق لا تذهب بالبلاء وشدة العقوبة الدنيا فيكون المراد من الذنوب والخطيئة
الصغائر او المعصية الحاصلة من الكبر والعجب وغلبة هوى النفس بسبب قوة البدن وتربية النفس
والمراد لازم الذهاب وهو التحريض على التصبر على البلايا لنيل الرفع المنوط به والفاجر المصاب بشدة البلايا وتعجيل
العقوبة لا يكون صلبا في دينه ومحبوبا عند الله وذاهبا خطاياه لان ذلك مشروط بالصبر لقوله عم ثم صبره على ذلك
ولو صبر لا يستبعد ان يكون صلبا ومحبوبا وذاهبا بعض خطاياه من جهة الصبر على البلية وان كان معذبا وسقوطا
في المعصية من الجهة الاخرى ويمكن ان يقال يجوز اجراء قوله حتى يمشي على الارض ماله ذنب وقوله فمن رضي به فله الرضا
وقوله حتى يلقى الله وما عليه من خطيئة على ظاهره فان المؤمن اذا صبر على البلية الشديدة وانكسر قلبه يرجع الى الله

لحضور القلب والتضرع والاخلاص وفراغ البال وصفاء الحال فيستغفر ويتوب عن جميع معاصيه ويتدارك في تقصيراته
برد المظالم واستحلاله لما ان وجدت واداء الفرايض ان فاتت فيزول جميع خطاياه وتقع ثمرته على ذلك
حتى يبلغه المنزلة التي سبقت له يدعو اليه او المؤمن الصابر على البلايا والعقوبات لا يوجد فيه المظالم والكباير غالبا
فاخراج الكلام على ذلك الامر الغالب لما عرفت ان صدور كلام الشارع على الحكم الغالب غالبا لان مقام الوعظ
والخطابة غير مقام الجدل والمناظرة واذا تاملت بالنظر الصايب والفكر الثاقب عرفت ان العبارات في النصوص
الشرعية على خلاف العبارات في الفنون الفلسفية فلا يحيك في صدرك ما لا ينعكس ولا يطرد مطلقا فليكن ما اسلفنا
من الضوابط وما سالحقه بها ان شاء الله تع في المواضع المناسبة على ذكر منك وحفظ في قلبك حتى ينفعك بعون الله
في مثل هذه المواضع ولا يتزلزل عثرتك فيها بالموانع الثقافية

باب تمني الموت

عن عبادة بن الصامت
قال النبي عم من احب لقاء الله احب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه فقالت عايشة انا لنكره
الموت يا رسول الله قال عم ليس ذلك ولكن المؤمن اذا حضره الموت بشر برضوان الله وكرامته فليس شيء احب اليه
مما امامه فاحب لقاء الله واحب الله لقاءه وان كان الكافر اذا حضره بشر بعذاب الله وعقوبته فليس
شيء اكره اليه مما امامه فكره لقاء الله وكره الله لقاءه وقد جاء هذا الحديث في اكثر المواضع مختصرا هكذا من احب
لقاء الله احب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه وزعم بعض الشراح ان المراد من لقاء الله الموت
واعترض بان الموت مكروه لكل احد حتى الانبياء وقال الفقير فيه قبل الملاعم على بيان النبي عم مراده
بقوله والموت قبل لقاء الله المراد من المحبة والكراهة العقلية والكراهة الاختيارية لا الطبيعيتان لان
طبيعة كل احد تنفر من الموت بالجبلة وللالم فيه لكن الموت لما كان سببا للقاء المحبوب ونيل المطلوب
من رؤية الله تع وانواع القربة والكرامة عنده واصناف اللذات الروحانية والجسمانية الكاملة الابدية
يحبه الاولياء والانبياء ويكرهه الفجار والاشقياء كما اشار اليه بقوله تع قل يا ايها الذين هادوا ان زعمتم انكم
اولياء من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين ولا يتمنونه ابدا بما قدمت ايديهم والله عليم بالظالمين
فالمراد من الحديث على ما بينه النبي عم ان المؤمن المتقي يحب لقاء الله باختياره عند حضور الموت لبشارة
الملايكة برضوان الله تع كما قال الله تع تتنزل عليهم الملايكة الا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة التي كنتم توعدون
لان المقام الاعلى والمنزلة الرفيعة مخصوصة للمطيعين المتقين عند الله تع ومحبة المتقي لقاء الله تع لازمة
لرؤية ذلك المقام الرفيع عند قرب الموت فان قلت سلمنا ذلك لكن محبة المؤمن لقاء الله لا تستلزم
ولا تكون سببا لمحبة الله فكيف قال من احب لقاء الله احب الله لقاءه قلنا المضاف في الجزاء مقدر وهو
ظهور محبة الله له او معرفته اياه لان من احب لقاء الله يواظب على طاعة الله تع فيكون ذلك سببا لظهور
محبة الله تع اياه ومعرفته بسبب بشارة الملايكة برضوان الله تع واعلم انما اعدل الكل اذا لم تجد استلزام
الشرط او سببيته للجزاء فليتامل ولتعلم ان الجزاء في الحقيقة الاخبار به او قام مقام الجزاء لازمه او ملزومه
او اثره ودليله او غايته او متعلق له وا ستنبط من هنا ما يناسب المقام لما عرفت ان الاطلاع على ان المراد
من الكلام غير حقيقته وظاهره بقرينة عقلية او نقلية او عرفية وعادية سهل لكن الشان في تعيين ما يناسب المقام

من المعاني المجازية لو تعددت وضر الكلام لكل واحد منها ولا تغفل عنه **باب المشي بالجنائز والصلوة عليها**
قال النبي عم ما من مسلم يموت فيقوم على جنازته اربعون رجلا لا يشركون بالله شيئا الا شفعهم الله تع فيه وقال
ما من ميت يصلي عليه امة من المسلمين يبلغون مائة كلهم يشفعون له الا شفعهم الله تع وقال انس مروا بجنازة
فاثنوا عليه خيرا فقال عم وجبت ثم مروا باخرى فاثنوا عليها شرا فقال وجبت فقال عمر ما وجبت قال هذا اثنيتم عليه خيرا فوجبت
فوجبت له النار انتم شهداء الله في الارض وفي رواية المومنين شهداء في الارض وقال عمر رض قال النبي عم ايما مسلم شهد له اربعة
بخير ادخله الجنة قلنا وثلثة قال وثلثة قلنا واثنان قال واثنان ثم لم نسأله عن الواحد فان قلت قوله عم يبلغون مائة
يدل بظاهره على ان شفاعة من دون المائة لا تفيد هذه الفائدة والا لا تكون في تخصيصها فائدة وقوله اربعون رجلا يدل على
ان من دونها تفيد تلك الفائدة وقوله عم وجبت يدل على ان ثناء المومنين وشهادتهم توجب دخول الجنة
وليس كذلك قلنا قد ظهر جواب هذه الاعتراضات عن الضوابط التي ذكرناها لكن لما كان تفصيلها وتبيينها
عونا للمبتدئين فصلنا في كل موضع ما يناسبه للتأكيد والتقرير والتوضيح والتحرير فنقول حديث الاربعين
لو كان متاخرا يكون الحط لتزايد رتبة نبينا عم لتزايد فضل الله ورحمته عليه يوما فيوما فيكون دعاء الاربعين
سببا لشفاعة الميت المؤمن بعد كون دعاء المائة سبب شفاعة ولو لم يكن متاخرا يجوز ان يكون المراد من الاعداد
المختلفة كثرة الجماعة من المصلين على الميت كما يطلق السبعون والمائة ويراد الكثرة لا الحصر او نقول قول الامام
لا ينافي كلام بعضهم اذ لا منافاة كون شهادة الاربعين سبب دخول الجنة كون الثلثة والاثنين سببا له ايضا اذ يجوز
ان تكون الاسباب الشرعية متعددة واختصاص كل واحد بالذكر لاقتضاء المقام ذلك وقوله وجبت لا يدل
على الوجوب الذاتي كما زعمت المعتزلة بل المراد منه الوجوب الوعدي كما قال الله تع ان الذين امنوا وعملوا الصالحات
لهم جنات تجري من تحتها الانهار وقال الله تع ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم وقال الله تع افنجعل
المسلمين كالمجرمين ام نجعل المتقين كالفجار وخلف الوعيد والوعد محال فان قلت شهادة المومنين
بطاعة الميت وسوءه او على معصيته وسوءه لا تدل على الوقوع فكيف يلزم الوجوب الوعدي من شهادتهم
قلنا الشارع يحكم بشهادة العدلين على القطع لوجوب الحكم عند اقامة الحجة مع ان الحاكم هنا من تأيد بنور النبوة
والقوة القدسية او نقول الاكثر جريان كلام الشارع باعتبار الغالب فلا يليق بحال الصحابة ان يكون شهادتهم
مطابقة للواقع او نقول معناه وجبت ان كان الواقع ما ذكرتم **باب البكاء على الميت** قال ابن عمر رض
اتى النبي عم لعيادة سعد بن عبادة مع عبد الرحمن بن عوف وسعد بن ابي وقاص وعبد الله بن مسعود فلما دخل
وجده في غاشية فبكى وبكى القوم معه فقال النبي عم الا تسمعون ان الله لا يعذب بدمع العين ولا بحزن القلب ولكن
يعذب بهذا واشار الى لسانه او يرحم وان الميت يعذب ببكاء اهله عليه فان قلت عذاب الميت ببكاء الاهل
مخالف لقواعد الشرع لان العذاب يكون بمباشرة المكلف في المعاصي او بكونه سببا لمباشرتها ولم يوجد منه المباشرة
قلنا اجاب الشراح عن هذا السؤال باجوبة قال بعضهم قالت عائشة في هذا الحديث سمع ابن عمر هذا الحديث ولم يحفظ
التفصيل ان قضيته ان جنازة يهودي مرت على رسول الله وقوم يبكون فقال عم انتم تبكون وانه ليعذب
وقالت حسبكم القران ولا تزر وازرة وزر اخرى قال الخطابي هذا الحديث مخصوص بميت وجب عليه العذاب

فوجبت له الجنة وهذا اثنيتم عليه شرا فوجبت

به ان في ابا كما كان الصلوة

ابن عمر رض ...

فالمعنى ليعذب عند بكاء اهله حالا و قال بعضهم المراد من الميت من قرب موته فانه يتالم ببكاء اهله في سكرات الموت
قال المظهر هذا ضعيف لما ثبت في حديث اخر انه ليعذب في قبره و يمكن ان يقال يجوز ان يكون الميت يعذب في قبره ببكاء اهله
و يتالم عند الموت ايضا ببكاء اهله و لا يمنع احدهما الاخر و قال بعضهم يعذب بسبب وصيته بالبكاء عليه لانهم يوصون
بالبكاء عليهم حولا كاملا و قال بعضهم يعذب لكونه راضيا بالبكاء عليهم لانهم يبكون حولا كاملا و اكثر و يتجهون
عليه و يتكلمون فيه كلاما مخالفا للشرع و اعلم ان سوق الكلام من قضية العيادة و البكاء يدل على ان المراد
من مشارف الموت و من العذاب تالمه بسبب الصياح و العويل عليه كما هو عادة الاهل و الاقارب عند مشارفة الموت
و يحتمل ان يراد من الميت معناه الحقيقي و من التعذيب تالمه ايضا من بكاء الباكين على مقبرته على وجه غير مشروع
لان يعلم الميت مومنا كان او كافرا يعرف الزوار عليهم و غيرهم كما قال النبي عم في بدر لجيف الكفار الملقاة في الركايا
وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا فقال بعض الصحابة يا رسول الله و هذا جيف الموتى و قال النبي عم
و هذا اعرف منكم لكن لم يوذن لهم في الكلام و لا يبعد ذلك لان النفس اذا تخلصت عن العوائق الجسمانية يصفو و يقوى
ادراكها لكن سنة الله جرت على ان يكون تكلمهم بواسطة اللسان على حسب العادة و لو اريد خرق العادة يتكلم
بدونه و يحتمل ايضا ان سمع رسول الله كلام اهل الميت الفاخرين في ندبتهم و مرثيهم بعدا افعاله السيئة و اخلاقه
المذمومة كالنهب و الكر و الغارة و القتل و العله بوجه غير مشروع زاعمين انها بسبب مدح و فضيلة له ثم قال ان الميت يعذب
ببكاء اهله يعني اهل الميت يمدحون الميت بشيء يعدونه من الفضائل و الكمالات مع ان الميت يعذب بسبب تلك الافعال
و الخصال المذمومة في الشريعة و هذا ايضا اذا لم يكن و ان المتبادر من سوق قضية العيادة فتامل في التوجيهات المذكورة اختر
منها ما يناسب المقام و قال النبي عم لا يموت لمسلم ثلثة من الولد فيلج النار الا تحلة القسم و قال النبي عم لنسوة من الانصار
لا يموت لاحديكن ثلثة من الولد فتحتسبه الا دخلت الجنة فقالت امراة او اثنان يا رسول الله قال او اثنان يا رسول الله
و قال يقول الله تع ما لعبدي المومن عندي جزاء اذا قبضت صفيه من اهل الدنيا ثم احتسبه الا الجنة فان قلت
مجرد موت الاثنين من الولد او موت الثلث لا يوجب دخول الجنة لو الوالدين بما يكون عليهما مظالم او ترك الفرائض
قلنا معنى الحديث ان صبر الوالدين على تلك المصيبة يكون سببا لدخول الجنة لو لم يفعلا ما يوجب دخول النار لما عرفت ان كل
عبادة من شانه ان يكون سببا لدخول الجنة ان لم يعارضه معارض من المعاصي كما ان كل معصية من شانها ان يكون
سببا لدخول النار ان لم يوجد المانع و الماحي و تخصيص بعض الطاعات بكونه سببا لدخول الجنة او لوصول القربة
و الرفعة على الاطلاق من غير ضم باقي العبادات و الاجتناب عن السيئات في بعض المواضع للتحريض عليه بطريق
اوضح و ابلغ و كذا تخصيص بعض المعاصي بكونه سببا لدخول النار او للعقاب العظيم من غير قيد عدم الماحي من فعل
الحسنة او التوبة او العفو و الشفاعة للزجر عن ارتكابه بوجه ابلغ لان الفوز بدخول الجنة و القربة من اعلى
المطالب و اعظم المآرب فيجتهد كل عاقل في تحصيل سببه و الوقوع في شدائد جهنم و العقاب بالنار من اهوال المزاجر
و المضار فيجتنب كل عارف عن سببه بغاية الاحتياط و التوقي بعلمه بغاية ضعفه و عدم طاقته عليه و لتلك النكتة و الدقيقة
قال النبي عم عند ثناء القوم على ميت وجبت الجنة له و عند ذكر مساويه و معاصيه وجبت له النار لان ذلك الكلام
البليغ ابلغ في التحريض على مواظبة العبادة و الزجر عن ارتكاب المعصية و لا تغفل عن مثل تلك الرموز ان كنت

هذا من اساليب البلاغة و طرائق الرمز و التوقيه اذ يفهم منه المنع عن البكاء و الندبة على خلاف الشريعة

من اهل الفكرة وارباب الدقة ويجوز ان يراد من دخول الجنة بالصبر على المعصية الدخول ولو كان بعد عذابه بمقدار معصيته فتامل بالنظر الدقيق تطلع على التحقيق وقد عرفت في فوايد التخصيص التفصيل والتدقيق فلا تحتاج الى الاعادة اذ العاقل يكفيه الاشارة والغافل لا ينفعه تكثير العبارة واختلف الشراح في معنى الا تحلة القسم فقيل معناه لا يدخل النار الا مقدار تحلة القسم اي لا يدخل الا زمانا قليلا لان من لا يريد فعلا وسمع به لكنه حلف على فعله لا يفعل ذلك الفعل الا مقدار ما يحصل به التخلص عن الحنث وهو لا يكون الا زمانا قليلا وقيل ان الله تع قسم على ان يرد كل الناس جهنم بقوله فوربك لنحشرنهم والشياطين ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا او بقوله تع وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا على ان يكون القسم مقدرا اصل قوله تع وان منكم فيكون المعنى لن يلج الا مقدار تحلة قسم الله او الا تحلة قسمه وقيل في تقدير القسم خروج عن الظاهر بدون الضرورة مع ان الاثنين لا يدلان على الدخول وعدم الدخول في الحضور حول جهنم ظاهر والورود ايضا لا يدل عليه كما قال الله تع في حق موسى ولما ورد ماء مدين ولم يدخل موسى ماء مدين فيكون التوجيه الاول اوليا ويجوز ان يكون التوجيه الثاني مستقيما بان لا يراد من قوله عم الا تحلة القسم الدخول كما لم يرد من الاثنين فمعناه لا يلج النار بل يحضر ثم يترك لتقربين مع ان المحلوف عليه لا يجب ان يكون في كل صورة فعله شكرا ويجوز ان يكون الاستثناء منقطعا اي لكن تحلة القسم يوجد باب في ذم السؤال عن ثوبان رضي الله عنه انه قال قال النبي عم من سال الناس وله ما يغنيه جاء يوم القيمة ومسالته في وجهه خموش او خدوش او كدوح قيل يا رسول الله وما يغنيه قال خمسون درهما او قيمتها من الذهب وسال البعض عما يغنيه في موضع اخر فاجاب بقوله قدر ما يغديه ويعشيه وفي رواية يشبع ليلة ويوم وفي رواية من سال منكم وله اوقية او عدلها فقد سال الحافا وقال المسالة لا تحل لغني ولا لذي مرة سوي الا لذي فقر مدقع او غرم مفظع من اصابته فاقة فانزلها بالناس لم تسد فاقته ومن انزلها بالله اوشك الله له بالغناء اما بموت عاجل او غنى عاجل فان سالت عن جوابه دافع للتعارض الظاهر المفهوم من الاحاديث فقد امضيت ما يغنيك عن جوابه وتصريحه لكن لا باس لنا في ان نشرع في تفصيله وتحريره فنقول اذا علم تاخر حديث الاوقية او الخمسين يكون ذلك ناسخا لما دونها للتوسعة والرحمة والا فيدفع التعارض ببيان اختلاف الجهة بان يكون موضوع السؤال للفقير الصابر المتوكل فوات ما يغديه ويعشيه ووصول الغرم المفظع والفقر المدقع وللعاجز المترفه الذي يشوش خاطره فوات الاوقية او خمسين درهما فواتها وهذا الاسلوب كثير في علم الحديث يعرفه المتدرب فيه وقوله عم من اصابته فاقة الحديث يحرض ويرشد الى سلوك سبيل التوكل والتعفف لان ذلك عزيمة واصل وكمال وفضل فان قلت قد نشاهد الفقر والفاقة لكثير من الناس سؤاله وعرض فقره على الاغنياء الكرماء المتصدقين ولم يسد فقر كثير من المتعففين المتوكلين بل مات على الفقر والضرورة قلنا المراد من الفقر والفاقة فقر القلب ممن اعتاد السؤال وعرض فقره على السؤال للناس للطمع في اموالهم يغلب عليه حرصه ولا يشبع قلبه وان كان ماله اكثر من حال المسؤول ومن تعفف واختار القناعة وتوكل على الله غني قلبه وانقطع حرصه فيموت غني القلب او يصل الى الغنى اذا تعفف بقلبه وتوكل على الله حق توكله والمحروم من الغنى هو المتعفف الصوري كما شاهد ان معيشة اكثر المتعففين والمتوكلين الطيبة واوسع ولذا قال اما بموت عاجل او غنى غير عاجل والموت العاجل يكون مع غنى القلب ايضا

باب الانفاق وكراهة الامساك قال النبي عم ما من يوم يصبح العباد فيه الا ملكان ينزلان فيقول احدهما اللهم
اعط منفقا خلفا ويقول الاخر اللهم اعط ممسكا تلفا فان قلت كم من ممسك لا يتلف ماله بل يتزايد نوما فيوما الى ان
يموت وكم منفق لا يحصل له خلف بل يموت بالفقر قلنا قد عرفت ان اكثر الاحاديث صادر باعتبار الغالب فاذا نظرت
الى عاقبة الامر يكون الامر على ما دل عليه الحديث في الغالب او نقول المراد من الخلف تبدل الفانية بالباقية وهو الثواب المؤبد
والنعيم المخلد فنعم الخلف ذلك والمراد من التلف الحرمان عن ذلك الخلف المفصل والمؤبد كما قال الله تع ما عندكم ينفد
وما عند الله باق والاخرة خير وابقى او نقول من دعاء الملكين التحريض على الصدقة والتنفير عن الامساك فلا يلزم
من دعائهما وقوع الخلف والتلف لان استجابة دعائهما غير واجبة ويمكن ان يقال المراد من دعائهما الدعاء الحالي
وتخصيص النزول لبيان رفعة الملكين وتخصيص الصباح لان داعية الجود والحرص يتجدد في كل صباح وكذا كثر في عبارة
الشارع اصبح وامسى كما قال النبي عم من اصبح واكبر همه الدنيا فليس من الله شيء والزم قلبه اربع خصال وقال عم
من صلى اربعين صباحا ومن تصور في الصباح دعاء الملكين فيه يقوى فيه داعية البر والاحسان ويضعف داعيته
البخل والامساك لكن قد عرفت ان الخروج عن الظاهر موقوف على امتناع متروك عقلية او نقلية موهما وحمله
ظاهره وهنا اذا اريد بالخلف الثواب الباقي الكامل في مقابلة القليل الزائل ومن التلف عدمه لا يمتنع ارادة الظاهر
فالاولى ان لا يعدل عنه حتى يستجاب دعاء الملكين ايضا فتأمل في الاجوبة واختر احسنها وما وجدت في الشرح الى عنا
هذا السؤال المفصل وذلك الجواب المفصل قال النبي عم خصلتان لا يجتمعان في مؤمن البخل وسوء الخلق وقال عم
لا يجتمع الشح والايمان في قلب عبد ابدا وعن ابي بكر الصديق رضي الله عنه قال قال النبي عم لا يدخل الجنة خب ولا بخيل
ولا منان فان قلت البخل وسوء الخلق لا يخرج العبد من الايمان والخديعة والمنة لا يكونان سبب الحرمان
عن الجنان قلنا قد عرفت جواب مثل هذا السؤال من الضوابط المذكورة والقواعد المسطورة من الكبائر
سوى كلمة الكفر لا يخرج العبد من الايمان عند جمهور المتكلمين من اهل السنة فالمعنى لا يجتمعان في مؤمن كامل
بان يكون التنوين للتعظيم او في مؤمن عامل بمقتضى ايمانه او من شان المؤمن ان لا يجتمعا في قلبه المراد
من العبد ايضا عبد كامل او المعنى شان العبد المؤمن ان لا يجتمعا في قلبه او المراد بيانه عدم خليقة الايمان
بالشح والبخل وسوء الخلق او المراد من النفي النهي والخب والخديعة والمنة بالصدقة والاحسان والعبادة
معصية من شانها ان لا يدخل المتصف بها الجنة ما دام تبعتها في ذمته بان لا تمحى تلك الخصال بالتوبة او الشفاعة
او العفو والمغفرة او لا يدخل الجنة من اول الامر او المراد من عدم الدخول الاذية وهو النهي بوجه بليغ عن الاتصاف
بتلك الخصال المذمومة والتحريض على ازالتها ان اتصف بها والمانع المانع عن دخول الجنة لكن تخصيص الثلث
هنا لاقتضاء المقام وقد عرفت بعض التفاصيل فيه قال الامام المحقق التوربشتي المراد من ذلك اجتماع الخصلتين
فيه مع بلوغهما النهاية بحيث لا ينفك عنهما ولا ينفكان عنه وافراد البخل وسوء البخل الخلق بالذكر لزيادة
شناعتهما واذا عرفت ان عدم الانفكاك لا يخرج المؤمن عن ايمانه بالنصوص القاطعة فاختر من الاجوبة
احسنها نعم يمكن ان يقال قد يؤدي الاصرار الى الشقوة وسوء الخاتمة فلذلك قال لا يجتمعان لكن قد عرفت
ان اخراج الكلام على غير الغالب غير الغالب في عرف الشرع باب فضل الصدقة قال النبي عم من اصبح

منكم اليوم صايما قال ابو بكر انا قال فمن تبع منكم اليوم جنازة قال ابو بكر انا قال فمن اطعم منكم اليوم مسكينا
قال ابو بكر انا قال فمن عاد منكم اليوم مريضا قال ابو بكر انا فقال عم ما اجتمعن في امرء الا دخل الجنة فان قلت
كل واحدة من تلك العبادات سبب لدخول الجنة مع زيادة رفع الدرجات فما الفايدة في جعلها سببا له مع قيد الاجتماع
قلنا قد عرفت ان كل عبادة من شانها ان تكون سببا لدخول الجنة اذا لم يمنع مانع فان الاسباب الشرعية يجوز ان تكون
متعددة وان جعلها سببا مع الاجتماع لا ينافي سببية كل واحد على الانفراد فنقول فايدة الاجتماع ايراد طرق العصر
لان ذلك يدل على تنوع الاسباب وتعاضدها او نقول لما كان ابو بكر وساير المخاطبين عند صدور ذلك الحديث من اصحاب
القلوب والمقربين اكتفى بذكر دخول الجنة في التحريض ولم يذكر ما فيه فضايل الاجتماع من رفع الدرجات وكمال المثوبات
لما عرفت ان المحتاج الى بيان نفع الترغيب والترهيب والوعد والوعيد هم العوام والاغنياء واهل الفسوق والغفلة
لا المقربون الاقوياء بل خواص الخواص لا يعبدون لخوف النار وطلب الجنة بل لمجرد توفية مواجب العبودية وتعظيم
المعبود والربوبية فان قلت فايدة الكلام لا يختص بالمخاطبين بزمنه خطاب عام ما تضمن في سوره قلنا ليس كذلك
لان البلغاء يوجبون رعاية مقتضى المقام والخطاب وان انتشر كلامهم وسمع بعد ذلك الكلام لمقام كل سامع
ولو سلم قلنا لما كان دخول الجنة موصلا الى جميع اللذات الروحانية والجسمانية والكمالات السرمدية اقتصر في بيانها على
دخول الجنة كما يسمع الناس يقولون عند الوصول الى اعلى المطالب واللذات واعظم المآرب والمشتهيات دخلنا الجنة
ولتلك النكتة قال النبي عم في بيان فضيلة لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير كتب
الله له الف الف حسنة ومحى عنه الف الف سيئة ورفع له الف الف درجة وبنى له بيتا في الجنة ولو لم يكن بيت في الجنة
اعلى واكمل من تلك الفضايل لما ختمت ببناء البيت فيها قال النبي عم غفر لامرأة مومسة مرت بكلب على راس ركي
يلهث كاد يقتله العطش فنزعت خفها فاوثقته بخمارها فنزعت له من الماء فغفر لها بذلك وقال النبي عم عذبت
فان قلت
امرأة في هرة امسكتها حتى ماتت من الجوع فلم تطعمها ولا ترسلها فتاكل من خشاش الارض فلعل امرأة زانية
تكون فيها كبائر كثيرة ولو لم تكن تكفي في عذابها اصرارها في الفاحشة وارواء الكلب حسنة قليلة فكيف محت الكبيرة
وقد عرفت انها لا يمحى الا بالتوبة وحبس الهرة من الصغاير فكيف كان سببا لدخول النار مع ان المراة
الحابسة يجوز ان يكون لها عبادات كثيرة قلنا قد عرفت الاشارة الى جواب مثل هذا السؤال بان رضا الله
مكنون بين العبادات فاي عبادة حصل فيها رضا الله يكون تلك العبادة كالترياق الاكبر والاكسير الاحمر
يمحو جميع المعاصي كبيرها وصغيرها قليلها وكثيرها وسخطه ايضا مختفي بين المعاصي فاي معصية يكون سببا
للقهر والعذاب لا نعلم واذا كانت سببا له لا ينفع فعل كثير من العبادات لصاحبها واعتبر فيها فاي مالك حاله بعيش بدون
الموجب ومغفوريته لطلب التوبة وحاسته من عذاب بمجرد الحبل المودي الى موت هرة وان كانا نادرين
حتى لا يقع في ورطة الامن بكثرة عباداته وحفرة القنوط بكثرة سياته وما قاله المتكلمون والفقهاء ان العفو
لذنب باداء الفرائض واجتناب الكبائر والكبائر محتاجة الى التوبة والمظالم لا تذهب الا بالاداء او الاستحلال
نظرا الى النصوص الشرعية الواردة باعتبار الغالب لانك قد عرفت ايضا ان العبد اذا حصل له رضا الكريم
ولو كان ذلك باسهل عبادات يحبه ويرضى خصومه ويعفو عن جرائمه ويدخله الجنة كما ان الملك الجبار العزيز

القهار اذا غضب على عبد ولو كان ذلك بادنى المعاصي بقهره ويدخله النار ولا ينجيه كثرة عباداته فتوكل وابواب الخير حسنة لكن اذا وقع في محل الرضاء والقبول من جهة الفاعل او المفعول كنه اخلاص فاعله او غاية رقة قلبه او غاية اضطرار المحمل بحوكمال الناس ويوصل صاحبها الى اعلى الدرجات كما قال الله تعالى ورضوان من الله اكبر وحسن التي اذا صار سببا للغضب والقراعم صاحبه في العقوبات ولم ينفعه كثرة الطاعات واذا عرفت ان العامل المجاهد والمتقي العارف فاشتغل بكل العبادات جليلها ودقيقها حتى تفوز برضاء الله تعالى فيها واحترز عن كل السيئات وتخلص عن كونك مظهرا عن غضب الله لما سمعت ان المؤمن لا يعرف ان رضاه في اي عبادة وسخطه في اي معصية ومن ذلك الباب قوله عم ان رجلا كان فيمن قبلكم اتاه الملك ليقبض روحه فقيل له هل علمت من خير قال لا اعلم قيل له انظر قال ما اعلم شيئا غير اني كنت ابايع الناس في الدنيا واجازيهم فانظر الموسر واتجاوز عن المعسر فادخله الله الجنة وفي رواية قال الله تعالى انا احق بذا منك اتجاوزوا عن عبدي وقوله عم لقد رايت رجلا يتقلب في الجنة في شجرة قطعها من ظهر الطريق كانت يؤذي الناس قال ابو برزة قلت يا رسول الله علمني شيئا انتفع به قال اعزل الاذى عن الطريق ومراد النبي عم على ما فيه الاعلام لابي برزة ان كل عبادة نافع وان سهل اذ ربما يكون ذلك سبب لرضاء الله وان الواجب على كل مؤمن ان يعمل كلها ويواظب عليها من اعلاها الى ادناها والامر لكن الامراة اي برزة بعزل الاذى دون العبادات الفاضلة والمراتب الكاملة نكتة وقال بعض الشراح انما امر لان الامر بالادنى امر بالاعلى وقيل ابو برزة من كبار الصحابة متصف بالاخلاق الحسنة ومواظب على العبادات الفاضلة فالايق بحاله الامر بعزل الاذى فتدبر في الاجوبة تطلع على ما يناسب المقام وتغافل الكلام ولا تغفل ايضا ان تعليق النجاة باسهل امور بين العبادات للمنع عن القنوط عن رحمة الله تعالى وان تعليق العذاب بادنى المعاصي للمنع عن الامن والتواني في طاعة الله ولذا لم يصدر مثل ذلك الحديث الا نادرا

باب افضل الصدقة قال النبي عم خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى وابدا بمن تعول عن ابي هريرة انه قال يا رسول الله اي الصدقة افضل قال جهد المقل وابدا بمن تعول فان قلت الحديثان متدافعان اذ الاول يدل على ان يكون خير الصدقة صدقة الغني عما فضل عما يحتاج اليه والثاني يدل على ان خير الصدقة صدقة الفقير عما يحتاج اليه قلنا قد عرفت ان الاول في دفع التعارض ان يصار الى الجمع والتوفيق ان امكن وهنا ممكن ان يقال المراد منه الغنى غنى النفس لا غنى اليد كما قال النبي عم الغنى غنى النفس لا غنى اليد فمعنى الحديث الاول خير الصدقة ان يكون من جهة غنى النفس لا غنى اليد بان يتصدق بكل ما في يده او بما يحتاج اليه كابي بكر رضي او يتصدق بطيبة النفس وقوتها بان لا يندم عليها ولا يضطرب قلبه ولا يتغير لما ذهب عن يده من وجه معيشته بل يفرح ويبتهج بصدقته فلا يلزم من هذا ان يكون المتصدق غنيا من كثرة المال فلا يلزم التدافع فان عرضت وقلت يلزم لان خيرية الصدقة اذا كان لاجل غنى النفس يلزم منه ان لا يوجد الخيرية في غير تلك الجهة وصدقة الفقير يجوز ان لا يكون بتلك الجهة فوجود الخيرية فيها يدفعه قلنا الظاهر ان خيرية صدقة الفقير من جهة غنى النفس ايضا لانعدام غنى اليد فيه ويمكن ايضا ان يقال صدور الحديث الاول بالنسبة الى اهل الروم الذين لم يصلوا الى درجة حقيقة التوكل وقطع الاسباب فان ترك ما يحتاج اليه مضر لهم لان ذلك يشوش قلوبهم

باب افضل الصدقة

ويذهب

ويظهر بذهب حضورهم في الطاعة فيكون الصدقة من فضول اموالهم خير لهم والحديث الثاني خرج بالنسبة
الى اهل التوكل والتبتل الذين يساوي عندهم ذهب الدنيا ومدرها ونيل ما يحتاج اليه لا يضرهم لانهم مستبشرون
ومفتخرون بالفقر والفرغ عن تكميل اسباب المعاش واللذات الدنياوية وحال السائلين قريبة لما قلنا فان السائل
في الحديث الاول حكيم بن حزام وهو من اهل الجاه والتنعيم ومن المعتادين باستيفاء اللذات الدنياوية والسائل
في الحديث الثاني ابو هريرة رض وهو من كبار الصحابة ومن المتناهين في التقوى والديانة والزهد والعبادة وعن ابن
عباس رض قال قال النبي عم الا اخبركم بخير الناس رجل ممسك بعنان فرسه في سبيل الله الا اخبركم بالذي يتلوه رجل
معتزل في غنيمة له يودي حق الله فيها الا اخبركم بشر الناس رجل يسال بالله ولا يعطي فان قلت يفهم من الحديث
ان الجهاد افضل من جميع العبادات وان منع الصدقة بعد السوال بالله شر المعاصي والسيئات وليس كذلك يمكن ان
يقال خيرية الجهاد يجوز ان يكون باعتبار الوقت بان يكون الاسلام في ذلك مغلوبا واهل الكفر غالبا او يكون باعتبار
السفر بان يكون المسافر للغزو في ذلك الوقت افضل من سائر المسافرين او يكون المراد من الخيرية زيادة الخير في ذاته كقوله تع
وهو اهون عليه ويجوز ان يكون خيرية المعتزل الغنم بالنسبة الى المعتزل بالخمول لاجل تكثير المال كاهل الاخبية المعتزلين
لتكثير المواشي لا للاجتناب عن مصاحبة اهل الشر والزيادة في ذاته ويجوز ان يكون زيادة شرية المسئول المذكور
بالنسبة الى سائر البخلاء الذين لا يتصدقون بدون السوال بالله اذ لو سئلوا بالله يتصدقون فهذا الاحق بالبخل وحب
الدنيا وهو شر ويجوز ان يراد من الاحاديث التحريض على الجهاد والاعتزال للعبادة مع القناعة والمنع عن البخل
بوجه بليغ وزجر صريح

باب صيام التطوع

قالت عايشة رض ما رايت رسول الله استكمل
صيام شهر قط الا رمضان وقالت في رواية اخرى كان يصوم شعبان كله يمكن ان يجاب بان قولها الاول على سبيل
تغليب سائر الشهور على شعبان وقولها على سبيل الواقع والتحقيق او يقال المراد من الاستكمال على سبيل العرض
او على سبيل الدوام والعادة او يقال لم يصم النبي عم كل الشعبان عند قولها الاول وساعد عليه قولها ما رايت
وصام شعبان كله عند قولها الثاني هذا اذا علم ان الحديث الثاني متاخر قال النبي عم ما من ايام احب الى الله
ان يتعبد فيها من عشر ذي الحجة يعدل صيام كل يوم منها بصيام سنة وقيام كل ليلة منها بقيام ليلة القدر فان قلت
قد ثبت بالاحاديث الصحيحة ان افضل الصيام صيام شهر رمضان وافضل القيام قيام ليلة القدر فما وجه قوله
عم يعدل صيام كل يوم منها بصيام سنة وقيام كل ليلة منها بقيام ليلة القدر قلنا اذا كان كذلك فالمراد من الحديث
غير ظاهره بقرينة نقله فمعنى الحديث بيان فضيلة عشر ذي الحجة بوجه صريح بليغ لا بيان مقدار ثوابه حتى
يلزم المحذور ويحتمل ان يراد ظاهره ويستثنى من الايام ايام رمضان ومن الليالي ليلة القدر وان يقال يجوز
ان يفضل عبادة عشر ذي الحجة على صيام سنة وقيام لياليها من خارج وفضيلة خاصة له لكن قد عرفت ان ذلك
من الاحتمالات العقلية لا من التاويلات التحقيقية

باب فضائل القرآن

عن ابي بن كعب قال قال
رسول الله صلعم يا ابا المنذر اي اية من كتاب الله تع معك اعظم قلت الله لا اله الا هو الحي القيوم قال فضرب في صدري
قال ليهنك العلم يا ابا المنذر قال النبي عم قل هو الله احد يعدل ثلث القرآن وعن عقبة بن عامر قال النبي عم الم تر ايات
انزلت الليلة لم ير مثلهن قط قل اعوذ برب الفلق وقل اعوذ برب الناس وقال عم لابي بن كعب كانك لن [illegible] في التورية

ولا في الانجيل ولا في الزبور ولا في القرآن مثل الفاتحة كانها السبع المثاني والقرآن العظيم الذي اعطيته وقال عم ان لكل
شيء قلبا وقلب القرآن يس ومن قراء يس كتب الله له بقرائتها قراءة القرآن عشر مرات وقال ان الله تع
قراء طه ويس قبل ان يخلق السموات والارض بالف عام وقال عم اذا زلزلت تعدل نصف القرآن
وقل هو الله احد تعدل ثلث القرآن وقل يا ايها الكافرون ربع القرآن فان قلت فهم من الاحاديث
المذكورة ان تكون بعض السور مفضلة ومفضلة عليها فما التوفيق والتاويل فيه قلنا اذا كانت جهة
التفضيل متعددة ومتغايرة لايلزم ذلك اذ يجوز ان تكون آية الكرسي اعظم الآيات بخصوصية وجه
لا توجد تلك الخصوصية في ساير الايات فيكون تلك الاية مفضلة عن باقي الآيات بتلك الجهة ولا يمنع ذلك
ان تكون الباقية او البعض الاخر منه مفضلة على آية الكرسي بخصوصية وجه اخرى فيجوز ان تكون آية الكرسي
باعتبار اشتمالها على كلمة التوحيد والاسماء العظمى والصفات العليا عن تنزيه خاص لا يوجد في غيرها
او يكون افضليتها بالنسبة الى ابي بن كعب ويجوز ايضا ان تكون معادل قل هو الله احد بثلث القرآن
مع وجازة نظمه وقلة عبارته باعتبار اشتماله التوحيد والاوصاف المذكورة فيه على نظم ومعنى خاص
والا قد عرفت ان لكل حرف من حروف القرآن عشر ثواب لا مفاضلة بين آي القرآن وسورها بحسب اعتبار
النظم والحروف وكذا التاويل والنكتة في معادلة اذا زلزلت بنصف القرآن ومعادلة قل يا ايها الكافرون
بربع القرآن وكون يس بمنزلة قلب القرآن وعدم مثل المعوذتين والفاتحة فان قلت سلم ذلك لكن
ما حكمة تعيين الثلث والنصف والربع في التفضيل دون غيرها والنسبة بالقلب دون غيرها قلنا موقوف
تلك الحكمة بخصوصه معقل بحسابه وقد تكلف الشراح فيه وقال العلماء القرآن منقسم باعتبار الى ثلثة اقسام التوحيد
والامر والنهي والقصص والامثال فقل هو الله احد مشتمل على قسم التوحيد وهو منقسم ايضا الى
اربعة اقسام باعتبار اخر منسوخ الحكم والتلاوة وثابت الحكم والتلاوة ومنسوخ الحكم دون التلاوة
وعكسه فقل يا ايها الكافرون مشتمل على قسم منها وهو منسوخ الحكم دون التلاوة وقيل هو منقسم
الى صفات الله تع واحوال العباد واحوال الدنيا واحوال الاخرة وقل يا مشتمل على احوال العباد وهو
منقسم ايضا الى قسمين حكم الدنيا وحكم الاخرة واذا زلزلت مخصوص بحكم الاخرة وقيل مشتمل على حكم الاخرة
وهو بمنزلة القلب بالنسبة الى حكم الدنيا وانت تعرف ما فيه لان القارعة مخصوصة ايضا بحكم الاخرة ويوجد
سورة مشتملة على حكم الاخرة اكثر مما شتمل عليه سورة يس ويحتمل ان يقال اثبات الشيء لا يدل على نفي ما عداه
لكن التاويل المناسب غير التاويل بالاحالة العقلي كتاب الدعوات قال النبي عم ان ربكم
حيي كريم يستحي من عبده اذا رفع يديه اليه ان يردهما صفرا وقال عم ثلث دعوات مستجابات لا شك فيهن
دعوة الوالد ودعوة المسافر ودعوة المظلوم وقال ثلثة لا يرد دعوتهم الصايم حين يفطر والامام العادل ودعوة
المظلوم وقال دعوة المرء المسلم لاخيه المسلم بظهر الغيب مستجابة عند راسه ملك موكل كلما دعا لاخيه بخير
قال الملك الموكل امين ولك بمثل وقال ان اسرع الدعاء اجابة دعوة غايب لغايب فان قلت قد دل الحديث
الاول ان الله تع لا يرد دعاء العبد مطلقا كما قال الله تع ادعوني استجب لكم وقال تع اجيب دعوة الداع

كتاب الدعوات

اذا دعا فما فائدة تقييد الداعي بكونه مسافرا او والدا او مضطرا او مظلوما او والدا في الحديثين الاخرين
قلنا يجوز ان يكون معنى الحديث الاول ان الله يستحيي ان يرد دعاء عبده اذا وجد فيه شرائط الاستجابة
واعلم ان الدعاء قد يكون لطلب النفع والنعماء وقد يكون لدفع الضر والبلاء كما قال النبي عم ما من احد يدعو
بدعاء الا آتاه الله ما سأل او كف عنه من السوء مثله ما لم يدع باثم او قطيعة رحم وقال عم ان الدعاء
ينفع مما نزل ومما لم ينزل فعليكم عباد الله بالدعاء واذا عرفت ذلك فاعلم ايضا ان للدعاء شروطا كثيرا على
ما ثبت في النصوص الشرعية ومنها ان يعظم رغبته ويصمم همته في استجابة دعائه نظرا الى كمال رحمة الله وعنايته
في حق عباده المحتاجين ولا يتردد فيه نظرا الى قصوره كما قال النبي عم فلا يقل اللهم اغفر لي ان شئت وارحمني ان شئت
وليعزم مسئلته انه يفعل ما يشاء ولا مكره له ومنها ان لا يدعو لحصول معصية وايصال مضرة على من لا يستحق
لها كما قال النبي عم يستجاب للعبد ما لم يدع باثم ومنها ان يكون عادته الدعاء في حالة النعمة والامن والرخاء
حتى يستجاب دعاؤه في المرض والغيبة والبلاء كما اشار اليه الملك الحكيم بقوله واذا مس الانسان ضر دعانا لجنبه
او قاعدا او قائما فلما كشفنا عنه ضره مر كان لم يدعنا الى ضر مسه كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون وقال النبي عم
من سره ان يستجيب الله له عند الشدائد فليكثر الدعاء في الرخاء ومنها ان يكون دعاؤه بحضور القلب والتضرع
كما قال النبي عم ان الله لا يستجيب دعاء قلب غافل لاه ومنها الدعاء في الاوقات الشريفة كما قال النبي عم لا تدعوا
على انفسكم ولا اولادكم ولا اموالكم ولا توافقوا من ساعة يسال فيها عطاء فيستجيب لكم وقد ثبت في الاحاديث
الصحيحة خاصية وقت الصبح والثلث الاخير من الليل ويوم الجمعة ويوم عرفة وليلة القدر ووقت الافطار
والمحاربة مع الكفار وما بين الاذان والاقامة في استجابة الدعوة ومنها اكل الحلال وصدق المقال ورد المظالم
واستحلالها واداء الديون من حقوق الله وحقوق العباد والتوبة عن بابة المعاصي كما قال النبي عم في بيان فضيلة
طلب الحلال ان الرجل يطيل السفر اشعث اغبر يمد يديه الى السماء يا رب يا رب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه
حرام وغذي بالحرام فانى يستجاب لذلك والمراد من اطالة السفر سفر الحج فاذا منع اكل الحرام ولبسه استجابة
الدعوة في سفر الحج فما ظنك في غيره ومنها ان لا يستعجل قيل يا رسول الله ما الاستعجال قال يقول قد دعوت وقد دعوت
فلم ار يستجاب لي فيستحسر عند ذلك ويدع الدعاء قال قدوة المشايخ والمحققين الشيخ علاء الدين رحمه ومن شروط
الدعاء تصور الحق المدعو ولذا كان اكثر دعوات الانبياء مقبولة لكونهم تام المعرفة والشهود فان قلت
اذا كان للدعاء شروط كثيرة فما فائدة تخصيص الوالدية والمسافرية والمظلومية والصائمية والعادلية بالذكر
قلنا قد عرفت فائدة التخصيص الذكري مرارا فقل هنا فائدته الاعلام بزيادة خصوصيتها بشروط الدعاء
لما عرفت من حق الوالد على ولده ومن انكسار قلب المسافر والمظلوم واضطرارهما ومن دلالة الدعاء في الغيبة
على اخلاص الداعي وعليه عونه ورافته على اخيه المسلم فان ذلك كله من المقربات والجالب الى الاستجابة او
باقتضاء الحال والمقام ذكرها فان قلت قد يستجاب الدعاء بدون اجتماع تلك الشروط قلنا اشتراط الامور المذكورة
باعتبار الغالب اذ ربما يضطر العبد وينكسر قلبه ويرق ويتذلل ويتضرع ويقوى ويكمل قابليته لاستجابة
دعائه فيستجيب دعاءه لذلك ولا يتوقف على وجود الشروط الباقية لكن ذلك نادر وهذا كما عرفت ان سبب دخول الجنة

باعتبار الغالب بوعيد وظايف جميع الطاعات والاجتناب عن جميع السيئات لكن ربما يكون الدعاء سببا لدخول الجنة كما سمعت بعضه في القضايا المذكورة ويكون اداء معصية سببا لدخول النار بسبب امر عادي موذ
الى التغليظ والعقر فان قلت قد لا يستجاب الدعاء مع اجتماع الشروط المذكورة كما حكي في دعاء الانبياء لا سيما نبينا
افضل الانبياء اذ حكي انه دعا مرارا على رعل وذكوان ومضر عسى حتى نزل ليس لك من الامر شيء او يتوب
عليهم او يعذبهم فانهم ظالمون ظاهره ان لا ينجز مسوله اذا لم يكن من المعلقات وان اختلف فيه العلماء لدون
ونح منع المقاتلة عن امته ودعا لعبد الله بن ابي عند مرض موته لاجل استدعاء ابنه فقال الله تع ان تستغفر لهم
سبعين مرة فلن يغفر الله لهم قلنا للدعاء شرط اخر يخفى على الداعين وهو كون المسول من المعلقات فكل نبي بل كل
مؤمن معتقد يعلم ذلك لكن لا يعلم ان مسوله من المعلقات حصولها بالاسباب حتى يحصل بسبب الدعاء ام من المبرمات
التي لا ينفع في تحصيلها تحصيل الاسباب بحسب العادات واذا كان مسوله من المعلقات بالدعاء يستجاب والا لا لانعدام
ذلك الشرط فان قلت اذا لم يعلم الداعي ان مسوله من المعلقات او من المبرمات فاي فايدة في ملازمة
الدعوات والالحاح فيها قلنا فائدة الدعاء ليست محصورة في حصول المسول بل له فوايد اخر عظيمة وعند
العباد جسيمة وهي اظهار العجز والاحتياج الى مالكه ومعبوده في حصول مطلوبه ومقصوده واظهار تعظيمه
وكمال كرمه ورافته على عباده في انجاد رغبته ولذا قال النبي عم الدعاء مخ العبادة الدعاء اعظم العبادة وان ربكم
حيي كريم يستحيي من عباده اذا رفع يديه اليه ان يردهما صفرا وانتبه على اعظم الفايدة ولا تغفل عن النكتة والحكم
فان قلت ظاهر قوله عم ما من احد يدعو بدعاء الا اتاه الله ما سال او كف عنه من السوء مثله ما لم يدع باثم
او قطيعة رحم يدل على ان احد الامرين لازم للدعاء قلنا قد عرفت ان ذلك عند اجتماع شروط الاستجابة
فلا ينس ذلك واذا عرفت ما ذكرنا ان دعوات الانبياء بل دعوات المومنين مستجابة اذا وجد فيها
شروط الاستجابة فاندفع النقض كما اذا قلت كل صلوة لها ثواب عظيم فاذا لم يحصل لها ثواب لانعدام
بعض شروط الصلوة لا يجوز لعاقل ان يقول وجدت الصلوة ولم يترتب عليها الثواب وللغفلة عن
تلك النكتة ذهب كثير من المولين الى المحتملات العقلية في تاويل النصوص الشرعية المختلفة الواردة
في باب الدعاء واستجابته كما قال الزمخشري المراد من الدعاء في قوله تع ادعوني استجب لكم ومن قوله تع
اجيب دعوة الداع اذا دعان العبادة ومن الاجابة الاثابة وقال الامام ابو حفص النسفي رح
المراد من قوله تع اجيب ان يقول لبيك يا عبدي كما يقول العبد يا رب او يكون بعض الاجابة في الاخرة
وانت تعرف ان اجابة الدعاء والعبادة بالتلبية والاثابة موقوفة على وجود الشرائط وان ما قاله
الفقير اقرب الى التحقيق والدقة فان قلت قال النبي عم ان الدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل فاذا ينفع
فيما لم ينزل بالتاويل الذي ذكرتم فما فايدته في الذي نزل قلنا فايدته اظهار العجز والعبودية وتعظيم ربه
باظهار كمال قدرته والربوبية واظهار الصبر والرضا بما انزل الله تع وقضى فان ذلك يهون امر البلاء
بل يلتذ به اهل الحب والرضا فذلك انفع من الدفع عند الاولياء وامر الرسول عم بالتداوي من هذا
القبيل لان الانسان لا يعرف ان زوال المرض متعلق بالدواء ام فيشتغل بالتداوي على موجب

امر

امر الرسول لكنه نعلم ان علته ومرضه لو جعل في القضاء سبب موته لا ينفع فيه الدواء فمن وصل الى المقام الثبات
وحقيقة التوكل لا يشتغل بالدواء ولا يلاحظ الاسباب لكن لما لم تكن ذلك المقام عشر امثالنا ملاحظ الاسباب
امالنا ويمكن ان يقال فائدة الدعاء فيما لم ينزل الدفع وفيما نزل الرفع قال النبي عم لا يرد القضاء الا الدعا
ولا يزيد في العمر الا البر فان قلت قد جاء في الحديث الاخر ان صلة الرحم يزيد في العمر والصدقة يدفع ميتة
السوء فكيف يكون معنى الحصر في الحديثين الاولين العام قال بعض الشراح المراد من رد القضاء ان كان المراد به
حيث صار كانه لم ينزل او رده زعم الداعي لان الداعي اذا خاف من مكروه يدعو ويتضرع وينجو من ذلك
المكروه فيظن انه دفع القضاء ورد بدعائه والمراد من زيادة العمر حصول الثواب الكثيرة بالبر قال صاحب
الكشاف في قوله تعالى وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره الا في كتاب وفي قوله تعالى يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده
ام الكتاب المراد من الكتاب اللوح المحفوظ والمراد من الزيادة انه كتب ان فلانا اذا حج او غزا يكون
عمره ستين واذا لم يحج ولم يغز يكون عمره اربعين واذا حج او غزا ازداد عمره الى ستين واذا لم يحج ولم يغز
نقص من عمره من ستين وقال محي السنة في معالم التنزيل مثل هذا القول ثم اعترض وقال قال الله تعالى
اذا جاء اجلهم لا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون فكيف يزيد العمر واجاب بان ذلك اذا جاء
الاجل المسمى بعد تطويل العمر وقد عرف المحقق ان فيه اعمال الاحساس اي ان الاجل اجلان واهل السنة
لا يقول به ويمكن ان يقال الزيادة والنقصان يجوز ان يكون بالنسبة الى علم الموكلين بقبض الارواح
بان كتب في اللوح المحفوظ ان عمر فلان كذا واطلع عليه الملائكة ثم علموا انه زاد بسببه او نقص بسبب
او يقال العمر والنقص بالنظر الى العرف والعادة لا بالنظر الى الحقيقة كما اذا مات صبي او مات انسان باجال
اخترامية كالرض والغرق والحرق يقال نقص من عمره واذا مات ما وان الشيخوخة والخرافة يقال
زاد عمره وامثال هذا كثيرة اعتبارات وقد كقوله تعالى عالم الغيب والشهادة وهو اهون عليه فتبارك الله احسن
الخالقين فان قلت قوله تعالى الا في كتاب ينافي هذا قلنا لا ينافي لان الموت في حال الصبا او بالاجال الاخترامية
من الامور المقدرة في كتاب الله تعالى كالموت بالمرض والخرافة وفيه رمز الى تجهيل من قال الاجل اجلان
وقوله تعالى يمحو الله ما يشاء ويثبت يحتمل وجوها كثيرة بان يكون ما عبارة عن الاسم والبلدان والمعاصي ومراتب
الناس ولو ابقي على عمومه لقلنا مرد العمر وبعضه باعتبار الحقيقة خارجان عنه بقرينة عقلية ونقلية
لان تغير متعلق علم الله تعالى محال نعم يجوز ان يندرج فيه باعتبار علم الملائكة وقيل الاعمار ثلثة عمر من الولادة
الى موت الجسد وعمر من ابتداء العالم الى منتهاه والعمر الاول يزيد وينقص وابدا به لا اسعر وقال الشيخ المحقق
صدر الملة والدين اعلم ان المقدرات على ضربين ضرب يختص بالكليات وضرب يختص بالجزئيات
التفصيلية فالكليات المختصة بالانسان قد اخبر النبي عم انها محصورة في اربعة اشياء وهي العمر والرزق
والاجل والشقاوة والسعادة وقال في الحديث المتضمن ذكر خلق الانسان انه ياتيه الملكان في الشهر الرابع
فينفخ فيه ويقول يا رب اذكر ام انثى اشقي ام سعيد ما رزقه ما عمله ما اجله ما الحق على والملك يكتب وقال
ايضا فرغ ربكم من الخلق والرزق والاجل وشقي او سعيد وقال الله سبحانه في الجزئيات سنفرغ لكم ايها الثقلان

فافهم واما اللوازم الجزئية والتفصيلية لا تكاد تنحصر ولم يمكن تعيين ذكرها وايضا فظهور بعضها وحصوله للانسان
قد يتوقف على اسباب وشروط ربما كان الدعاء او الكسب او السعي والتعمل من جملتها مع انه لم يعدم حصوله بدون
ذلك الشرط بمثله في تلك الازمنة الاولى ولا يؤثر فيها سعي وسبب بل ذلك نتيجة قضاء الله تعالى وقدره بوقت على السابق
فعلى هذا يكون المراد من زيادة العمر الانتفاع به واعلم ان كل الامور من الكليات الاجمالية والجزئيات التفصيلية
متعلق بها علم الله في الازل الازال وتغيرها عن ذلك السبق بسببه ما محال وكتبة الملائكة الاربعة عند نفخ الروح
لا ينافي الزيادة والنقص كما عرفت تاويل ما في كتب في اللوح المحفوظ ويمكن ان يوجه كلام الشيخ الكمال
بان الامور الاربعة يجوز ان تكون من المراتب او لا تتعلق بها الاسباب غالبا والزيادة والنقصان المذكوران
في الآية باعتبار العادة او الانتفاع وعدمه والله يعلم حقيقة المرام وما قلته من محتملات الكلام واذا عرفت
هذا القدر من التفصيل في معنى قوله عم لا يزيد في العمر الا البر واعلم ان تاويل قوله عم لا يرد القضاء الا الدعاء
ان الدعاء يرد القضاء المعلق اندفاعه بالدعاء ولا يرد المبرم وقد عرفت تفصيل ذلك وتحقيقه فلا نعيدها
فان قلت قد يرد القضاء غير الدعاء لما ثبت في النصوص الشرعية كالصدقة والاحسان قال النبي عم ان الصدقة
لتطفئ غضب الرب وتدفع ميتة السوء فكيف يكون معنى الحصر في قوله لا يرد القضاء الا الدعاء قلنا قد عرفت
ان لا تعارض في النصوص الشرعية في الحقيقة فوجب عليك ان تدفع ما يتخايل من التعارض بوجه من الوجوه
التي ذكرت فهل هنا يجوز ان يراد من الرد الرد الكامل كما تقول لزيد انت الرجل وليس غيرك رجلا
وانت تريد حصر كمال الرجولية عليه او الرد العام او الحصر الاضافي اي بالنسبة الى غير الداعي كما قال الله تع
لا يصليها الا الاشقى الذي كذب وتولى وبالنسبة الى قوم مخصوصين اي قوم لا يقدرون في دفع القضاء على غير الدعاء
كما قال النبي عم لاصحاب الصفة الا انكم تخبرا عما لكم وقد عرفت التحقيق فيه الحاصل ان النصوص
النقلية والعقلية مطابق متطابقة في ان لا تعارض في النصوص الشرعية وكلما توهم التدافع بحسب الظاهر يجب
على المستدل والمأول دفعه بما ذكر الفقير من الضوابط المعدودة والقواعد المسطورة فان اعظم ما رتبه واهم
مطالبه في تاليف هذا المختصر تعليم المتعلمين طرائق دفع التعارض عن وجوه الكلام النبوي لاني اطلع
في اثناء التعليم تشوش اكثر المتعلمين وتردد خواطر جل المستدلين من التدافع الظاهر في كلام سيد المرسلين
قلوب مع
فصرفت همتي وثنيت عزمي الى دفع تشوشهم وترددهم حتى لا يقع الخلل في عقايدهم بسويلات شياطين الانس
ولكن لما سمعت وقد عرفت ان اهل الاهواء قد فسد عقايدهم وخبث ضمايرهم لغفلتهم عن ذلك الامر الذي
هو مقتضى البلاغة وموجب الخطابة كما عرفت بعض تفاصيله في باب الايمان والاسلام باوجز الكلام
ويسجد لذلك الا من عفا به ... ويستجلب بتلك الوسيلة شفاعة رسوله ونعاه اعتقاده وكذا به يستغنى
على ذلك الاستمداد والاستجلاب ارتكب في ذلك الخطب المفصل والشان المشكل ولم يمنعه عنه معرفته
سوء بضاعته وفتور فراسته واعتقاده على كمال كياسته وقلة فطانته لان ضعف القلب وسخف اللب يعمي
المراد ويصم بل يزينه ويرمه بل يكثره ويتمه وهذا من اخفى مكايد النفس كما ترى واقوى مصايد الوك
الغوائل وارجو من فضل ربنا الكريم وعون خالقنا الرحيم ان يلهمنا الحق والصواب ويعصمنا عن الخطا

في الكتاب وتخلصنا من اهواء النفس وتسويلاتها ومن اغواء الشياطين وتضليله انه مرشد المعترفين بقصورهم ومسعد المتضرعين **باب ذكر الله والتقرب اليه** قال النبي عم الا انبئكم بخير اعمالكم وازكاها عند مليككم وارفعها في درجاتكم وخير لكم من انفاق الذهب والورق وخير لكم من ان تلقوا عدوكم فتضربوا اعناقهم ويضربوا اعناقكم قالوا بلى قال ذكر الله وسئل النبي عم اي الاعمال افضل قال ان تفارق الدنيا ولسانك رطب من ذكر الله فان قلت فهم من هذا الحديث ان الذكر افضل جميع العبادات مع ان بعض الاحاديث يدل على ان افضل الاعمال الصلوة وبعضها على ان افضل الاعمال الجهاد وبعضها على ان افضلها الحج كما اورد المص في مناسك الحج ان ابا هريرة قال سئل النبي عم اي الاعمال افضل قال الايمان بالله ورسوله قيل ثم ماذا قال الجهاد في سبيل الله قيل ثم ماذا قال حج مبرور وبعضها على ان افضلها الصدقة وقد عرفت ان افضل الاعمال الفريضة الصلوة ثم الزكوة ثم الصوم ثم الحج ثم الجهاد فما وجه التوفيق قلنا قد عرفت وجه التوفيق والترجيح من القواعد السالفة مثل منها ان التناقض انما يلزم اذا كان جهة التفضيل متحدة واما اذا كانت متعددة متغايرة فلا يلزم فيجوز ان يكون افضلية الذكر وخيريته باعتبار انه مدح المعبود وتعظيمه بالصراحة بخلاف ساير العبادات لانه وسيلة الى التعظيم ودال عليه بالاستلزام ولتلك النكتة والدقيقة صار الاقرار جزءا من الايمان بخلاف باقي الاعمال وقد عرفت وجهه او باعتبار انه لكل مكلف من القوي والعاجز عن الاعمال البدنية والمالية او باعتبار سهولة المواظبة عليه باللسان او بالجنان او باعتبار تحصله في عموم الاوقات والاحوال والاذهان ولا ينافي تلك الفضيلة بتلك الجهة المذكورة خيريته على ساير الاعمال عليه وافضليتها بجهة اخرى كما عرفت تفصيل ذلك ولا يستبعد هذا التوجيه لان امثاله في النصوص الشرعية كثيرة لوروده على اساليب الكلام البلغاء قد سئل النبي عم ما الحاج قال الشعث التفل وقال الاخر اي الحج افضل قال العج والثج وانت تعرف ان الحج لا يتم بالشعث والتفل والعج والثج ليس من اركان الحج ومفضلاته ويعرف ايضا ان مراد النبي عم ان افضل اعمال الحج من جهة الاظهار بالشعث والتفل ورفع الصوت بالتلبية والاذكار واراقة الدم ويمكن ان يقال معناه افضل الحج ما يتم فيه جميع اركانه وادابه وشروطه من المبداء والمنتهى من الشعث والتفل واراقة الدم بالتلبية ومن ذلك القبيل قوله ع افضل الصدقات ظل فسطاط في سبيل الله او منحة خادم في سبيل الله او طروقة فحل في سبيل الله وانت تعرف ان الصدقة عين الفسطاط والخادم والفحل افضل من صدقة منفعتها وان الصدقة اموال عظيمة حلال افضل من صدقة منفعتها وتعرف ان افضليتها بجهة مخصوصة بها وان المراد ان صدقة تلك المنافع في سبيل الله افضل من صدقتها في غيرها او يكون المخصص بعض الوقت والحال او بالنسبة الى المتصدق او المحل وقد عرفت بعض التفاضيل فيه وان لم يحصل فهمك الى تعيين الجهة الخاصة في امثاله فقل يجوز ان يراد منه الفضيلة التامة في ذاته لا بالنسبة الى غيره كقوله تعالى وهو اهون عليه واذا عرفت هذا الكلام الوارد على سبيل الاستطراد واعلم ايضا ان النصوص الشرعية الدالة على خيرية الذكر كثيرة كقوله تع يا ايها الذين امنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا وقوله تع والذاكرين الله كثيرا والذاكرا

وقوله تع الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم وقوله تع واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر
من القول بالغدو والآصال وقوله تع فاذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم اباءكم او اشد ذكرا وفي الآيات
المذكورة انواع دلالة على فضيلة الذكر وان لم نطلع على الدلالة الواقعة فما فهم ان الامر بالذكر على وجه التاكيد والتكثير والتشديد
والمدح عليه يدل على فضيلته وكقول النبي عم من عجز منكم عن الليل ان يكابده وبخل بالمال ان ينفقه وجبن
عن العدو ان يجاهده فليكثر من ذكر الله عز وجل وقوله عم لرجل ان شرائع الاسلام كثيرة فاخبرني بامر اتشبث
لا يزال لسانك رطبا بذكر الله وقوله عم لا يقعد قوم يذكرون الله الا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم
السكينة وذكرهم الله تع فيمن عنده وكقوله عم سبق المفردون قالوا وما المفردون قال الذاكرون الله كثيرا والذاكرات
وقوله عم حاكيا عن الله تع انا مع عبدي اذا ذكرني فان ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وان ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ
خير منه وقوله عم ان لله ملائكة يطوفون في الطرق يلتمسون اهل الذكر فاذا وجدوا قوما يذكرون الله تنادوا هلموا الى حاجتكم
فيحفونهم الى السماء الدنيا واذا تفرقوا عرجوا الحديث واعلم ان دلالة الاحاديث على فضيلة الذكر عرفته وقد عرفت
ايضا وجها عقليا واعلم ايضا ان الآيات والاحاديث دالة على فضيلة الذكر مطلقا اي بالجهر والاخفاء
لما ثبت في الاصول وجوب اجراء المطلق على اطلاقه حتى لا يجوز تقييده بخبر الواحد والقياس ومفهوم المخالفة
كما فهم ترك الجهر من الامر باخفاء الذكر عند بعض الشافعية ولذلك الوجوب استدل العلماء على وجوب
التكبيرات الجهرية في ايام التشريق باطلاق قوله تع واذكروا الله في ايام معدودات فان قلت افضلية
الذكر وخيريته على سائر العبادات بجهة مخصوصة فما وجه ثبوتها على صورة الاطلاق قلنا قد عرفت بعض ابي حامد
فيه من ان المراد منه المبالغة في التحريض على تلك الطاعة بحسب الظاهر وان كان السامع يعلم تقييدها وتخصيصها
بجهة خاصة كما يقول لاحد عند المبالغة في التحريض على الاشتغال بامر ان فعلت ذلك يحصل لك افضل
الاشياء او يكون وزيرا لا نظير لك او يكون سلطانا او يحصل لك جميع ما في الدنيا يكون قولك هذا مقويا
داعيته وجده في ذلك الفعل وان كان يعلم ان ذلك الفعل والامر ليس افضل من جميع الاشياء
وانه لا يكون سلطانا ووزيرا بذلك الامر وتقول ايضا ان فعلت ذلك اهلكك او يكون كافرا او يكون
ملعونا في الدنيا والآخرة ويخاطبك يعرف انه لا يكون كافرا ولا ملعونا بذلك وانت لا تقدر على قتله وان مرادك
من ذلك القول بيان غاية قبح ذلك الفعل وضرره وكونه مبغوضا عندك وذلك من ضروب الفصاحة ولذا تقول
الداعي البليغ رحمك الله غفر الله لك بصيغة الماضي وان كان يعلم المدعو له ان المراد من صيغة الماضي معنى
المستقبل والعدول اليها لا يراد رحمة الله ومغفرته في صورة الماضي واظهار حصولها لك فان قلت قد فهمت
النكتة والحكمة فيه لكني اقول ما فائدة تفضيل بعض الطاعات على بعض بجهة خاصة ثم تفضيل غيرها عليها بجهة اخرى
وكذلك ما فائدة تقبيح بعض المعاصي وتغليظها على وجه يفهم منه انه اعظم المعاصي قبحا وانما لم يقبح غيره ويغلظه
على ذلك الوجه مع ان قبح كل واحدة وغلظها بجهة مخصوصة لا على الاطلاق قلنا نكتته وحكمته التحريض على كل عبادة
والتخويف عن كل معصية بوجه بليغ وزجر كامل حتى يجتهد الساعي في جميع العبادات والتجنب عن جميع السيئات
لما عرفت ان رضا الله تع مكنون في ضمن العبادات ولا يعرف العابد تعين حصوله في بعضها وغضب الله

وسخطه

وسخطه مخفي لا نعلم تعين حصولها في بعض الساعات ومن تلك الحكمة اشتماله قلت كل عابد ومعوده داعم على عبادة تعذر على فعلها فان من عجز عن الجهاد كالنساء والمرضى والزمناء ينكسر قلبه عند معرفة فضايل الغزاة والشهداء فبين النبي عم كثرة فضايل ذكر الله تع وكثرة فضايل ذكر الموت وافضليتها على غيرهما بوجه من الوجوه حتى يطيب نفس العاجز عن الجهاد ويستقل بمواظبة ذكر الله وذكر الموت ومن عجز عن الصدقة والحج يتحسر بالها ايضا ويوسوس حاله ايضا عند سماع فضايل الصدقة والحج فبين ايضا النبي عم فضايل الصلوة والصوم والذكر بل بين افضليتها على غيرها مطلقا وان كانت بوجه يخص في الواقع حتى يقول السامع العاجز عنهما ان عجزت عنهما ولم اعجز عن المواظبة على الصلوة والصوم والحج فوجب على ان واظب عليها واظفر بالفضيلة والثواب والدرجة الرفيعة عند الله تع بسببها ومن تلك النكتة بعث الطالبين فضيلة الكمال وان لكنهن طريقة الوصال على جمع جميع اسباب الكمالات ووسايل الوصال وعلى الاحتراز عن جميع المعاصي والسيئات حتى يتوفوا الوكل باعلى الدرجات كما ترى طلاب العلم لا يقتصر على تحصيل بعض العلوم بل يجتهد على تحصيل جميع ما يسمع من الفنون اذ اقصوا الكمال فيه ومنصر الحراص المهالك على حطام الدنيا كيف يحمل التبعات الكثيرة والمشقات المديدة في تحصيل الكمال فيها والرياسة والشهرة بها ويرضى بتضييع عمره النفيس في جمع اسبابها ويركب في مكامد قطع المعاور والفيافي والمسافات البعيدة ويفارق اولاده ومحبوباته من ازواجه وجواريه ومساكنه الطيبة مع معرفة ان الغالب في ذلك السفر ضياع البضاعة بل هلاك النفس الامارة وان التجار الكثيرون خسروا في تجارة تلك المسافر بل هلكوا في طريقها المخوفة المأوفة لكثرة قطاعها وتربصها بها للنهب والغارة واذا تحمل طالب الرياسة الباطلة والرفعة الباقية الفاضلة في الدار الاخرة على متاعب العبادة القليلة الموصلة الى تلك الدولة الدائمة واللذة الكاملة الباقية

والفضيلة الزايلة بتلك المشقات الشديدة العريضة المديدة كيف لا يتحمل طالب الدولة الكاملة صح صح

باب ثواب التسبيح

قال النبي عم افضل الكلام اربع سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر وفي رواية احب الكلام الى الله تع اربع فان قلت يلزم من عموم هذا والاطلاق ان تكون الاذكار المذكورة افضل من كلام الله تع وليس كذلك لما ثبت في الحديث الصحيح ان فضيلة كلام الله تع على غيره كفضيلة ذاته على ساير الموجودات قلنا ذلك قرينة تعليلية صارفة عن اجراء الحديث المذكور على حقيقته فيقول المراد من كلام في قوله افضل الكلام واحب الكلام كلام الناس كما جاء في رواية اخرى افضل الذكر بعد كتاب الله اربع فان قلت ما سبب افضليته على ساير كلام الناس قلنا اشتماله على تنزيه الله وتحميده وتهليله وتكبيره بالصراحة وقد عرفت فضيلة التصريح فان قلت اسماء الله تع الحسنى وصفاته العليا الدالة على تعظيم وتنزيه بالصراحة كثيرة فما وجه فضيلتها عليها قلنا وجهها اشتمالها على نظم خاص وترتيب خاص لا يوجد في غيرها ولو ورد في القرآن والحديث التنزيه والتحميد والتهليل والتكبير على هذا النظم الخاص والترتيب الخاص وان لم يقدر على استنباط وجه خاص فقل المراد من فضيلته والاحبية كمال فضيلته ومحبوبيته في ذاته لا على جميع اغياره او المراد بيان فضيلته بوجه بليغ لما عرفت ان المجاز ابلغ من الحقيقة كما اذا تريد تبالغ في مدح شيء تقول ليس في الدنيا افضل واحب منه واذا لم يوجد

ابلغ بقول هذا اقبح الاشياء واشنعها واهل اللسان يعرف مراد كل اذا امتنع اجراء كلامه على ظاهره وحقيقته وكثيرا ما يقولون انهم ارجحون في تاويل مثله المراد من اسم التفضيل الزيادة المطلقة اذا لم يقصد تفضيله على ما اضيف اليه لكن ذلك خطاء لان معنى الزيادة المطلقة ان يقصد تفضيله على جميع اغياره بشرط ان لا يكون المضاف من جنس المضاف اليه كقولك زيد احسن جلدته وهذا لا يتمشى في مثل هذا الحديث لقوله افضل الاعمال الحج وافضل الذكر او افضل الكلام لا اله الا الله لان المضاف فيه من جنس المضاف اليه ولو قصد منه الزيادة المطلقة يصح دفع الاعتراض اذ يلزم منه تفضيله على ما اضيف اليه وغيره مما يشاركه في اصل المعنى فالمناسب ان يقال المراد من اسم التفضيل الزيادة في حد ذاته كقوله تع وهو اهون عليه واعلم ان اسم التفضيل اذا استعمل بمن يجب ان يقصد تفضيله على مدخول من لكن اذا استعمل بالاضافة او بحرف التعريف يجوز ان يراد منه الزيادة المطلقة او الزيادة في حد ذاته وعلى التحقيق الذي فصلته باول قوله عم افضل الكلام ما اصطفى الله للملائكة سبحان الله وبحمده وقوله عم افضل ما قلت انا والنبيون من قبلي لا اله الا الله وقوله عم في وقوف عرفة خير ما قلت انا والنبيون من قبلي لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير واستنبط منه ما يقارب التحقيق ويناسبه التوفيق بعطاء بكل الصالح اذ العارف بكيفية بركاته والغبي يشوشه بكثرة العبارة قال النبي عم اول من يدعى الى الجنة يوم القيمة الذين يحمدون في السراء والضراء وقال عم من سبح الله مائة بالغداة ومائة بالعشي كان كمن حج مائة حجة ومن حمد الله مائة بالغداة ومائة بالعشي كان كمن حمل على مائة فرس في سبيل الله ومن هلل الله مائة بالغداة ومائة بالعشي كان كمن اعتق مائة رقبة من ولد اسمعيل ومن كبر الله مائة بالغداة ومائة بالعشي لم يات في ذلك اليوم احد باكثر مما اتى به الا من قال مثل ذلك او زاد على ما قال وقال النبي عم التسبيح بما لم يات يوم القيمة احد بافضل مما جاء به الا احد قال مثل ما قال او زاد عليه ولو لم يوفق في الاحاديث المذكورة بما قلت من ان افضلية كل واحد من الاذكار على غيره بجهة وخاصية لا يوجد في غيره او يفضل كل على غيره صدر لرعاية مقتضى الحال والمقام او المراد بيان كثرة ثوابه كل واحد وفضله بطرق مختلفة ومخصصات متنوعة مناسبة للحال او حمل قائله لا الحصر ويعين المقدار يتوهم التدافع لان قوله عم من دعى يدل على افضلية التحميد على غيره مع ان الاحاديث السابقة يدل على ان افضل الاذكار التهليل وتخصيص كل جهة بالتسبيح وتخصيصه في فرس بالتحميد على ان التسبيح افضل من التحميد وقوله عم التسبيح يملاء نصف الميزان والتحميد يملاؤه يدل على ان التحميد افضل وقوله من قال حين يصبح وحين يمشي سبحان الله وبحمده مائة مرة لم يات يوم القيمة احد بافضل مما جاء به الا احد مثل ما قال او زاد عليه يدل على ان التسبيح والتحميد افضل من غيرهما واذا لم يصل فهمك الى التوفيق باستخراج خصوصية مقتضية للتخصيصات المذكورة فعليك بعلم وجه اختصاص كل منوع من المثوبات كالحج والعتق ووقع الفرس في سبيل الله او جهة المجاهد الا بنور النبوة او اقل المراد من الاحاديث المذكورة بيان كثرة التسبيح والتحميد والتكبير والتهليل بطريق اخر وبوثيقتا ويكلا هذا قوله عم لم يات في ذلك اليوم احد مما اتى به الا من قال مثل ذلك او زاد على ما قال وقوله لم يات

يدل ح

يوم القيمة احد بافضل مما جاء به الا احد قال مثل ما قال او زاد عليه فتامل فيه تعلم فايدة واعلم انك اذا تاملت
في كل باب من ابواب العبادة كالصلوة والصوم والزكوة والحج والجهاد وحسن الخلق والجود والرفق وغيرها من الاعمال
والاخلاق وجدت فيه مبالغات في ثوابه ومدح فاعله حتى ظننت انه افضل العبادات واعظمها وكذا اذا تاملت
في كل باب من ابواب المعصية العلمية والعملية وجدت فيه تشديدات وتغليظات في عقابه وذم فاعله حتى اعتقدت
انه اقبح المعاصي واشدها فيلزم كون كل منهما مفضلا ومفضلا عليه فيتوهم التعارض والتدافع لكن اذا تدبرت
وامعنت النظر وتلطفت تفكرت وامعنت في التوفيق بفطانتك الكاملة وفراستك الشاملة تطلع على ان فضل
كل واحدة من العبادات وتقبيح كل واحد من السيئات بجهة مخصوصة لا يوجد في غيرها فيندفع عن ساحة
توهمك التعارض وينقلع عن عرصة ظنك التدافع وان فايدة ذلك النظم البليغ ما ذكرنا من التحريض على
ملازمة جميع الطاعات والمجانبة عن جميع السيئات **باب الاستغفار والتوبة** قال النبي عم ان عبدا اذنب
ذنبا فقال رب اذنبت فاغفره فقال ربه اعلم عبدي ان له ربا يغفر الذنوب ويأخذ به غفرت لعبدي
ثم مكث ما شاء الله ثم اذنب الحديث الحاصل انه اذنب ذنبا ثلث مرات واستغفر ثلث كرات وقال
الله تع غفرت لعبدي في كل مرة وقال في الثالثة فليعمل ما شاء فان قلت قوله تع فليعمل ما شاء امر
بالمعاصي كقتل المسلم والسرقة والزنا والشرك فلا يكون ذلك مقتضيا لحكمة قال بعض الشراح في تاويله انه
لما صار مغفورا لا يكتب عليه المعاصي فيما بعد ولا يضره الذنب وقال معناه فليعمل ما شاء من الطاعة وقال
بعضهم فليعمل ما شاء كلام يستعمل تارة في معرض السخط واخرى في معرض التلطف وليس المراد منه في كلتا
الصورتين الحث على الفعل او الترخص فيه بل التعريض بالترك له وقال الامام النووي في شرح المشكوة
معناه فليفعل ما شاء فانه يتوب فاعلم ايها الاخ الطالب للتحقيق والجازم الحريص على التدقيق قد عرفت
فيما سبق ان المتعلم لا يتخلص عن ربقة التردد ولا يستعصي عن ذل التحير بضبط جزئيات اجوبة السؤالات
المختلفة فيجب عليك ان تتعلم القواعد في دفع التعارض والتوفيقات وتحفظ الضوابط في طرق الترجيح
والتحقيقات حتى تقدر على التاويل المناسب والتحقيق المقارب في الجزئيات ولذا ذكر الفقير في اول الكتاب
بعض قواعد الجمع والتوفيق وقوانين الترجيح والتحقيق فاعلم في هذا المقام ايضا اصلا مناسبا للكلام
من ان الامر المطلق عندنا للايجاب مما اشتمل عليه من الضرر واذا تعذر ذلك بقرينة نقلية او عقلية
او عادية يصار الى المعنى المجازي كالاباحة والندب والتهديد والامتنان والاكرام والتعجيز والتسخير والاهانة
والتسوية والدعاء والتمني والاحتقار والتكوين وكذلك النهي المطلق عندنا للتحريم واذا تعذر التحريم
بقرينة صارفة يحمل على المعنى المجازي كالكراهة والتنزيه والتحقير وبيان العاقبة والارشاد والشفقة وقد عرفت
ان معرفة تعذر ارادة المعنى الحقيقي من الكلام بقرينة سهل يسير لكن الامر المعضل والخطب المشكل تعيين
من المعاني المجازية مناسب للمقام متقارب الى الافهام ولذلك يعرف بذلك التفاوت بين مراتب المتدربين
ومباحث العلماء وطالبين فتامل في قوله فليعمل ما شاء واستنبط منه المعنى المجازي الموافق للمقام والمقارب
الى الافهام اذا تعذر ارادة معنى الحقيقي من الكلام فليفهم ان سياق الكلام مشتمل على قرينة التلطف والترجيح

وقرينة التهديد والترهيب لان تكرار المغفرة وعدم المواخذة في اول الجناية يدل على سعة رحمة الله وكرمه في شأن ذلك المذنب
وتكرار ارتكابه الذنب واصراره قرينة استحقاقه القهر والتعذيب وعلى كلا التقديرين لا يراد من الامر وقوع مضمونه
فضلا عن الايجاب لا عموم قطعي ما شاء بمعنى ذلك فيراد من الامر احد المعنيين المجازيين لكن الانسب للسياق وان يراد
به التلطف والحث لتكرار التوبة وسرعة توبته وترتب المغفرة عليها فيكون بذلك السبب مظهر اللرضى كما قال
الله تع ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين وقد سبقت رحمتي على غضبي ولان النظر الى الماحي اولى من النظر
الى الممحو وكان التائب عن الذنب كمن لا ذنب له وما قاله الامام النواوي من ان يراد حقيقة العمل لانه لا يضره الذنب
لترتب التوبة عليه غير مستبعد بان تعالى لما ظهر تكرار توبته مصرا وابا ولما وصل اليه مغفرة الله تع وقبوله التوبة يصير
محبوبا والمحبوب لا يعاقب بجرمه لكنك قد عرفت الفرق بين التاويل المحمل للصواب في عمل بعض الاثام
وبين التحقيق المناسب للمقام والقرينة الافهام مع انه يجب ان يخصص ما شاء بالذنوب القابل ذو المغفرة بالتوبة
ولما ثبت في الشرع ان المظالم وحق العباد بل فوايت الفرايض لا يزول غالبا بالتوبة كما ان رايه النبي عم
ان جبرائيل قال له العمل في سبيل يكفر كل شيء الا الدين ويندرج في الدين حقوق العباد بل فوايت الفرايض
لان توبتها قضاؤها وما قاله غيره في التاويل من ان الذنب لا يضره بعد ذلك فليعمل ما شاء او فليعمل ما شاء
من الطاعة بعيد عن الافهام غير مناسب لمقام الكلام وقال النبي عم والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم
ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم وقال كان في بني اسرائيل رجل قتل تسعا وتسعين انسانا ثم خرج
يسال فاتى راهبا فسال فقال له اله توبة قال لا فقتله وجعل يسال فقال له رجل ائت قرية كذا وكذا فادركه الموت
فناء بصدره نحوها فاختصمت فيه ملائكة العذاب وملائكة الرحمة واوحى الى هذه ان تقربي والى هذه ان تباعدي
وقال قيسوا ما بينهما فوجد الى هذه اقرب بشبر فغفر له ويشاكل هذا الحديث ما قال النبي عم اسرف رجل في المعصية
واوصى بنيه ان يحرقوه ليتخلص عن ضرر ذنبه فاحرقوه فغفر لذلك وقال النبي عم يا ابن آدم انك ما دعوتني ورجوتني
غفرت لك على ما كان فيك ولا ابالي يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك ولا ابالي
فان قلت بعض هذه الاحاديث يدل على ان الذنوب مراد الله فيجب على العبد ان يعمل الذنب حتى يحصل مراد الله
ويتخلص من الاذهاب الى الهلاك وبعضها يدل على ان المظالم يعفو بالتوبة وبعضها يدل على ان الذنوب لا تضر ولا يسمع
لقوله غفرت لك ولا ابالي وهذا يخالف اصول الشرع بل يعارض لان النصوص القاطعة منها صريح في الدلالة على
وجوب الاجتناب عن الذنب وتركه وعلى ان المظالم لا تغفر بالتوبة لا سيما القتل الذي قال الله تع في حقه ومن
يقتل مومنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها قلنا قد عرفت ان بعض الاحاديث مبين احتمال بعضها وبعضه
رافع ابهام بعضها وبعضها مقيد ومخصص بعضها وبعضها مؤيد راجح يمنع عن العمل بمرجوح يخالفه فنقول
في تاويلها الحديث الاول ان الكلام المشتمل على القيد مثبتا كان او منفيا يكون نصا في بيان القيد ومورد الحكم
واشارة وغير مسبوق لغيره فيكون سوق الكلام فيه لبيان فضيلة ترتب الاستغفار على الذنب بقرينة قوله
فيستغفرون الله لا لاباحة الشروع في الذنب لدلالة النصوص الراجحة القاطعة على وجوب الاجتناب عنه
وفرضية تركه ويرشد الى ذلك قوله عم وكل بني آدم خطاؤون وخير الخطائين التوابون وما يشبه اقتضاء وضمنا

لا يعتبر به كما نعرف ان الله تع بالغ في ثواب الشهادة ورفعه درجة الشهداء وكذا النبي عم لتحريض المؤمنين على الشهادة مع انها
متضمنة لغلبة الكفار عليهم وقتلهم لكن لما كان المقصود شهادتهم لا غلبة الكفار لا يعبأ بها ولو سلم ان الحديث يدل على
ان الذنب مراد الله تع بالاصالة نلتزم به لكنا نقول ليس كل ما يريد الله تع جائز في الشرع لان كفر الكافر مراد الله تع عندنا
مع ان الشروع فيه اقبح المحرمات وابغض المنهيات لان ارادة الله تع عبارة عن تخصيص احد المقدورين وترجيحه بالوقوع
وترجيحه في اي وقت معين كان ذلك الاحد او طاعة فعلا كان او تركا لكن ذلك التخصيص والترجيح بعد اختيار الفاعل
ذلك الطرف على سبيل السنة الالهية فلا يلزم الجبر على الذنب والكفر ولا قبح العقاب عليهما او خروج عن سنن العدل
والحكمة ونقول كل ما كان مرضيا عند الله تع بعضه مستحسن الشرع وبعضه واجب الشروع كالعبادات المفروضة
والمتطوع بها مدار الثواب والعقاب توجه العبد واختياره لا ايجاد الله تع بعد ذلك وقد عرفت بعض التفصيل
والتحقيق فيه فلا تصدع فيه فان التعمق في هذا الباب يفضي الى كشف سر القدر ولولا تكرر طلوب المسترشدين سماع كلام
المبتدعين لما تشاغلنا في البحث عن هذا الكلام وان اقتضاه المقام ونقول في تاويل الحديث المشتمل على قتل تسع وتسعين
ومغفرته يجوز ان يكون المقتولون مباحي الدم لكن القاتل ليس لهم ولاية قتلهم ولذا احتاج الى التوبة وايضا الراهب
قال له لا تقبل توبتك يجوز ان يباح دمه لاقناطه القاتل عن رحمة الله تع وهذا من المحتملات العقلية فالاولى ان يقال
ظهر العاصي لكثير ذنبه وتوبته برضاء الله تع لغاية ندامته على ذنبه واستيلاء الخوف والتضرع والمسكنة والرقة على قلبه
وتوجهه بالكلية الى طلب رحمة الله تع منقطعا عن الاسباب ولا يبعد ان يكون ذلك الامر سببا لارضاء الخصوم ايضا
كما ثبت في الشرع ذلك ويجوز ان يكون له خلق مخفي يصير سببا لرضاء الله المؤدي الى رضاء الخصوم وقد عرفت ان رضا الله
في بعض العبادات فربما حصل بسبب يسير وعبادة قليلة ويدل على ذلك وحيه تع الى ما وعده العالم ان يلبس حتى يقرب
اليك عبدي النادم لان ذلك الوحي لم يصدر الا لوجود خصلة مقتضية لذلك لما عرفت ان مقتضي الحكمة ذلك وان امكن
عقله ان يكون ذلك المقتضي كما حكى النبي عم عن الله تع انه قال انا عند ظن عبدي به وبهذا التاويل والتوجيه يصح قضية
الرجل المسرف الموصي اولاده ونثر نصف رماده في البر ونصفه في البحر واذا عرفت تاويل الاحاديث المذكورة الرامي
الى طرف الرجاء وسوء رحمه الله وسيعرف طرف الخوف في الترهيب الاحاديث المنبهة على الحزن الاجتناب عن المعاصي
للتعديل والاخراج عن الغلو في الرجاء المؤدي الى التهاون في امر الدين الا من فاعلم ان حكاية القاتل التائب والمسرف المحرق
من النوادر لا يظفر بها الا واحد من الآلاف كالتواصل الى ليلة القدر وان الطريق المطرد الوصول الى التوبة ونيل الجنة
بسبب استجماع العبادات والاجتناب عن جميع السيئات وان المتارك في باب الدين والعبادة ما يغلبه ويطرد في العبادة
الشريعة والسنة الالهية والمتمني لما ينذر ويتسارع واخرق كمن ترك حرفته التي يحصل بسببها كل يوم وجه معيشته ودخل
بيته وغلق بابه واشتغل بثقب جداره وحفر بيته وداره وسأل الناس عن حاله وشغله فقال اريد ان اجد كنزا
في بيتي واظفر بكنز من الذهب والياقوت الاحمر والجواهر لاعيش واتخلص عن تعب الكسب فان السامعين يسخرون
منه ويضحكون وينسبونه الى الحمق والجهل لتركه العمل بالامر المطرد والقاعدة واشتغاله بالشيء النادر وان كان ممكنا كما ان
من الناس وجدوا الكنز فلا تترك ايها العامل المسقط والغافل المسقط الاشتغال بالامر المطرد من المواظبة على الاعمال
الصالحة الجامعة شروطها الظاهرة والباطنة والاجتناب عن الاعمال الطالحة المهلكة ولا تتشبث بالامر النادر المستبعد

فانه لعل رضاء الله تع يحصل لك في امر يسير من العبادة فيغفر لك من غير اتعاب النفس في توفيه وظايف الطاعات وقهرها في المنع
عن المشتهيات حتى لا تكون من الحمقى المغرورين والكسالى المفتونين وضحكة للعقلاء من المومنين في باب العبادة والدين
واذا لم ترض بكونك ضحكة للجهلة والعوام واحمق بين الانام في باب الدنيا ولن ترضى بالجهالة والحماقة في امور الدين والعقبى
مع انك عرفت ان ترك اسباب الدنيا جهل بل هو من وظايف المقربين وخصايص المتوكلين ومرتبة العلماء العاملين
وترك اسباب الاخرة جهل جلي بل كفر خفي كما قال الله تع وقال الذين اشركوا لو شاء الله ما اشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا
من شيء كذلك كذب الذين من قبلهم وقال النبي عم والفاجر من اتبع نفسه وتمنى على الله واذا عرفت هذا القدر من التفصيل
في توجيه الحديثين والتاويل نقول ان قوله عم حكاية عن الله تع يا ابن آدم انك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على
ما فيك ولا ابالي لا يدل على ان التوبة غير محتاج في مغفرة الذنوب اي ذنب كان على ما يدل عليه قوله تع على ما فيك
لان ما عام والمغفرة غير مقيد بالتوبة لان التوبة عبارة عن عدم العلم على ترك الذنب مع الندم لمعرفته قبح ذنبه ومخالفته
لامر مالكه وقوله دعوتني ورجوتني يدل على ذلك ولو سلم عدم دلالته عليه قلنا قد عرفت ان بعض احاديث
مقيد ومخصص بعضها وقد ثبت بالاحاديث الصحيحة ان حقوق العباد لا تغفر بمجرد التوبة بل هي محتاجة الى الاداء
او الاستحلال من صاحبها وان مغفرة الذنوب مقيد بالتوبة كما قال عم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني
غفرت لك وقال ايضا من علم منكم اني ذو قدرة على المغفرة فاستغفرني غفرت له ولا ابالي وقال بعض الشراح مثل
هذا الحديث صدر لتغليب الرجاء على الخوف لان صفة الرحمة والعفو غالبة وقال بعضهم قال النبي عم مثل هذا الحديث
عند غلبة الخوف على الاصحاب وانت تعرف ان هذا التاويل لا يصح مثل تلك الاحاديث على ظواهرها ولا يليق
ايها الغافل المتدبر والعاقل المحقق على تطويل الكلام في هذا الباب والتام لان بعض علماء الانام سفهاء
الاحلام ازالوا خوف الانام لعوام واهلكوهم في متالف التهاون والتناهي لانهم افرطوا في باب الرجاء بظاهر الكلام
حتى سمعت انه يقول ان النار اعدت للكفار فلا يدخلها المؤمن وما نقلوا من النصوص في باب التخويف والوعيد
بمجرد الزجر والتهديد كما قال الله تع فاتقوا النار التي اعدت للكافرين وبشر الذين امنوا وعملوا الصالحات ان لهم
جنات تجري من تحتها الانهار وقال النبي عم امتي امة مرحومة ليس لها عذاب في الاخرة وقال الفقير للسامعين
الغافلين كلامهم لا يعتمد واعلى كلامهم فان العالم الناقص والواعظ القاصر يفسد قلوب المومنين اكثر مما يصلحها
كالطبيب الجاهل فان كثيرا ما يفسد ابدان المرضى بل يهلكهم بمعالجته ونقل طرفا من النصوص الشرعية في باب الخوف
لتعديل قلوبهم واصلاحها وقال قال الله تع يا ايها الذين امنوا قوا انفسكم واهليكم نارا وقودها الناس والحجارة ولعلهم
يدخل النار المومنين لا يستقيم تخويفهم منها وبشر المؤمنين بالجنة شرط مقارنته بالعمل الصالح وقال الله تع وسارعوا
الى مغفرة وجنة عرضها السموات والارض اعدت للمتقين الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين
عن الناس والله يحب المحسنين ولو كان قوله تع في حق جهنم اعدت للكافرين يدل على اختصاصها بهم لدل
اختصاص الجنة بالمتقين المتصفين بما ذكر في الاية الشريفة فلا يدخلها التقي الغير المتصف فضلا عن المومن
وقد علق الفلاح عن النار ايضا مؤمن متصف بالايمان المذكور الكثيرة في قوله تع قد افلح المومنون الذين هم
في صلوتهم خاشعون والذين هم عن اللغو معرضون والذين هم للزكوة فاعلون والذين هم لفروجهم حافظون

التاويل وح

من ربكم صح

حذر

فهذا يدل ايضا على ان المؤمن لا ينجو من النار بدون الاوصاف المذكورة واوعد المؤمنين بخلود النار
على القتل كما قال الله تع ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغلظ في حق تارك الحج كما قال
ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر اي من ترك الحج بعد الاستطاعة واوعد
النبي عم على مؤمن ارتكب معصية بالنار كما قال عم لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من خردل
من الكبر وقال عم لا يدخل الجنة قتات ولا نمام وقال الصحابة في حق صحابي قتل شهيدا هنيئا له الجنة لكن
النبي عم كلامهم وقال لعله تكلم بما لا يعنيه وقال عم ان الرجل لا يتكلم بالكلمة من الشر ما يعلم مبلغها يكتب الله
بها عليه سخطه الى يوم يلقاه وقال عم ان العبد ليتكلم بالكلمة من الشر يتكلم بها ليضحك بها الناس يهوي بها
ابعد ما بين السماء والارض وقال بين العبد وبين الكفر ترك الصلوة وقال من ترك الصلوة متعمدا فقد كفر
وقال عم في باب القصاص من قتل معاهدا لم يرح رائحة الجنة وان ريحها توجد من مسيرة اربعين خريفا
ولم يقصر النبي عم على الايعاد بدخول جهنم على المعصية بل اوعد بالخلود فيها عليها حتى وقال من تردى من جبل
فقتل نفسه فهو في نار جهنم يتردى فيها خالدا مخلدا ابدا ومن قتل نفسه بحديدة فحديدته في يده يجأ بها
في بطنه في نار جهنم خالدا فيها ابدا وغلظ ايضا على بعض المعاصي وقال في بيان حرم المدينة من احدث في المدينة
حدثا او اوى محدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين لا يقبل منه صرف ولا عدل وقال اذا حضر جنازة
من الصحابة هل عليه دين فان قالوا نعم ولم يصل عليه وقال صلوا على صاحبكم وقال بعض الصحابة المحققين انما لم
لم يصل عليه لانه عم علم ان دعاءه لا يقبل في حقه لوجود الدين في رقبته وقتل مدعم في الغزاة بسهم عائر فقال
الناس هنيئا له الجنة فقال النبي عم والذي نفسي بيده ان الشملة التي اخذها يوم خيبر من المغانم لم تصبها المقاسم
لتشتعل عليه نارا يوم القيمة ومات كركرة فقال النبي عم هو في النار لعباءة غلها من المغانم قبل التقسيم
ان مدعما وكركرة كانا خادمين لرسول الله صلعم ومات ايضا رجل من الانصار يوم خيبر ولم يصل
النبي عم عليه فتغيرت وجوه الغزاة من الملالة فقال النبي عم غل خرزا فوجدوا في ثقله خرزا لا يساوي درهمين
وامثاله كثيرة ولو حكم ذلك المستدل اي اهل العلم بظاهر الآية والحديث الذين نقلهما بان المؤمن لا يدخل النار
لاختصاصها بالكفار وان كل امة محمد عليه السلام مرحومة لا تعذب في الاخرة لوجب عليه ان يحكم بالآيات
والاحاديث التي نقلنا بكفر المؤمن بسبب ترك الصلوة والحج ودخول النار بل خلوده فيها ببعض المعاصي
وهذان حكمان متناقضان لا يذهب اليهما من له ادنى خطر من العقل والعلم انما قال الفقير هذان حكمان متعارضان
على زعم القائل والعامل بظواهرها ومثله الآمن والعاجز عن التأويل والتوفيق والجاهل بالترجيح والتحقيق
لئلا يتميز عن الاعتقاد على قوله وحكمه والا قد عرفت ان لا تعارض في النصوص الشرعية وسمعت طرق
دفع المعارضة الظاهرة وتوفيق مثل تلك المرافعة بما ذكره الفقير من الضوابط الشريفة والقواعد المنيعة
فاحفظها ولا تنسها فانها ينفعك في مواضع متعددة من امور دينهم ويصونك عن الزيغ والزلل والضلال و
والخلل لما عرفت ان سبب ظهور الاهواء والبدع كان غالبا من العمل بظواهر النصوص الشرعية وعدم الاقتدار
على التأويل والتوفيق والترجيح والتحقيق بل كان ذلك سببا للاختلاف بين اهل السنة في الامور الدينية

و الدنياوية بل للاختلاف بين اهل المذهب الواحد والملة الواحدة ومن ذلك ما قال ايضا بعض العلماء بالنظر
الى الظاهر والصورة والقصور عن الجمع والتحقيق والدقة وان العلم المجرد افضل من العبادة ويحصل بها النجاة ورفع الدرجة
ولا يحتاج الى اتعاب النفس في التكاليف الشرعية الشاقة فصار ذلك سببا للضلال والاضلال اذ كثير من المتعلمين والجهال
يعتقدون على صدق هذا المقال لصدوره ممن اشتهر بالدرس والافضال في علم المجادلة والقال فصار ذلك سببا للتكاسل
في تحصيل العلم وتكميله بالتورع والاعمال وقد سمع الفقير ان هذا المحيل الى اهل العلم يقول قال الله تع يرفع الله
الذين امنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات وقال وهل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون وقال النبي عم فضل العالم
على العابد كفضلي على ادناكم وفضل القمر ليلة البدر على ساير الكواكب وكم بعد تفضيل العالم فما فائدة العمل بالعلم
فنفهم منه ان مجرد العلم سبب الكمال والفضيلة في الدنيا والاخرة قال الفقير النصوص الدالة بظاهرها على فضايل العلم
وكونه سبب النجاة والقربة بدون القيد باقتران العمل اكثر وابلغ مما ذكرت ويكافيك في بيان ذلك قوله تعالى
الذي خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن يتنزل الامر بينهن لتعلموا ان الله على كل شئ قدير وان الله قد احاط
بكل شئ علما وقوله تع وعلم آدم الاسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال انبئوني باسماء هؤلاء ان كنتم صادقين
قالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا انك انت العليم الحكيم وفي هاتين الآيتين انواع من الدلالة على فضيلة العلم بالنص
والاشارة [illegible] يطلع عليه اهل الفطانة وان اردت ان تسمع بعضها فاعلم ان المفهوم من الآية الاولى ان المصلحة
والحكمة من خلق العالم وشرط الوحي وارسال الرسل وايصال الكتب العلم الديني لكن اقتصر على ذكر
بعض متعلق العلم لاظهار شرفه واكتفى به عن ذكر الباقي رعاية لاسلوب البلاغة على طريق الوجازة
لما عرفت ان اصل العلوم الدينية علم المعتقدات وافضلها واهمها معرفة ذات الله والصفات فاختص منها
على اثبات كمال القدرة والعلم لذاته المؤدي الى معرفة وحدانيته وكمال ذاته وذلك باعث تام ومحرض قوي
على معرفة الباقي من العلوم الدينية وتوقفه وظايف العبادات الشرعية على اقصى الحد والطاقة ولذا اكتفى به في بيان
خلق العالم ونزول الوحي وللمتأمل الذكي ان يقول [illegible] كان غاية خلق العالم وحكمة العلم لكمال قدرة الله تع
وعلمه يدل ذلك على فضل العلم الديني وكماله بابلغ الوجوه فاعلم ذلك كله وتنبه عليه ولا تغفل عن [illegible] التنبيهية
والحكم الرفيعة الخفية [illegible] اعلم ايضا ان واضح المفهوم من الآية الثانية تفضيل آدم عم على الملائكة المستغرقين
الكاملين في العبادة بالعلم فالظاهر انه لو وجد مفضل افضل واعظم من العلم لفضل به وان جاز ان يقال
لعل فيه حكمة خفية مخصصة وان لم تحقق على باقي المفضلات يحصله ان الملائكة لما اطلعوا باعلام الله تع على ان
بني آدم يصدر منهم المعاصي المتنوعة فسألوا عن حكمة خلقهم وقالوا اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء
يعني مصلحة خلق ذوي العقول معرفة الخالق والحذق والمواظبة على عبادته وهم اهل المعصية والمخالفة فتخفى
علينا في الظاهر مصلحة خلقهم اذ لا مصلحة فيه بحسب عقلنا الا الطاعة ولذا قالوا ونحن نسبح بحمدك ونقدس
لك والا لا يناسب المقام بل نفهم منه عجبهم فتامل قال الله تع في جوابهم وتعليم مصلحة خلقهم اني اعلم ما لا تعلمون
يعني انتم تعلمون الظواهر والحواضر ولا تعلمون البواطن والمغيبات وفيه رمز الى ان في خلقه آدم مصلحة
عظيمة خفية وفضايل جسيمة شريفة ومن جملتها العلم الكامل وهو افضلها ولذا فضله عليهم به بين ذلك بقوله وعلم

آدم

آدم الاسماء كلها حاصل الكلام المناسب للمقام ان آدم خلق من اخس السفليات وهو الحماء المسنون
وهو قابل لصدور الفساد والسيئات والملائكة المخلوقون من النور ومشرفون بانواع الذكر والعبادات
واصناف المحامد والتسبيحات لا يفترون عنها في المدد الطويلات ومطهرون عن المعايب والمنقصات فاذا
فضل آدم بالعلم مع ذلك الاصل والعنصر الدني والقصور في الوصف والحال الوفي على وتلك الملائكة المشرفين
بالذات والافعال الشريفة والوصف والاحوال المنيفة فهم منه ان العلم المجرد مفضل على العبادات المداومة الدائمة اذا
تمهدت هذا قلنا ان نقول هذا بالنظر الى الظاهر الجلي والغفلة والقصور عن الجمع والتحقيق الجمع لان الايات والاخبار
الدالة على فضائل العلم كثيرة جدا والمذكور بعض قليل منها لكن النصوص النقلية والبراهين العقلية القاطعة الراجحة
تدل على ان فضيلة العلم مقيدة باقتران تحصيل الفرائض من العبادات الاعتقادية والخلقية والعملية والاحتراز
عن العوارض والقوادح المفسدة والعوائق والعلائق المنقصة كما بين تفاصيله في العلوم الدينية وان
اردت ان تعرف بعض الدلائل النقلية والعقلية لعدم اطمئنان نفسك بمجرد سماع الاصول الشرعية فاعلم ان الله تعالى
قال يا ايها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون وقال تع اتامرون الناس
بالبر وتنسون انفسكم وانتم تتلون الكتاب افلا تعقلون وقال تع ولقد علموا لمن اشتراه ما له في الآخرة من خلاق
ولبئس ما شروا به انفسهم لو كانوا يعلمون وفي الآيات تهديدات شديدة وتقبيحات عديدة على التاركين العمل
بعلمه يعرف تفاصيلها من له حظ من لطايف الاستدلال وفيها ايضا رموز واشارات لا يطلع عليها الا ارباب
القلوب والكمال ومما يفهم من ظواهرها ان العلم الغير المقرون بالعمل سبب القهر والعذاب فكيف يكون سبب النجاة
والثواب لان المقت اشد الغضب والبغض ولم يكتف به في الذم والوعيد بل قيد بالكبر لغاية التشديد وذلك بعد
الانكار والتعيير عليهم بهمزة الاستفهام وفي الآية الثانية انكر العلماء الامرين بالعبادة والتاركين لها مع وجود
المانع القوي عن الترك والباعث التام على العمل من العقل وعلم كتاب الله تع وفي ذلك توبيخات وتجهيلات
متنوعة وتعييرات وتضليلات متغايرة من جعل امور انفسهم انقص من امر الغير وترك اهتمامهم تخلصها
من القهر والعذاب وعدم علمهم بكتاب الله وعدم انتفاعهم به مع قابليتهم له وحصول استعدادهم بالعقل والعلم
وفي الخطاب بهم في الآيتين اشد زجر وتعنيف واغلظ قهر وتجهيل لما عرفت ان العتاب والسخط بالمشافهة اغلظ
واشد وفي الآية الثالثة جعل علمهم بمنزلة المعدوم لعدم عملهم به وانت تعرف ان لا احقر من العدم وفيها ايضا رمز
الى انهم احرموا انفسهم عن الكمالات الدنيوية والاخروية بعد اتعاب انفسهم في المدد الطويلة في تحصيل اسباب
الكمال والالة مع سهولة المأخذ فيه وقت الفرصة والى انهم اختاروا امور الرذيلة الفانية القليلة على الامور
الجليلة الباقية الكاملة مع علمهم بذلك وفيها تشديدات وتوبيخات اخرى وكل ذلك لعدم عملهم بعلمهم وان النبي عم
قال من طلب العلم ليماري به العلماء او ليباري به السفهاء او ليصرف به وجوه الناس اليه ادخله الله النار وقال عم ان اول
يقضى عليه يوم القيمة رجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن فاتى به فعرفه نعمه فعرفها قال الله تع فما عملت فيها قال تعلمت
العلم وعلمته وقرأت فيك القرآن قال كذبت ولكنك تعلمت العلم وعلمته ليقال عالم وقرأت القرآن ليقال قارئ فقد قيل
ثم امر به فسحب الى النار وقال عم من ازداد علما ولم يزدد هدى لم يزدد عند الله الا بعدا واذا تمهدت ما ذكرنا

من الايات والاخبار علمت ان مجرد العلم بدون العمل لا ينجي بل يردي، وان النصوص الدالة بظاهرها على ان مجرد العلم يكفي
في الفضل والكمال متقيد بما ذكرنا كما ان احكام الثواب الى العمل وتعليل الخلق في مواضع كثيرة كما في قوله تعالى جزاء بما كانوا
يعملون جزاء بما كانوا يكسبون ان الذين امنوا وعملوا الصالحات لهم جنات تجري وقوله تعالى وما خلقت الجن والانس
الا ليعبدون وقوله تعالى خلق الموت والحيوة ليبلوكم ايكم احسن عملا لا يدل على ان مجرد العمل بدون العلم يكفي
واذا سمعت هذا القدر من النصوص الشرعية الواردة في باب العلم والعبادة سمعك طرفا وسوادا من الدلايل
النقلية الدالة على ان العلم المجرد لا ينفع السالك ولا يرشد الناسك فاعلم ان العلم بصنائعه نقلية وفصله سهمه
لكنها وسيلة الى العبادة اذ لا بد لكل من يطلب تكميل درجة العبادة وتحصيل مرتبة الاستقامة من ان يعرف
اولا عظمة معبوده بقدر الوسع والامكان وكمال اتصافه بنعوت الجمال والجلال حتى يجتهد في توفية وظايف
طاعته على قدر وسعه وطاقته ومقدار فهمه في معرفته كما قال الله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء وقال النبي عم
اما والله اني لاخشاكم لله واتقاكم له واهم من ذلك ان ثمرة العلم الخشية والتقوى وكل عالم لم يوجد له
تعظيم الله بملازمة طاعته والخوف عن مخالفته لا يعتبر علمه وكذلك لا بد له من ان يعلم العبادة الخلقية والعملية
باركانها وشرايطها وادابها ومفسداتها ومقتضياتها وفوايدها في الدنيا والاخرة حتى يجتهد فيها ايضا
بقدر معرفتها وتصور فوايدها وان يعرف ايضا المعاصي ومضراتها حتى يحترز عنها بقدر معرفة مضرتها وعدم
قدرته على تحمل عقابها ولا يجترئ على ارتكاب شيء منها وان الوسيلة لا تنفع بدون ارادة المقصود بها كمن علم ان
الاغذية والاشربة سبب البقاء ودفع الجوع ولم ياكل ولم يشرب مع قدرته عليهما يموت بالجوع والظماء ولم ينفعه
علمه بان الاكل والشرب سبب البقاء والنماء ومن علم ان النار محرقة والبحار مغرقة والقى نفسه في النار والبحار
يهلك ولا ينجيه علمه من النار والبحار فهم من ذلك ان من علم ان العبادة منجية والمعصية موبقة ولم يشتغل بالعبادة
ولم يجتنب عن المعصية لا ينفعه علمه فيحرم عن النعيم في دار القرار ويحترق في عذاب النار بل عدم النفع في الامور
الشرعية اقوى وارجح لان ترك اسباب الدنيا جايز في الجملة وترك اسباب الاخرة غير جايز لان التخلف
فيها غير جايز شرعا وعقلا كما قال الله تعالى ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم ويعرف ان الكذب في خبره محال
كما قال الله تعالى ان الله لا يخلف الميعاد وقال ولن تجد لسنة الله تبديلا والتخلف في الاسباب الدنيوية جايز
كعدم حصول الشبع بتناول الاغذية كما فيمن له جوع الكلب وعدم حصول الري بالاشربة كما في المستسقي وجواز الشبع
بدون اكل الاغذية والري بدون شرب الماء كالملائكة وبعض البشر واذا سمعت ايضا طرفا من الدليل العقلي
الدال على ان مجرد العلم لا ينفع اطمأن في قلبك ما قال الفقير وعرفت ايضا ان العبادة لا يتصور شرعا بدون
العلم فكيف يكون سبب الفضيلة والكمال بدونه وعرفت الجمع والتوفيق واتما وبلا التحقيق في النصوص
الواردة في باب العلم والعبادة الدالة بظواهرها على ان مجرد العلم ومجرد العمل ينفع وينجي واعلم ايضا ان العالم
في اصطلاح اهل الشرع من عمل الفرايض وصرف باقي اوقاته الى تحصيل العلوم الدينية والفنون اليقينية
والعابد من تعلم من العلم مقدار ما يجب عليه تعلمه وصرف باقي اوقاته الى نوافل العبادات فهذا
العالم مفضل على هذا العابد فان قلت هذا العابد مشغول بالمقاصد وذلك العالم مشغول بالوسايل فكيف

يفضل عليه قلنا قد عرفت ان جهات التفضيل والترجيح متغاير ومتفاوت واذا تعادل بل تفاضل جهة واحد
على جهات شتى من الفضلات كالعلم فان الكامل في العلم الديني مع الاقتصار على العبادات الواجبة مفضل على من جمع
فيه حسن الخط والصوت والشجاعة والسخاوة والزهد والعفة وانواع العبادة كما سمعت نصوصا شرعية تدل على ذلك
وذلك باعتبار الثمرات لان العابد شغل بتخليص نفسه وتكميلها والعالم يرشد الناس الى عبادة الله تعالى
ويكون سبب قربتهم ونجاتهم عن العذاب ومتخلقا بصفة العون والرأفة متخلق بخلق الله وهو في نفسه عبادة ايضا فيكون
كاملا ومكملا ولذا فضل درجة الرسالة على الولاية وان كان الولي مشغولا بعبادة الخالق ومشرفا بالكشف
والتجلي والرسول مشتغل بالخلق والمجادلة باكثرهم وتلك الحكمة قال النبي عم من احيى سنتي عند فساد امتي فله اجر
مائة شهيد فان قلت تفضيل آدم على الملائكة كان في اول خلقته ولم تصدر منه عبادة بعد فيدل على ان مجرد
العلم يكفي في الفضيلة قلنا لا نم ذلك لما عرفت ان العبادة ثلثة اقسام اعتقادية وخلقية وعملية افضلها واصلها
الاعتقاديات ولم يجب على آدم في ذلك الوقت سوى الاعتقاد بوحدانية الله تع وصفاته وقد حصل له ذلك
في ذلك الوقت على وجه الكمال والقرار فيكون على مقادرها وجب عليه من العمل واعلم ان الملائكة نظروا الى مادة
آدم وقابليته للمعاصي وغفلوا عن قابليته للكمالات الحاصلة من امتزاج الامور الروحانية كالروح والعقل
والقلب والنفس الناطقة المطمئنة بالامور الجسمانية من آلات العبادة وقواها وعن كونه مظهرا لجميع صفات الله
تع وافعاله المختلفة التي لم يجتمع في مخلوق قبل آدم ع كما اشار اليه النبي عم بقوله ان الله تع خلق آدم
في صورة الرحمن وقوله تخلقوا باخلاق الله ولو لم يكن آدم عليه السلام قابلا لتلك الكمالات الفائضة
لما افاض عليه في لحظة واحدة علما عجز عنه الملائكة المقربون ولتلك النكتة والدقيقة قال المحققون الانسان
الكامل افضل من الملك الكامل والمعتزلة ينكرون ذلك لغفلتهم عن تلك الدقيقة ونظرهم الى مجرد المادة
ولا تغفل ايها الحبيب المتدبر والسامع المتفكر عن قابليتك ولا تهدرها ليهاونوا في تحصيل الكمالات من
العلوم الدينية والعبادات ولا ينسب الفقير الى الابرام بتكثير العبارات لما عرفت ان باب العلم والعبادة
احرى باضعاف ما ذكر من التفضلات والتوفيقات لان الانسان الذي هو العالم الاصغر والسموات
والارض وما بينهما الذي هو العالم الاكبر لم يخلقا الا للعلم والعبادة كما سمعت فيه بعض الدلائل
والسنات باب ما يقال عند الصباح والمساء قال النبي عم ما من عبد يقول عند الصباح كل يوم
ومساء كل ليلة بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شئ في الارض ولا في السماء وهو السميع العليم ثلث مرات
فيضره شئ وفي رواية لم يصبه فجاءة بلاء فان قلت كم من عبد قال في صباحه ومسائه هذا الذكر
والدعاء لكنه لم يدفع عنه البلاء قلنا قد بين جواب مثل هذا الاعتراض في باب الدعاء فيقال انما
لم يدفع لانعدام شرط من شروطه كعدم حضور قلب القائل وضعف اعتقاده او لانعدام كون البلاء من المعلقات
وقد عرفت ان خواص الاشياء وآثارها يجوز ان لا يترتب عليها لوجود المانع وقال النبي عم من قال
حين يصبح فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد في السموات والارض وعشيا وحين تظهرون
يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ويحيي الارض بعد موتها وكذلك تخرجون ادرك ما فاته في يومه

ومن قالها حين يمسي ادرك ما فاته في ليلته فان قلت يفهم من عموم ما فاته ان يقضي بتلك الآية الشريفة فائته
من الفرائض كالصلوة والصوم وتلاوة جزء من القرآن قلنا قد عرفت ان بعض الحديث مخصص ومقيد
بالبعض لما ثبت بالنصوص القاطعة الدالة ان فوايت الفرائض لا تقضى بالدعاء والقرآءة والاذكار الكثيرة وان القليل
من العبادة اليسيرة لا يقوم مقام العبادة الكبيرة الكثيرة فمعقول هنا المراد منه بيان كثرة ثواب قراءة تلك الاية
الشريفة في اليوم والليلة على وجه المبالغة لا بيان قيامها مقام كل الفوايت في اليوم والليلة ويمكن ان يقال معناه
ادرك ما فاته من شكر يومه وليلته كما جاء في بعض الاحاديث ذلك مصرحا فان قلت اذا كان المراد شكر اليوم
والليلة لا يحتمل غيره من التاويل قلنا يحتمل ان يراد من شكر اليوم ثواب كثير ويحتمل ان يراد منه ما فاته من النوافل
المؤدية شكر اليوم والليلة لجواز تعدد الاسباب الشرعية كما قال النبي عم خلق كل انسان من بني آدم على ستين
وثلثمائة مفصل فمن كبر الله وحمد الله وهلل الله وسبح الله واستغفر الله وعزل حجرا عن طريق الناس او شوكة
او عظما او امر بمعروف او نهى عن منكر عدد تلك الستين والثلثمائة فانه يمشي يومئذ وقد زحزح نفسه عن النار
وقال ان كل تسبيحة صدقة وكل تكبيرة صدقة وكل تحميدة صدقة وكل تهليلة صدقة وامر بمعروف صدقة ونهي عن منكر
صدقة وفي بضع احدكم اهله صدقة وكما قال من قال حين يمسي ويصبح اللهم ما اصبح بي من نعمة او باحد من خلقك فمنك
وحدك لا شريك لك فلك الحمد فلك الشكر فقد ادى شكر يومه ومن قاله مثل ذلك حين يمسي فقد ادى شكر ليلته قال
النبي عم اذا قال المؤمن بعد انصرافه عن صلوة المغرب قبل ان يتكلم اللهم اجرني من النار سبع مرات ثم مات
في ليلته ذلك كتب له جوار من النار واذا قاله بعد صلوة الصبح ومات في يومه كتب له جوار من النار فان قلت
لعل القائل بهذه الكلمات يكون ملوثا بالمعاصي والكباير من قتل النفس بغير حق والزنا وترك الفرائض فكيف
يجير من النار قلنا قد عرفت مرارا ان بعض الاحاديث مبين ببعضها فالمراد ان دعاءه يقبل اذا اجتمع
شروطه او من شانه ان يجير اذا لم يعارضه معارض من فعل موجبات النار بمقتضى الوعيد وبهذا التوجيه
يأول الزجر عن النار في الحديث السابق ويحتمل ان يراد من المؤمن جنس المومن فيستقيم باجابة البعض
وتركه غاية تضرعه وجزمه واخلاصه وتحصيل رضاء ربه فيه كما عرفت مثل هذه القضايا المذكورة ونذكرها ايضا
وامثال هذه التوجيهات مرت مرارا لكن الفقير يكررها ويعيدها للبشر المبتدع على المبتدين لان المتعلم اذا لم يعبر
في قلبه ما سبق بتردده او يحتاج الى الاستغسار والعود الى مطالعة القواعد والاجوبة فيتعب في استنباط الجواب
ويعسر والتيسر من اسباب جلب رحمة الله تع كما قال النبي عم الله في عون العبد ما دام العبد في عون اخيه
المسلم ارحموا من في الارض يرحمكم من في السماء واذا عرفت ذلك لا تعد ملة ومكررا بل اجعله مطيبا
وميسرا باب الدعوات في الاوقات قال النبي عم من قال في سوق جامع يباع فيه لا اله الا الله
وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير كتب الله له الف الف
حسنة ومحا عنه الف الف سيئة ورفع له الف الف درجة وبنى له بيتا في الجنة فان قلت قد ذكر فضايل
هذا الدعاء في مواضع كثيرة ولم يذكر هذه المبالغة في ثوابه فما فايدة تخصيص ذكرها الا القول في السوق قلنا يجوز
ان تكون هذه المبالغة باعتبار الوقت والحال فان السوق محل الاشتغال بامور الدنيا وسبب ازدحام الغفلة

هذا الدعاء صح

باب الدعوات في الاوقات

والوساوس النفسانية وتراكم القسوح والعوائق الشيطانية فمن غلبة ذلك المكان والحال على هوى النفس الامارة واشتغل بالذكر والطاعة يكون قوي القلب الثبات في باب العبادات فيكون فضيلة ذكره اكثر مما سواه كما قال النبي عم افضل الاعمال اشقها وقال عم احب الصلوة عند ربي صلوة داود ينام نصف الليل ويقوم ثلثه ثم ينام سدسه واحب الصيام صوم داود لانه يصوم يوما ويفطر يوما وسبب زيادة محبة صومه وصلوته باعتبار مشقة النفس فيه لان الصايم والمصلي اذا استمر انقياد النفس ولا تتالم كما يتالم في صيام داود وصلوته وذلك معلوم ومقبول بالتجربة والوجدان ويمكن ان يقال المراد من الاول الذكر بيان كثرة ثوابه لا الحصر لورود الاختلاف في ذكر فضايل هذا الذكر كما قال النبي عم في بيان الوقوف بعرفة خير الدعاء دعاء يوم عرفة وخير ما قلت انا والنبيون من قبلي لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت وهو على كل شيء قدير وقال في موضع اخر من قال مرة لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير اذا اصبح كان له عدل رقبة من ولد اسمعيل وكتب له عشر حسنات وحط عنه عشر سيئات ورفع له عشر درجات وكان في حرز من الشيطان حتى يمسي وان قالها اذا امسى كان له مثل ذلك وقال في موضع اخر من قالها في يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب وكتب له مائة حسنة ومحيت عنه مائة سيئة وكانت له حرزا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي ولم يات احد بافضل مما جاء به الا رجل عمل اكثر منه فاذا تاملت فيما ذكرنا من الاختلاف فهمت ان الانسب والايسر ان يقال المراد من بيان ثواب ذلك الذكر باختلاف الفضايل كثرة ثوابه لا الحصر حتى لا يلزم التدافع لانه عم قال من قالها مرة كان له عدل رقبة وعشر حسنات وقال ايضا من قالها مائة مرة كان له عدل عشر رقاب وكتب له مائة حسنة والظاهر ان يكون في المائة عدل رقبة وعشر حسنات وقال ايضا من قالها مائة مرة كان له عدل عشر رقاب وكتب له مائة حسنة مائة رقاب من ولد اسمعيل وكتب له الف حسنة حتى يوفق بين الحديثين لكن لما كان المراد بيان كثرة ثواب ذلك الذكر يوافق بين المقدارين ويمكن ان يوفق ويقال انه لم يراع المقدار الموافق في المائة لقيام قوله ولم يات احد افضل مما جاء به الا رجل عمل اكثر منه مقام الزيادة ويقال يجوز زيادة الثواب السوق لزيادة قوله يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير لكنك تعرف الفرق بين المحتملات العقلية والتاويلات التحقيقية فان قلت قد فهمت التاويل الاقرب والتوفيق الانسب لكن ثار من قلبي شبهة اخرى في باب الدعاء وهي ان قراءة القرآن افضل من الاشتغال بالاذكار المذكورة لما ثبت بالحديث ان فضيلة كلام الله تع على كلام الناس كفضيلة ذاته على ذوات الممكنات فيجب على هذا ان يشتغل النبي عم بقراءة القرآن بدل اشتغاله بالاذكار لان ترك الافضل والاعلى الى الاشتغال بالمفضول والادنى لا يليق شانه في العبادات والامور الدينية قلنا لا يليق ذلك اذا لم يكن فيه مصلحة اخرى مقتضية له اذ يجوز ان يكون الاشتغال بالاذكار والدعوات المعتبرة بغير عبارة القرآن لعدم وجدان عبارة في القرآن موافقة لمقصوده في الذكر والدعاء والتحميد والاشتغال والتسبيح لما عرفت ان مقاصد الانسان ودواعيه وحاجاته مختلفة متنوعة فربما يقصد العبد ان يحمد الله تع ويسبحه ويتضرع اليه ويسأل حاجته بعبارة موافقة لمقصوده ولا يجد في القرآن

عبارة مناسبة له فيضطر الى ان يعبر عنه بعبارة غير قرآنية واذا لم يقلع عن قلبك ويسكن التردد بهذا الاصل المجمل
وفي الكلام المحتمل نورد لك مثالا يتمكن به في قلبك ما اجمل ويتبين في فهمك ما اجمل فاعلم ان النبي عم اذا اراد
الركوب يكبر ثلاثا ثم يقول سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وانا الى ربنا لمنقلبون لانه وجد عبارة قرآنية
مناسبة لمقصوده ودعائه وقت الركوب وقال عم في بعض اسفاره اللهم انا نسألك في سفرنا هذا البر والتقوى
ومن العمل ما ترضى اللهم هون علينا سفرنا هذا واطو لنا بعده اللهم انت الصاحب في السفر والخليفة في الاهل اللهم
اني اعوذ بك من وعثاء السفر وكآبة المنظر وسوء المنقلب في بعض الاوقات بالمودنين ليوافق المودين
لاداء مراده في الدعاء ودعا عم بعضا بقوله بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الارض ولا في السماء وهو السميع
العليم وفي بعضها بقوله بعده من التعويذات المشهورة لانه قد يعوذ من الحسد وظلم الظالم والسباع
وغيرها من الناس انواع المضار فاذا لم يجد من القرآن ما يؤدي به مراده يذهب الى غيره وقس الباقي
من التحميدات والتسبيحات والتهليلات والدعوات في الدخول والخروج والاكل والشرب واللباس والنكاح
وغيرها من الامور الدينية والدنيوية مما جاء في الاحاديث الصحيحة لو لم يرد فان قلت يمكن ان يوجد في كل
واحد منها عبارة قرآنية تدل على مراده بالعموم والاجمال قلنا وجدتها متعسرة وان سلم قلنا مقام التصريح
والتفصيل غير مقام التعميم والاجمال ويجب على البليغ ان يراعي كلها ويمكن ان يقال يجوز ان يكون العدول
الى غير عبارة القرآن في بعض الوقت لكونه غير متوضئ او غير طاهر او في وضع وحال ووقت ومكان لا يليق
بها قراءة القرآن بان يكون مضطجعا او في حمام او سوق او جماعة مشتغلين بامور الدنيا ولا يستمعون القرآن
ويؤيد ذلك قوله عم نهاني ربي ان اقرأ القرآن في الركوع والسجود وقال بعض المحققين لان الركوع والسجود
من اوضع الاحوال او يكون العدول لانعدام الذوق والنشاط وذلك امر وجداني وطبيعي لا يقدر الانسان
على ازالته ولذا استراح النبي عم بعد التهجد ليعود نشاطه لصلوة الصبح وقال المحققون يكره الجوار في الكعبة
لان كثرة الرؤية توجب زوال التعظيم بالطبع لا بالاختيار ومما يؤيد ذلك ان ارباب الرياضة قالوا اذا
ملت النفس من ملازمة الذكر والطاعة والمطالعة ينبغي ان تشتغل بامر دنيوي مشروع او مباح كالمحادثة
مع الاهل والاقارب والولدان او مع الصلحاء والاخوان حتى يعود النشاط والذوق في العبادة ثم تشتغل
بها واشتغال النبي عم بالمزاح المباح في بعض الوقت يشمل استئناس الطبيعة في الطاعات او سلب قلوب
المصاحبين ودفع وحشتهم وانقباض خاطرهم حتى يقبلوا الوعظ والنصيحة ويسألوا عما يهمهم من الامور
الدينية المشروعة هذا ما خطر على الخاطر الفاتر في وجه العدول والله الموفق للصواب

باب دخول مكة

قال النبي عم نزل الحجر الاسود من الجنة وهو اشد بياضا من اللبن فسودته خطايا بني آدم وقال عم والله
ليبعثه الله يوم القيامة له عينان يبصر بهما ولسان ينطق به ويشهد على من استلمه بحق قال بعض
الشراح في توجيهه يحتمل ان يكون تمثيلا ومبالغة في تعظيم شأن الحجر وبيان شرفه ويمنه وبركته في تقطيع
شأن الذنوب لتعلق تأثيره في الحجر فكيف في قلوب بني آدم وان يراد منه الظاهر وقد عرفت ان عادة
اكثر اهل الشرع اجراؤهم النصوص الشرعية على ظواهرها وعدم اخراجها عن ظواهرها بدون الضرورة الداعية

اليه من قرينة عقلية مستقيمة ونقلية قوية راجحة لكن بعض الخائضين في العلوم الشرعية من العلماء الرسمية
يتكاسلون ويخرجون النصوص الشرعية عن ظواهرها بدون الضرورة كما ترى الفلاسفة واهل الاهواء يخرجون
النصوص الشرعية عن ظواهرها بدون القرينة الدالة على ان المراد ظاهرها ويخرجونها بالتكلفات البعيدة
عن قواعد اللغة واصول الشريعة والتاويلات السخيفة السفيهة الى ما يناسب هواهم كما رايت الزمخشري
يحرف كثيرا من النصوص لايات الظاهرة في هدم مذهبه الى ما يناسب زعمه الفاسد واصله الكاسد ومع ذلك
الزيغ الظاهر والتعصب الباهر اكب اكثر العلماء على الاشتغال بشرح تفسيره واصلاح كلامه لاستحسانهم
تاويلاته الراجعة الى حل التراكيب على اصل العربية واعتباراته الواردة على اساليب البلاغة والقواعد
البيانية وغفلوا عن ان ذلك يؤدي الى تعظيم اهل الاهواء بل الى ترويج مذهبه عند المبتدئين من العلماء
فالاولى لهم ان يشتغلوا بتاليف التفسير وايراد اعتباراته الدقيقة وتاويلاته الرفيعة فيه حتى لا يلزم المحذور
واذا عرفت ما ذكره بعض الشراح فاعلم ان الاحكام الشرعية اذا كانت من احوال القبر والحشر والحساب
ووزن الاعمال والمرور عن الصراط وتكلم الاعضاء واحوال الجنة والنار وغيرها من امور المعاد ينبغي
ان لا يخرج النصوص الدالة عليها عن ظواهرها بدون الضرورة الداعية اليه من وجود البرهان العقلي المستقيم
الدال على امتناع اجرائها على ظواهرها وحملها ووجود نص نقلي شرعي راجح دال على خلافها لان اكثر احكام
المعاد والاخرة على خلاف احكام الدنيا والعادة لكن النصوص الواردة في غير احكام الاخرة يجوز ان يخرج
عن ظواهرها لمخالفتها للعادة كما عرفت ان قرينة المجاز قد يكون عادته فعلى هذا يجوز ان يكون الحجر الاسود
من احجار الجنة وانه كان اشد بياضا من اللبن فسودته خطايا بني آدم على خلاف العادة لاظهار شرافة احجار
الجنة ويؤيد ذلك قوله عم ان الركن والمقام ياقوتان من يواقيت الجنة طمس الله نورهما ولو لم يطمس نورهما
لاضاء ما بين المشرق والمغرب ويجوز ان يراد منه التمثيل المذكور لان ذلك من وجه من احكام الدنيا
ويحرف عن ظاهرها بقرينة العادة **باب النكاح** قال النبي عم الشوم في المراة والدار
والفرس وفي رواية الشوم في ثلث في المراة والمسكن والدابة واختلف الشراح في توجيهه قيل
هذا على طريق الاحتمال لا القطع لانه حديث سعد بن وقاص ان يكون الطيرة في شيء ففي المراة والفرس
والدار وقيل المراد منه الطيرة بل شوم الدار ضيقها وسوء جوارها وشوم الفرس ان لا يذهب بها
الى الغزو وشوم المراة ان لا تلد وقيل شوم الفرس شموسه وشوم المراة غلاء مهرها وسوء خلقها
قال الخطابي اليمن والشوم اسمان لما يصيبه الانسان من الخير والشر وهذه الاشياء الثلثة ليس لها تاثير
بل التاثير لله تع وخصت هذه الاشياء بالذكر لانها اعم الاشياء التي يعيش بها الناس ولله در الخطابي
كان سلاكه الى التحقيق في الكلام الدقيق فاعلم ايها الرفيق طالب التحقيق ان الاحاديث الكثيرة
واردة في مدح المراة والفرس والمسكن كما في المراة الصالحة وفرس الغزاة بل فيه مطلقا ومسكن الانبياء
والاولياء والاماكن المتبركة فيجب ان يقال شوم المراة والدار والفرس لا يجوز ان يكون باعتبار ذاتها
حتى لا يلزم التدافع بل يجب ان يكون باعتبار امر عارض ويقال ايضا تخصيص هذه ليس للحصر وان دل على الشوم

بظاهره عليه لان التشاؤم يوجد في غيرها من الشركاء والفقراء والرفقاء والخدام فيكون تخصيص الثلثة المذكورة للتشاؤم
باعتبار غالب الاحوال وامثاله كثيرة كما قال النبي عم خصلتان لا يجتمعان ثلث مهلكات ثلثة لا يكلمهم الله يوم القيمة
اربع من كن فيه ستة لعنهم الله ثلث من كن فيه وجد بهن حلاوة الايمان ثلثة من كن فيه نشر الله سبعة يظلهم
الله في ظل عرشه وليس المراد من الاعداد المذكورة الحصر لما عرفت بالنقل والحس ان الاحكام المذكورة يوجد
في غير تلك المعدودات فيكون فائدة التخصيص فيها ايضا كثرة وجود تلك الاحكام فيها واذا عرفت ذلك فاسمع في
تاويل الحديث كلاما ابسط واظهر مما ذكره الخطابي من ان المراد من شوم المراة ما يتاذى به زوجها او مالكها
من سوء فعلها وخلقها كما قال عم حسن الملكة يمن وسوء الخلق شوم لا باعتبار ذاتها لان النبي عم قال الدنيا متاع
وخير متاع الدنيا المراة الصالحة وكذا الا من الفرس لكن المراد جامح لا يصدر منها الفعل والخلق السيء فيكون
المراد من سوء المنزل ضيقها او عدم موافقة هوائها او موضع بان يكون في مجاورة المزبلة او الوحل والغور لما ان
قوما شكوا مضرة هواء مسكنهم فقال عم ذروها ذميمة وقال عم ان من العرف التلف يعني ان الوبا من
المنزل الوخم سبب التلف او يكون باعتبار جوارها بان يكون في محلة الفساق واهل اللهو والظلمة فان الساكن
فيها يتاذى من رؤية المنكرات وسماع اللهو وان الطبيعة سارقة فيميل الى المنكرات من غير تنبه صاحب الطبيعة
على شرها وذلك وجداني يوجد في غير اهل الثبات **باب المباشرة** جاء رجل الى رسول الله عليه السلام
فقال اني اعزل امراتي فقال لم تفعل ذلك قال اشفق على ولدها فقال عم لو كان ذلك ضارا لضار فارس والروم
عن جدامة بنت وهب قالت حضرت رسول الله صلعم في اناس وهو يقول لقد هممت ان انهى عن الغيلة فنظرت فارس
والروم فاذا هم يغيلون اولادهم فلا يضر اولادهم ثم سالوه عن العزل فقال عم ذلك الواد الخفي عن اسماء بنت
يزيد قال سمعت رسول الله صلعم يقول لا تقتلوا اولادكم سرا فان الغيل يدرك الفارس فيدعثره فان قلت بين
الحديثين تدافع قلنا اجاب بعض الشراح بان معنى قوله لو كان ذلك ضارا لضر فارس والروم نفي كون الغيل موثرا
في المضرة وقوله عم فان الغيل يدرك الفارس اعلام كونه سببا في المضرة وقيل نهى الازواج عن مباشرة المراضع
ورخصة للامهات في الارضاع حالة الحمل لئلا يهلك الرضيع وقد عرفت مثل هذا الجواب فيما قدمنا من الضابطة
في دفع التعارض باختلاف الجهة لان الجهة الموثرة غير جهة السببية ويمكن ان يقال ايضا ظن النبي عم عدم مضرة الغيلة
ثم اطلع على مضرتها او بالعكس لان ذلك جائز في الامر الدنيوي بل في الديني **باب العتق** قال النبي عم من اعتق
رقبة مسلمة اعتق الله لكل عضو منه عضوا من النار حتى فرجه بفرجه وقال من اعتق نفسا مسلمة كان فديته من جهنم
ولا يلزم ان مجرد عتق الرقبة سبب لتخليص النار لما عرفت من التمسك بل معناه من شانه ان يخلصه اذا لم يعارضه
معارض من مقتضيات دخول النار او المراد منه لازمه وهو التحريض على الاعتاق بوجه بليغ وصريح فان تصور تخليصه
اعتقاد في العادة الشرعية والعقل الاعتاق **باب الايمان** من حلف بغير الله فقد اشرك معناه فقد فعل فعل
المشرك لانه تعظيم غير الله بقسمه بغيره ولو خص غير الله بالقسم يكون كافرا صريحا **فصل النذر** قال النبي عم لا تنذروا
فان النذر لا يغني من القدر شيئا وانما يستخرج به من البخيل فان قلت النذر امر مشروع مدل على ان المراد
حتى مدح الله تع المومنين بالنذر بقوله تع يوفون بالنذر فكيف نهى النبي عم عنه قلنا كون النذر امرا مشروعا مدل

باب المباشرة

باب العتق

باب الايمان

فصل النذر

على ان المراد من الحديث غير ظاهره فمعناه لا تنذروا لدفع الامر المخالف لهواكم معتقدا على ان النذر لدفع الامر
المقدر البتة فيكون النهى راجعا الى العبد وهو اعتقاد ان النذر يدفع كل بلاء وقضاء فان النذر لا يغني من القدر
شيئا وانما يستخرج بالمال من البخيل يدل على ذلك او لعدا الا لا يكون له وجه ربط بما قبله فان النذر المطلق
لا يكون لدفع القدر ولا بالمال حتى يعلل به فيكون لا تنذروا النهى عن النذر المقيد الذي يدل عليه على قيده
التعليل بقوله فان النذر لان نذر المال عند الاضطرار فتقدير الكلام لا تنذروا بالمال لدفع البلاء معتقدا على انه
يدفعه البتة لان النذر لدفعه بدون ذلك الاعتقاد يجوز فيكون النهى راجعا الى سوء الاعتقاد والبخل لا الى النذر
المطلق باب القصاص قال النبي عم اول ما يقضى بين الناس يوم القيمة في الدماء فان قلت
قال النبي عم في باب العلم ان اول الناس يقضى رجال ثلث شهيد وعالم وغني مرائي قلنا قد عرفت ما عليه
التوفيق فقيل يجوز ان يكون اول ما يقضى في المظالم وحقوق العباد الدم وحقوق العباد الدم اول ما يقضى من جهة
الرياء الرجال الثلثة ويؤيد ذلك قوله عم ان اول ما يحاسب العبد يوم القيمة من عمله صلوته لان الاولية مقيدة فيما بجنس
العبادة ونظير ما ثبت في بعض الاحاديث ان اول ما خلق القلم وفي بعضها اول ما خلقه العرش وفي بعضها اول ما خلقه روح
النبي عم فتاول ذلك بان المعنى اول ما خلق من جنس الاشياء القلم ومن جنس الافلاك العرش ومن جنس الارواح
روح النبي عم وقال النبي عم من قتل عبده قتلناه ومن جدع عبده جدعناه ومن خصى عبده خصيناه فان قلت
السيد لا يعاقب بالجناية على عبده فكيف تاول هذا الحديث المخالف لاصل الشرع قال بعض الشراح في تاويله هذا الحديث
منسوخ او المراد من العبد ما كان عبده اخرج عن ملكه سيله بسبب ويمكن ان يقال المراد من قوله قتلناه جدعناه
خصيناه جازيناه لكن سمى الجزاء باسم سببه وهو القتل والجدع والخصى للمشاكلة وذلك من طرق البلاغة كما قال الله تعالى
يخادعون الله وهو خادعهم ومكروا ومكر الله او المراد من قتلناه جدعناه خصيناه لازمه وهو العقاب الشديد
او الزجر الاكيد كما قال في شارب الخمر فان عاد بعد الرابعة فاقتلوه وقد احد بعد الرابع فلم يقتله بل عاقبه
ويمكن ان يقال ذلك مخصوص بالنبي عم على وجه السياسة فتامل في الاجوبة باب قتل اهل الردة والسعاة
قال النبي عم في حجة الوداع لا ترجعن بعدى كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض فان قلت ضرب بعضهم رقاب بعض
لا يؤدى الى حقيقة الكفر لما عرفت ان المؤمن لا يخرج عن ايمانه بالكبيرة التي غير كلمة الكفر او فعله قلنا ذلك قرينة دالة
على ان المراد من الحديث غير ظاهره فيكون قوله يضرب بعضكم فعله مرتبا على الكفر لا علة فالمعنى لا يرجعن ايها المؤمنون
بعدي الى الكفر بالارتداد حتى يؤدى ذلك الى فعل الكفار بان يقتل بعضكم بعضا او يكون المراد من يضرب بعضكم
رقاب بعض القتل مع الاستحلال فيكون يضرب تعليلا للكفر القائل او يكون المراد من الكفر ستر نعمة الايمان
وترك شكره بان لا يعمل بمقتضى ايمانه مشتغلا بالمقاتلة او جعل من يتصف بفعل الكافر كالكفار او يكون المراد
من الكفار من يتستر بالسلاح ويلبسه للمقاتلة او المراد من الرجوع الى الكفر يكفر بعضكم بعضا حتى يؤدى ذلك الى
المقاتلة او يكون المراد من الحديث الزجر عن المقاتلة بوجه بليغ لان احدا من اهل الاعتقاد بالاخرة لا يرضى بزوال
ايمانه وخلوده في النار بسبب فعل القتل فينزجر عن القتل بتصور ذلك وان علم ان المراد خلاف ظاهره وقد عرفت
بعض التحقيق في مثله قال النبي عم سيكون في امتي اختلاف وفرقة قوم يحسنون القيل ويسيئون الفعل يقرأون

لسبب دفع البلاء والمضار دون
دفع حاجة الفقير بالاختيار
يدل على بخله وحرصه على المال
وانه لا نذر الا لدفع الاضطرار

باب القصاص

باب قتل اهل الردة والسعاة

لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية لا يرجعون حتى يرتد السهم على فوقه هم شر الخلق والخليقة
طوبى لمن قتلهم وقتلوه يدعون الى كتاب الله وليسوا منه في شيء من قاتلهم كان اولى بالله منهم قالوا يا رسول الله
ما سيماهم قال التحليق فان قلت يفهم من هذا الحديث ان المؤمن يخرج من ايمانه باعتقاد باطل وترك العمل
بكتاب الله والعمل المخالف لعمله فيكون مخالفا لاصول الشرع ويقول النبي عم لا يخرج المؤمن عن ايمانه بعمل
ولا نكفره بذنب قلنا يجوز ان يكون سبب خروجهم عن الايمان لغلوهم في الاعتقاد الباطل كغلاة المجسمة
والجبرية او لاستحلال الحلال المجمع عليه او لتحريمه او لاستخفافهم بامر من امور الدين هذا اذا اجري قوله عم طوبى
لمن قتلهم ومن قتلهم كان اولى بالله وهم شر الخلق والخليقة ولا يرجعون الى الدين حتى يرتد السهم الموحى على فوقه
ويحتمل ان يراد من الدين احكام الاصول ومن القتل والشر وعدم الرجوع الى الدين التغليظ او زجرهم على
وجه المبالغة قال يدعون الى كتاب الله وليسوا منه في شيء ولم يقل ليسوا من كتاب الله في شيء على مقتضى الظاهر
لان المذكور ابلغ اذ المفهوم الظاهر من الظاهر ان لا يعملوا بكتاب الله وذلك يجوز ان يكون بجهلهم كالعوام وقوله
ليسوا منه يدل على انه ليس فيهم من آثار الاسلام شيء اذا اريد ظاهره ويكون ابلغ في التغليظ والزجر اذا لم يرد ظاهره
وقوله من قاتلهم كان اولى بالله منهم الظاهر ان ضمير منهم يرجع الى الامة المذكورة الرابعة فلا يكون الاولوية بالنسبة
الى شيء واحد بل المراد ثواب قاتلهم وفضيلته ازيد واقوى من عقابهم وكفرهم كما يقال العسل احلى من الخل
والصيف ابرد من الشتاء يعني حلاوته وحرارته ازيد وابلغ بالنسبة الى حموضة الخل وبرد الشتاء والمراد من التحليق
حلق رؤوسهم واعتيادهم به او جلوسهم حلقا حلقا فان قلت هذا ليس من آثار الكفر والضلال فما وجه قوله عم
علامتهم التحليق قلنا ليس من كون التحليق علامة لهم مذموميته لان اهل الزيغ والضلال قد يكونون
في زي العلماء كالشيوخ المتبدعين والمرائين وكونه علامة لهم لاعتيادهم به وجعلهم اياه كالسنن المفروض
والمسنون **باب شرب الخمر** قال النبي عم من شرب الخمر لم يقبل الله صلوته اربعين صباحا فان تاب
تاب الله عليه وان عاد لم يقبل الله صلوته اربعين صباحا فان تاب تاب الله عليه قال فان عاد الرابعة لم يقبل الله
صلوته اربعين صباحا فان تاب لم يتب الله عليه وسقاه من نهر الخبال فان قلت ان المعاصي سوى الكفر
لا يذهب الحسنات وان العاصي يقبل توبته وان تاب مرارا اذا كان معصيته من حقوق عباد الله
فكيف قيل هنا لم يقبل صلوته وتوبته بعد الرابعة فالجواب تاويله على ما ان لكل عبادة اعتبارين وجهتين جهة
سقوط القضاء عن المؤدي وجهة ترتب الثواب والمراد من عدم القبول عدم ترتب الثواب وانما خص الصلوة
لانها افضل العبادات واذا لم يقبل ذلك لم يقبل الباقية وقال بعض الشراح المراد من قوله لم يقبل الله صلوته اربعين
صباحا ولم يتب عليه الزجر والتهديد وهذا انسب لان العلماء مما يسعى عليه الاعذار والرخص من يجاوز عنهم يصير
مستحقا للزجر والتغليظ وقد عرفت ان المراد من الزجر والتهديد ان يراد من قوله لم يقبل الله صلوته
ولم يتب الله عليه معناه المجازي وهو المنع عن شرب الخمر والتخويف عنه بالوجه الاكيد كان النبي عم لو قال لا تشربوا
الخمر فهم منه اهل اللسان ان شرب الخمر مضرة في الدين ولذا نهى النبي عم عنه فينزجر من كان في ايمانه قوة
وفي قلبه رقة بمجرد النهي الدال على الحرمة لكن من ضعف ايمانه وقسى قلبه لا ينزجر عنه بمجرد النهي الدال على قبحه

باب شرب الخمر

والضرر مطلقا بل يحتاج الى الزجر القوي والتهديد البليغ واذا بين ضرر الشرب بمضرة معينة عظيم وقبح معين

وضع ينزجر عنه بالكلية كما اذا تصور المؤمن المنهمك في شهوات نفسه والمفتون باستيفاء لذاتها من ظاهر

النظم ان شرب الخمر يهدم ثواب صلوة اربعين صباحا ويمنع قبولها عند الله تع وان العود الى شربه بعد المرة

الرابعة يودي الى سخط الله تع حتى لا تقبل توبته بعدها يخاف منه خوفا شديدا ويصير فيه داعية الترك

لان التخويف سوط الخائفين الغافلين ومسه المفتونين فينزجر بذلك عن شربه على الوجه الاقوى والابلغ

فاطلق لم تقبل ولم يتب واريد لازمه لان من تصور ذلك الضرر المعين من شربه يلزم منه ان يتركه ويخاف

من شربه وهذا وجه بليغ ممدوح واسلوب لطيف مستحسن عند البلغاء ولا كذب ولا خداع للسامعين كما

توهم ذلك بعض الحمقى واذا عرفت التحقيق فيه فاعلم ان المأولين كلما قالوا المراد منه التحريض والترغيب

او الزجر والترغيب مرادهم منه ان اللفظ مستعمل في معناه المجازي الذي هو ابلغ واحسن من ارادة معناه

الحقيقي اذ يفهم المراد من المعنى الحقيقي بدون الدليل والمبالغة ومن المعنى المجازي بالدليل والمبالغة والزم

وقد عرفت ان الدعوى المؤمن بالبينة اثبت واقوى واقرب الى القبول والقرائنه ذهن السامع لانها

يقبلها كل انسان وبدون البينة والدليل لا يقبلها الا سليم القلب والايمان وانما اطنبت الكلام فيه لان

بعض المتعلمين لا يفهم تفصيل مراد المأولين من ارادة التحريض والترغيب والزجر والترهيب باب العمل في القضاء

والخوف منه قال النبي عم من طلب قضاء المسلمين حتى يناله ثم غلب عدله جوره فله الجنة ومن غلب

جوره عدله فله النار المراد من غلبة جوره عدله ان يقوى عدله بحيث يمنع جوره لا ان يكون العدل اكثر

من الجور لان الجور القليل يكفي في دخول النار فان قلت الحسنات اذا غلب على السيئات يمحى لغلبه رحمة الله

قلنا المراد من الجور تضيع حق العبد فلا يعفى عن ذلك بكثرة العدل فان قلت طلب القضاء مذموم

وان عدل فيه القاضي ولم يجز قطعا كما قال النبي عم يا عبد الرحمن سمرة لا تسأل الامارة فانك ان اعطيتها

عن مسئلة وكلت اليها وان اعطيتها عن غير مسئلة اعنت عليها وقال عم انكم ستحرصون على الامارة وستكون

ندامة يوم القيمة فنعم المرضعة وبئست الفاطمة وعن ابي موسى ان رجلان من بني عمي دخلا على رسول الله

صلى الله عليه وسلم فقالا امرنا على بعض ما ولاك الله فقال عم انا والله لا نولي على هذا العمل احدا ساله ولا

احدا حرص عليه قلنا يمكن ان يقال نبينا عم مويد بالقوة القدسية والكمالات الالهية عارف بمقتضيات

المقام والاحوال سابق كلامه على تلك الطريقة والكمال فاذا علم في العالم صلابة في الدين وقوة في اليقين

وباقي شروط القضاء يفوض اليه الامارة والقضاء وان طلبه وان علم فيه ضعفا او ملامة او وصفا اخر

غير ملائم للقضاء لا يفوض اليه القضاء وان لم يطلب ويشير الى ذلك ان ابا ذر قال يا رسول الله الا تستعملني

فضرب بيده على منكب ابي ذر وقال يا ابا ذر انها امانة وانها يوم القيمة ندامة الا من اخذها بحقها وادى الذي

عليه فيها وقال يا ابا ذر اني اراك ضعيفا واني احب لك ما احب لنفسي لا تامرن على اثنين ولا تولين مال يتيم

فيفهم منه ان السوال ليس بمانع بل المانع ضعيف القلب المودي الى الميل او عدم اجراء الاحكام الزواجر كالقتل والرجم

الباقية والتعزير في القضاء اشرف العبادات المودي الى رفع الدرجات كما قال النبي عم ان المقسطين عند الله

باب العمل في القضاء والخوف منه

علي منابر من نور عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين الذين يعدلون في حكمهم واهليهم وما ولوا فهم منه ان المانع
خوف الجور المودي الى النار كما قال النبي عم ويل للامراء ويل للعرفاء ويل للامناء ليتمنين اقوام يوم القيمة
ان نواصيهم معلقة بالثريا يتجلجلون بين السماء والارض وانهم لم يلوا عملا وقال عم ان العرافة حق
ولا بد للناس من عرفاء ولكن العرفاء في النار فان قلت اذا كان القضاء اشرف العبادات والمانع منه ضعف
القلب المودي الى الجور والجناية لم قال النبي عم لا تسال الامارة يا ابا ذر لا تامرن على اثنين وويل للامراء والعرفاء
في النار على الاطلاق قلنا قد عرفت مرارا ان اطلاق الكلام المقيد للمبالغة في التحريض والنهي والمدح الزم
اكتفاء بالقراين المعلومة من العقل والنقل وان ذلك من اساليب البلاغة وتنابيح الفصاحة ولاجراء الكلام
على الامر الغالب فقل هنا لما قال النبي عم في حديث آخر من طلب قضاء المسلمين حتى ينال ثم غلب عدله جوره
فله الجنة وقال عم ان المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن وقال ان احب الناس الى الله يوم القيمة
واقربهم مجلسا امام عادل لا لكونه امارة مطلقا فهم منه ان النهي عن سوال الامارة لخوف الحرص والخيانة
وقال عم ان ابغض الناس الى الله يوم القيمة واشدهم عذابا امام جائر وقوله والله لا نولي على هذا العمل احدا حرص
عليه وقوله ومن غلب جوره عدله فله النار وقوله عم يا ابا ذر اني اراك ضعيفا او مثل لما كان في طالب الامارة
الحرص المودي الى الميل عن الحق وترك العدالة غالبا وفي رعاية امور الخلافة وشروط الحكومة صعوبة لا يقدر على
اتمامها اكثر العلماء ولا يوجد تلك الامور والشروط الا فراط من الاقوياء قال مطلقا لا تسال الامارة ان اعطيتها عن مسألة
وكلت اليها والله لا نولي على هذا العمل احدا سأله وويل للامراء خرج الكلام باعتبار الغلبة والكثرة لا باعتبار العموم والحقيقة
كتاب الجهاد قال النبي عم مثل المجاهد في سبيل الله كمثل الصائم القائم القانت بايات الله لا يفتر
من صيام ولا صلوة حتى يرجع المجاهد فان قلت قد ثبت بالاحاديث الصحيحة الراجحة ان افضل الاعمال
الفرائض الصلوة وقد عرفت وجه من اشتمالها على العظيمات البدنية والقولية الفاضلة والاذكار والقراءة الشريفة
الكاملة وبعدها الزكوة والصوم والحج وبعدها الجهاد فكيف يكون مرتبة المجاهد وثوابه مثل ثواب المصلي والقائم
المواظبين قلنا قد عرفت جواب مثل هذا السوال من القاعدة المهملة في تشبيه العمل اليسير بالعمل الكبير لكن
لا باس لنا في اعادته تصريحا وتقريبا وتفصيلا وتحريرا عونا للمبتدين ورافة على المتعلمين لما عرفت ان ايراد
جزئيات القاعدة وتقريرها وايراد الامثلة وتكثيرها يحمي القاعدة ويوكدها في ذهن السامع فنقول لا يلزم من التشبيه
مساواة ثواب المجاهد لثواب الصائم المداوم والمصلي القائم في المقدار والدرجة لما عرفت ان فوايد
التشبيه ليست منحصرة على بيان مساواة المشبه والمشبه به في مقدار وجه الشبه فيجوز ان يراد ههنا شهود شرف
المجاهد واشتراكهما في اصل الفضل والرفعة وان يراد منه لازم التشبيه وهو التحريض على الجهاد بالوجه البليغ
لانك اذا قلت في ... كالشهد والسكر ... السامع في ... وان كان ...
لا ... السكر ... من عرفك على عرف الشارع الوارد على اسلوب البلغاء قال النبي عم كل ميت
يختم على عمله الا الذي مات مرابطا في سبيل الله فانه ينمى له عمله الى يوم القيمة ويامن فتنة القبر فان قلت
هذا الحصر الذي في قوله عم اذا مات ابن آدم انقطع عمله الا من ثلثة علم ينتفع به وولد صالح يدعو له

كتاب الجهاد

و حرز

وصدقة جارية قال بعض الشراح في توفيقه ثواب عمل المرابط ينمو ولا يحدث امثاله ساعة فساعة بخلاف الاعمال
الصالحة الثلثة فان ثوابها يتزايد بتزايد الامثال وقال بعضهم المرابط لكن وقف نفسه في سبيل الله فيندرج
في الصدقة الجارية وقد جاء في الحديث من سن سنة حسنة فله اجرها واجر من عمل بها والسنة الحسنة ايضا من جملة
العلم المنتفع به فيندرج السنة الحسنة في الثلثة فلا ينهدم بنيان الحصر وتفصيل ذلك الوجه ان يقال علم عدم
انقطاع ثواب الصدقة الجارية كالمساجد والرباطات والقناطير انتفاع الناس بها بعد الموت وكذا علم
عدم انقطاع ثواب العلم النافع بان يتعلم الناس ذلك العلم ويعمل به ويعلم غيره وعلم عدم انقطاع ثواب
الاب الذي يولد من نطفته ولد صالح وجه المؤمن نفسه ومراد الامام محمد عدم نفسه ويندرج في تلك الثلثة
امثالها بدلالة النص والقياس فيكون واحد من الثلثة دالا عليها فلا تخرج عنها فلا يلزم التدافع فان السنة
الحسنة كاحياء الاذان والسواك وصلوة الليل والاعتكاف وغير ذلك من شعائر الاسلام في موضع
ترك فيه تلك الشعائر والاعمال وان جهاد الغازي ينقطع به غلبة الكفار وايذاؤهم وتسلطهم على المسلمين
عليهم فيشتغل المسلمون بوظائف العبادات لحضور البال وفراغ الحال ويستمرون على ذلك بعد موت
المجاهد فيصل نور ذلك السبب مثل اجور العاملين والعابد للارواح المجاهد فيكون الوارد في حق العالم المعلم
المتصدق بصدقة جارية كالوارد في حق المرابط ومحيي السنة ويمكن ان يقال ايضا الحصر المستفاد من قوله انقطع عمله
الا من ثلثة اضافي فيكون عدم انقطاع ثواب العالم المعلم بالنسبة الى العالم الغير المعلم وعدم انقطاع ثواب الوالد
الصالح بالنسبة الى غير الصالح او بالنسبة الى الاب الذي ليس له ولد وعدم انقطاع ثواب المتصدق بالصدقة
الجارية بالنسبة الى المتصدق بغيرها وعدم انقطاع ثواب المرابط بالنسبة الى من لم يغز لكن ظاهر قوله اذا مات
ابن آدم وكل ميت ينافي بظاهره هذا التوجيه ويحتمل ان يكون الحصر ادعائيا او المراد من الحصر المبالغة في كثرة
الثواب كما يقول لرجل ليس في الدنيا سخي الا انت اذا اردت المبالغة قال النبي عم من قاتل في سبيل الله
فواق ناقة فقد وجبت له الجنة وقال عم لا يلج النار من بكى من خشية الله حتى يعود اللبن في الضرع ولا يجتمع
غبار في سبيل الله ودخان جهنم في منخري مسلم ابدا فان قلت لعل المقاتل فواق ناقة او من بكى
من خشية ترك الصلوة او قتل مسلما بغير حق او فعل كبيرة اخرى فيدخل النار بسببها فضلا عن وجوب
دخول الجنة قلنا قد عرفت مرارا توجيه مثل هذا الحديث بان بعض الاحاديث مفسر بعضها ومخصص
او كاشف عن ابهامه ومبين اجماله فلا بد من الجمع بين الحديثين المتدافعين في الظاهر لان قائلها واحد
مصون عن الخطاء فلا يجوز العمل ببعض كلامه واهمال بعضه فتاويل الاحاديث المذكورة ان يقال فيها
من شان الجهاد والبكاء ان يكونا سببا لدخول الجنة من حيث انهما عبادة للشرع وعد عليها بالجنة فان فعل
المجاهد والباكي ما يقتضي دخول النار مع ترتب عليها مقتضاها وان فعلا كلاهما يدخل النار او كانوا ان لم يوجد
مزيل مقتضيها فيمكث بقدر معاصيه ثم يدخل الجنة فليترتب على كليهما مقتضاهما وقد عرفت ان الوجوب وعلى
وان كل عبادة سبب لدخول الجنة بوعد الله على مقتضى رحمته وكرمه ان لم يحبط وان كل معصية سبب لدخول النار
وان لم يرتفع وان اختصاص بعض العبادة بالذكر دون غيرها واختصاص بعض المعاصي بالذكر لبيان زيادة فوقه

في السيئة او لاقتضاء الحال والمقام ذلك على ما سبق تفاصيله ملا تنس ذلك وقوله حتى يعود اللبن في الضرع وابداء
بمنزلة قوله وحسب وتوجيههما كتوجيهه في كونهما من مقتضى الوعد بدخول الجنة على العبادة ويكون ذكرهما للمبالغة
في التحريض على الجهاد والبكاء من خشية الله تع لاظهار ان اصلها لاجل المال والروح في سبيل الله والبكاء يدل
على قوة القلب وكمال رقته وذلك من اعاظم الاسباب ويمكن ان يقال ذلك من قبيل الاكتفاء واقامة اشرف الاعمال
واعظمها ولو بوجه خاص مقام كلها فيكون الشروع في الجهاد والبكاء من خشية مستتبعان ومستلزمان لغيرها
من الاعمال والترك بحسب الغالب او الادعاء فيكونان سببين قطعيين لدخول الجنة باقتضاء الوعد وان لم يحصل
فهل الى استنباط معنى خاص مناسب للمقام في تاويل الاحاديث الثلثة فقل المراد منها لوازمها وهو التحريض
على الجهاد والبكاء وقد عرفت تفصيلها حتى يذهب التردد عن بالك وينكشف التكدر عن حالك ويوهم مخالفتها
للاصل عن عبد الله بن حبشي ان النبي عم سئل اي الاعمال افضل قال ايمان لا شك فيه وجهاد لا غلول
فيه وحج مبرور قيل فاي الصلوة افضل قال طول القيام قيل فاي الصدقة افضل جهد المقل قيل فاي
الهجرة افضل قال من هجر ما حرم قيل فاي الجهاد افضل قال من جاهد المشركين بماله
ونفسه قيل فاي القتل اشرف قال من اهريق دمه وعقر جواده فان قلت قد ثبت بالنص الراجح
ان الصلوة افضل الاعمال الفرعية كما سال عبد الله بن مسعود اي الاعمال احب قال عم الصلوة وقتها
ثم قال اي الصدقة افضل قال بر الوالدين ثم قال اي قال الجهاد فهم منه ان الصلوة وبر الوالدين افضل من الجهاد
اذ لا نزاع في ان الاحب افضل وقال في بعض الاحاديث الذكر خير الاعمال واذكرها كما ذكر في الحديث السابق الا انبئكم
بخير اعمالكم وازكاها عند مليككم وقال في بعض الاحاديث الا اخبركم بافضل من درجة الصيام والصدقة والصلوة
قالوا بلى قال اصلاح ذات البين فهم منه ان اصلاح ذات البين افضل من الصلوة والصوم والصدقة فبالطريق
الاولى يكون افضل من الجهاد وقال في بعض الاحاديث ايضا جهاد النفس افضل من جهاد الكفار فكيف قال
هنا جهاد الكفار بالمال والنفس افضل من سائر الجهاد قلنا قد عرفت مرارا ان لا تناقض في كلام الشارع
وعرفت ايضا وجه توفيق الحديثين المتعارضين في الظاهر واختلاف جهات التفضيل واختصاص كل واحدة
من العبادات الكثيرة بجهة مفضلة لا توجد في غيرها فقل هنا الايمان افضل الاعمال القلبية بالاتفاق لكن
الجهاد افضل الاعمال الفرعية باعتبار ان فيه بذل النفس والالتزام بجراحات السيوف والسهام والرماح
المودي غالبا الى الموت وتحمل مشقة السفر والانقطاع عن الاهل والاولاد والاقارب والاوطان والحج ايضا
افضل الاعمال باعتبار الالتزام بتحمل مباحث السفر ومنع النفس عن مشتهياتها في الاحرام والمفارقة
عن الاوطان والاحباب من الاهل والاولاد والاقارب والاخوان وجهاد افضل من جهاد النفس لان فيه
بذل النفس والروح والالتزام بالجراحات وجهاد النفس افضل منه باعتبار استمراره وتجدده لان النفس
تدعو دائما الى الاستعمال بفضول مطعومات والمشروبات والملبوسات والمنكوحات ولا عيان الصوت
والحيوانات والمساكن الطيبة والرياسات والتعمق في اسباب كلها ومنع النفس من كل واحد منها على سبيل
التعاقب والاستمرار امر مشكل ومن جهة النفس وانت تعلم ان العوايق والموانع من جهة الشيطان

والخلق

والملل اصحاب ذلك وقد عرفت بعض التفصيل فيه واصلاح ذات البين ايضا افضل من الصلوة والصوم والجهاد
وساير ما لا يبلغ درجة الصلوة والصوم في الفضيلة باعتبار وجه مفصل لا يوجد في غير اصلاح البين لما عرفت
ان العداوة بين المومنين اذا استحكمت يودي الى اشتغال كل واحد منهما باضرار الاخر باليد واللسان والقلب
والجنان بل ربما يودي الى القتل بالسيف والسنان ويزيل دينه والاصلاح سبب لدفع هذه المفاسد ونظر
الى المومنين بجهة الرحمة والشفقة وجالب لرافة الله تع وعنايته وقد عرفت جهة فضيلة الصلوة والصوم والزكوة
على غيرها بوجه اخر فلا يلزم التعارض وصدقة العسر افضل لتاديها بكمال النفس فيها ودلالتها على كمال التوكل
وعدم ملاحظة الاسباب وذلك من اعلى الدرجات ولذا قال الله تع في مدحها لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون
وقال تع ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما واسيرا وقال تع ويوثرون على انفسهم ولو كان بهم
خصاصة وسبب المدح في كلها بذل ما يحتاجون اليه ونحوه الدال على كمال التوكل الدال على الكمال في التوحيد
وان اردت ان تقتصر على مجرد دفع التعارض بالجواب الايسر والاسهل من غير التفات الى الجواب الموافق
والتحقيق والتاويل والتاويل المناسب والتدقيق فقل المراد من تفضيل الجهاد والحج وصدقة العسر بصورة
الاطلاق كان فيه وهو الترغيب فيها بوجه بليغ اكيد والمراد هو الافضلية باعتبار ذاتها لا باعتبار على غيرها
او تفضيل كل واحد على صورة الاطلاق باعتبار المخاطب بان يكون الاهم له الجهاد او الحج او صدقة ما يحتاج اليه
او باعتبار الوقت والمقام كما طلب رجل من النبي عم الوصية فاوصاه بترك الغضب وطلب اخر الوصية فاوصاه
بترك العجلة واختيار التاني وطلب اخر النصيحة فقال اعزل الاذى عن الطريق وطلب اخر ما هو افضل الاعمال
فاخبره بملازمة الذكر وقد عرفت ان كل ذلك باعتبار حال السائل قال النبي عم ما من غازية او سرية تغزو فيغنم
ويسلم الا تعجلوا ثلثي اجورهم وما من غازية او سرية تخفق وتصاب الا تم لهم اجورهم فان قلت الجهاد مع
الغنيمة والتحفظ عن النكبة في سبيل الله سبب نقصان الدرجة فكيف يحصل بهما ثلثا اجورهم في الجهاد قلنا
الغنيمة وسلامة البدن نقصان الدرجة في الجهاد اذا كان المجاهد يجعلها غرضا من الجهاد ولكن اذا حصله بدون
القصد اليهما وجعلها غرضا لا تقدح في ثواب الجهاد كما اذا لم يجعل العالم والعابد اسمالة قلوب الناس
في تعظيمهم وحصول الدنيا منهم والرياسة عندهم مقصودة وغرضا لا يضر حصولها لان الله تع وعد اثابة
المحسنين في الدنيا والاخرة وعزهم في نصرتهم فيهما وبقي فيه شيء اخر وهو اطلاق الاجر على الغنيمة والسلامة ويمكن
ان يقال فيه المراد من الاجر الحظ لا الثواب فالمعنى تعجلوا ثلثي حظوظهم لان في الجهاد حظ البدن
وحظ القوى الحيوانية والدواعي الشهوية وحظ الروح والقلب فالسلامة حظ البدن والغنيمة
حظ القوى الشهوانية والشهادة واصابة النكبة في الجهاد الموصلة الى الدرجة الرفيعة حظ الروح في الاخرة
فلذا قال ثلثي اجورهم فان قلت معنى تخفق تنهزم ويخلو يدهم عما طلبه ومعنى تصاب تقتل او تجرح
فلا يحصل له الامران فكيف قال تم اجورهم قلنا ذلك من قبيل جعل اعظم الشيء منزلة كله كما قال
النبي عم الندم هو التوبة والحج عرفة باب حكم الاسارى قال النبي عم عند فداء ابي العاص زوج
زينب بنت رسول الله من خديجة رضي الله عنها بقلادة زينب لتخليص نفسه من الاسير لزيد بن حارثة

باب حكم الاسارى

ورجل من الانصار اذ بعثها مع ابي العاص وامكثا في بطن يأجج حتى ياتي زينب فيصحباها حتى ياتيا بها الى
فان قلت كيف اجاز النبي عم مصاحبة ابنته مع رجلين اجنبيين من مكة الى مدينة وبينهما مسافة بعيدة لا تقطع
الا في ايام عديدة مع انه منع بعض ازواجه عن رؤية ابن ام كلثوم مكتوم اعمى حتى قال فيه افعمياوان انتما
ومنع دخول اقارب الزوج على زوجته حتى قال فيه الحمو الموت يعني ان نفر الزوجة على مصاحبة اقارب
الزوج كالفر عن الموت قلنا يجوز ان يكون المنع من مصاحبة المرء مع الاجنبي عزيمة وجوازها رخصة اذا اعتمد
على المصاحب ويجوز ان يطلع النبي عم على امانة الرجلين وديانتهما فاجاز مصاحبتهما مع ابنته ولا يجوز ذلك
الحكم لغيره لانعدام علته ويجوز ان لا يحرم مصاحبة الاجنبي في ذلك الوقت ثم حرمت لان الامور الشرعية لا تدرك
بالعقل ولذا قال تع وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان ولذا لم يمنع
النبي عم ازواجه عن الخروج للحاجة بدون الملاءات حتى اغار عمر رضه على ذلك وتكلم فيه فانزل الله تع الاية بصريحها
وهي يا نساء النبي لستن كاحد من النساء ان اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض وقلن قولا
معروفا وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى وزوج ابنته الكافر واجاز بعثها عليه السلام
وعن غيرهم وبعثها ابنتها مع مصاحبة الاجانب ويمكن ان يقال لعل النبي عم شرط فيه مصاحبة ذي رحم محرم مع زينب
وان لم يذكر ذلك لان ترك ذكره لا يدل على انعدامه في نفس الامر **باب الجزية** قال النبي عم لا يصلح
قبلتان في ارض واحدة وليس على المسلم جزية واختلف الشراح في توجيهه قال البعض معناه لا يستقيم
دينان في ارض على سبيل المظاهرة ولا يصح لمسلم ان يتوطن في دار الحرب لكيلا يوضع عليه الجزية ويوالى الكفار
ولا يمكن الكافر المستامن في دار الاسلام الا ببذل الجزية ولا يؤذن للذمي ان يظهر شعاير دينه وقال البعض
المراد منه اجلاء اليهود والنصارى من جزيرة العرب واعترض عليه بان لفظ الحديث عام فلا وجه لتخصيصه
وقال البعض لا يوضع الخراج والجزية على المسلم وقال البعض المراد منه ان من اسلم من اهل الذمة قبل اداء الجزية
والخراج لا يطالب منه قال شارح المشكوة هذا القول سديد ومناسب لايراد الحديث في فصل الجزية قلنا
لا يلزم من ايراد محيي السنة هذا الحديث في باب الجزية ان يكون معناه ذلك وقد بين في حديث آخر ان المراد
من هذا الحديث اخراج اليهود والنصارى من جزيرة العرب قال عمر رضه اني اريد ان اجليكم من هذه الارض
فاني سمعت رسول الله صلعم يقول لاخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب حتى لا ادع فيها الا مسلما وفي رواية
ان عشت لاخرجن ان شاء الله وقال ايضا في تلك القضية لا يكون قبلتان في بلدة واحدة والمراد من البلدة مكة والمدينة
فيكون المراد من ارض واحدة ايضا مكة والمدينة لما عرفت ان بعض الاحاديث مقيد ومخصص ببعض باعتبار
الزمان والمكان والجهة او اعتبار اخر ويمكن ان يقال فيه ايضا لا يصلح قبلتان بيان الاصل والعزيمة فان الانسان
خلق لفطرة الاسلام والايمان وعدم جبر اهل الذمة على الايمان لمصلحة واقتضاء زمان او المراد من قوله
لا يصلح قبلتان على تقدير ان يكون كل واحد من اهل القبلة مستقلة بان يكون لكل واحد امر خاص وحاكم مخصوص
لان ذلك يؤدي الى الفساد والتقاتل وقوله ليس على المسلم جزية بيان فائدة اخرى وهي ان لا يطلب جزية الكافر
بعد الاسلام او لا يوضع الجزية على المسلم ابتداء **كتاب الاطعمة** قالت عائشة رضي الله عنها

باب الجزية

كتاب الاطعمة

ما شبع آل محمد من خبز الشعير يومين متتابعين حين قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت توفي رسول الله
وما شبعنا من الاسودين ارادت بهما التمر والماء على سبيل التغليب قال ابو هريرة رض خرج رسول الله من الدنيا
ولم يشبع من خبز الشعير فان قلت قد ثبت ان النبي عم واهله ياكلون ليالي رمضان وعند الضيافة الى حد الشبع
واكلوا اللحم والمرق والسمن وغيرها كما قال ابو هريرة في الضيافة التي كان ابو بكر وعمر مع النبي عم اكلوا من الشاة
ومن العرق وشربوا من الماء العذب فلما ان شبعوا ورووا قال رسول الله صلعم لابي بكر وعمر رضي والذي نفسي
بيده لتسالن عن هذا النعيم يوم القيمة اخرجكم من بيوتكم الجوع ثم لم ترجعوا حتى اصابكم من هذا النعيم عن عبد الله
بن بسر قال كان للنبي عم قصعة يحملها اربعة رجال يقال لها الغرا فلما اضحوا وسجدوا الضحى اتى بتلك القصعة
وقد ثرد فيها فالتفوا عليها فلما كثروا جثى رسول الله صلعم فقال اعرابي ما هذه الجلسة فقال عم ان الله تعالى
جعلني عبدا كريما ولم يجعلني جبارا عنيدا ثم قال كلوا من جوانبها ودعوا ذروتها تبارك فيها قلت فعلى هذا يكون
معنى ما شبع آل محمد من خبز الشعير يومين وما شبعنا من الاسودين ولم يشبع النبي عم من خبز الشعير في الشبع
المشبع شبع المترفين ويجوز ان يكون المراد منه نفي الاعتياد عن الاكل الى الشبع كعادة المسمنين وكذا
المراد من قول انس ما علم النبي عم راى رغيفا مرققا حتى لحق بالله ولا راى شاة سميطا بعينه قط وما راى
النقي وما راى منخلا من حين ابتعثه الله تعالى حتى قبضه لان النبي عم قد اكل الحلو والشواء والخبز المرقق والخبز
النقي حنطة في بعض الاوقات كما قال عمرو بن امية ان النبي عم يقطع من كتف شاة في يده فدعي الى الصلوة
فالقاها والسكين التي يحتز بها ثم قام فصلى ولم يتوضا وقالت عايشة كان رسول الله صلعم يحب الحلواء والعسل
وقالت قال احب الشراب الى رسول الله الحلو البارد وقالت كان ياتي علينا الشهر ما نوقد نارا الا ان نؤتى
باللحم وقال ابن عمر قال النبي عم وددت ان عندي خبزة بيضاء من برة سمراء ملبقة بسمن ولبن فقام رجل
من القوم فاتخذه فجاء به فقال في اي شيء كان هذا قال في عكة ضب قال ارفعه قال ابو ايوب كان النبي عم اذا
اتي بطعام اكل منه وبعث فضله الي وظواهر ما ذكرنا يدل على ان النبي عم ياكل لحما سمينا وخبز حنطة نقي ويأكل
حلواء وعسلا كما استمر ذلك الا انه لا يعتاد على ذلك ولا يطلبه واذا رزق ذلك بدون الطلب والتكلف ياكل والا لا
لانه اختار الرياضة والقناعة ومقدار سد الرمق في المطعم والمشرب والملبس والمسكن والعزة والجاه
والتواضع والمسكنة ويمكن ان يقال بعد عايشة وابو هريرة رض شبعه باعتبار علمهما وروايتهما لا باعتبار نفس
الامر لان الشبع امر وجداني لا يطلع على حقيقة الا لمن كان الاكل وكذا تاويل قول انس ما علم النبي عم راى
رغيفا مرققا وشاة سميطا وخبزا نقيا لان انسا لم يصاحب نفسه من حيث بعث الى يوم وفاته بحيث لا يشكل عنه
في يوم وليلة او يقال المراد من الشبع المنفي الشبع الذي يعتاد عليه الكفار كما قال النبي عم المؤمن ياكل ويشرب
في معاء احد والكافر ياكل ويشرب في سبعة امعاء لان المؤمنين ينبغي ان ياكلوا على قدر الكفاية والطاقة على الطاعة
لا على وجه التنعيم وتكثير الشهوة كما قال النبي عم طعام الواحد يكفي الاثنين وطعام الاثنين يكفي الاربعة وطعام الاربعة
يكفي الثمانية المراد من نفي الشبع عن خبز الشعير لازم وهو اختيار النبي عم الجوع والرياضة كتاب اللباس
قال النبي عم من لبس ثوبا فقال الحمد لله الذي كساني هذا ورزقنيه من غير حول مني ولا قوة غفر له ما تقدم من ذنبه

كتاب اللباس

وما تأخر فان قلت المظالم لا تغفر بالتوبة والكبائر لا تغفر بالطاعة بدون التوبة فكيف العمل بعموم قوله عليه السلام غفر له ما تقدم
من ذنبه وما تأخر قلنا قد عرفت من القواعد الكلية ان بعض الحديث يقيد بالبعض فيقال المراد مما تقدم
وما تأخر الصغاير فان قلت الصغاير ايضا لا تغفر الا باداء الفرائض واجتناب الكبائر كما قال النبي عليه السلام الصلوة الى الصلوة
والجمعة الى الجمعة ورمضان الى رمضان مكفرات ما بينهن اذا اجتنب الكبائر قلنا ذلك لا يدل على الحصر والتخصيص
فحديث الحمد ايضا يدل على ان الصغاير تغفر به وقوله تعالى ان الحسنات يذهبن السيئات يدل بظاهره على ان الصغاير
تمحى بكل حسنة وطاعة وبعض المفسرين يقولون المراد من الحسنات الصلوة بقرينة قوله تعالى قبله اقم الصلوة
طرفي النهار وزلفا من الليل وهذا ليس بدليل قطعي في التخصيص اذ يجوز ان يراد من الحسنات جميع الطاعات
ويندرج فيها الصلوة اندراجا اوليا ويؤيد ما قلنا قوله عليه السلام اتبع الحسنة السيئة تمحها ولو سلم تخصيص الطاعات
بالفرائض واجتناب الكبائر في محو السيئات الصغاير قلنا الحمد على النعم واجب لوجوب الشكر لما عرفت
ان الحمد والشكر على النعماء والتوكل والصبر على البلاء وترك الحسد والرياء والبخل والعجب والكبرياء والكذب
والغيبة والرياء وامثالها من الاخلاق المحمودة والمذمومة واجبة لما ورد فيها من الاوامر والنواهي من الاخبار
والآيات فان قلت سلم ذلك لكن في محو الصغاير ترك الكبائر شرط فلعل الحامد المذكور لم يراع ذلك الشرط
قلنا قوله عليه السلام من لبس ثوبا فقال الحمد لله يدل على ان ذلك اللابس عبد شكور ومتوكل على الله لان من حمد الله
تعالى عند وصول نعمة اللبس بحمده تعالى غيرها من النعم العظام فقوله من غير حول مني ولا قوة يدل على انه لا يلاحظ الاسباب
ولا يرى لغير الله تعالى قدرة ولا تأثيرا في وصول نعمة اللبس وكانه غيره وذلك اعلى مقامات التوكل ولله بعد ان يكون
ذلك الحمد التام والتوكل التام سببا لمغفرة الصغاير بل محو الكبائر اذا وقع في محل القبول لما عرفت وجها او قلنا
من يصل ذلك المقام يفعل جميع الفرائض ويجتنب عن الكبائر فيغفر صغائره بالحمد والتوكل فان قلت اذا فعل
الفرائض واجتنب الكبائر يكفر صغائره بسببهما لا بالحمد قلنا يجوز تعدد الاسباب الشرعية واضافة الحكم
الى كل واحد منها او قلنا المراد من غفران ما تقدم وتأخر تخفيف لازمه وهو التحريض على الحمد والتوكل بالوجه
الابلغ فان قلت الوجه المذكور لا يستقيم في قوله ما تأخر لان الذنب الغير الموجود لا يتعلق به عقاب ولا غفران
قلنا المراد من المغفرة الحفظ عن ضرر المعصية فمعناه حصل بالمعونة المتوقع بالصون فتأمل فيما قلت من محتملات
الكلام واستنبط منها ما يناسب المقام وقد عرفت ان امثاله سيجيء اختام بعض الانام قال النبي عليه السلام
ان الله يحب ان يرى اثر نعمته على عبده عن ابي الاحوص الجشمي عن ابيه قال رآني النبي عليه السلام وعلي اطمار
فقال هل لك من مال قلت نعم قال من اي المال قلت من كل قد آتاني الله من الشاء والابل قال
فلير اثر نعم الله وكرامته عليك فان قلت قال النبي عليه السلام ان البذاذة من الايمان وقال من لبس
ثوب شهرة في الدنيا البسه الله ثوب مذلة يوم القيمة وقال من تشبه بقوم فهو منهم وقال من ترك
لبس جمال وهو يقدر عليه ويروى تواضعا كساه الله حلة الكرامة فهذه الاحاديث تدل على ان لبس
لباس الاغنياء ليس بمحمود وهذا الحديث الذي يدل على ان لبس لباس الجمال وثياب الاغنياء محمود
قلنا قد عرفت توفيق مثل ذلك التدافع الظاهري بتخريج جهة المغايرة بين الحكمين المتعارضين فيقال هنا

يجوز

يجوز ان يكون البذاذة اي رثاثة الهيئة وترك الزينة محبوبة وممدوحة بالنسبة الى الفقراء ومبغوضا بالنسبة
الى الاغنياء وقوله وهو يقدر عليه لايدل على الغناء بل يدل على قدرته على لبس لباس الجمال وهو مباح يعد من الحوائج
الاصلية بالنسبة الى العوام واهل الدنيا ويجوز ان يقال ترك لبس لباس الجمال محبوب للاغنياء الذين ظهر غناؤهم
و لبسه موجوب للذين لم يظهر غناؤهم لمصلحة ان يسال المحتاجون حوائجهم عنه وقوله عم يحب ان يرى اثر
نعمته على عبده يشير الى ذلك وقد عرفت جواز اجتماع الوجوه المتنافية في شيء واحد فيكون لبس ثوب الجمال
مباحا بل ممدوحا اذا تضمن امرا مشروعا كاظهار الغنى لمصلحة الفقراء او لاظهار شرف العلم والحلم ومهابتهما
او لصون العوام عن الاثم لاعتيادهم بازدراء من كان في زي الفقراء او لاشتماله على شكر نعمته ودفع
كدامتها وغيرها من المصالح المشروعة التي لا يطلع عليها ولا يعتبر بها الا العلماء مكشوفوا القلوب في اهل الاعتبار
فانهم يتابعون بالامور الشهوانية لتصحيح نياتهم ومشروعية اعتباراتهم كما ان الجهلاء كثيرا ما يأتون بطاعاتهم
بسبب الرياء وطلب الدنيا وحفظ مناصبهم بها وتفاصيل هذا الباب طويلة جدا لانه من توابع علم الاخلاق
الذي هو اشرف واهم من علم الاعمال فاصرف همك وعزمك الى معرفة تفاصيلها فقيه اصلاح قلبك **باب
الترجل** عن ابن عباس قال مر على النبي عم رجل قد خضب بالحناء فقال ما احسن هذا قال فمر اخر قد خضب
بالحناء والكتم فقال هذا احسن من هذا ثم مر اخر قد خضب بالصفرة فقال هذا احسن من هذا كله عن عمر
عن رسول صلعم كان يلبس الثياب المصبغة ويصفر لحيته بالورس والزعفران وكان ابن عمر يفعل ذلك وقال
قال انس نهى النبي عم ان يتزعفر الرجل حتى قال عم لا يقبل الله صلوة رجل في جسده شيء من الخلوق
عن عمار بن ياسر قال قدمت على اهلي وقد تشققت يداي فخلقوني بزعفران فغدوت الى النبي عم فسلمت عليه فلم
وقال اذهب فاغسل هذا وعن ابي هريرة قال قال النبي عم طيب الرجال ما ظهر ريحه وخفي لونه وخفي ريحه قالت عائشة
كان حسين يكره ريح الحناء وقال النبي عم لا اركب الارجوان ولا البس المعصفر وراى على عمرو بن
العاص ثوبا معصفرا فكرهه فانطلق فاحرقه فهذه الاحاديث تدل على ان استعمال الحناء والزعفران والمعصفر
مكروه والاحاديث السابقة تدل على انه ليس بمكروه بل يستحسن فما التوفيق بينهما قلنا وجه التوفيق هنا يجوز
ان يكون بيان اختلاف المحل بان يكون لون الصفرة منهيا في الرجال فيما سوى اللحية كاليد والرجل واللباس
وكذا الحناء والكتم يجوز ان يكون منهيا في غير اللحية وشعر الراس لانهما يقربه النبي عم امر بصبغ شعر الراس واللحية
تحاميا عن التشبيه باليهود ونهى ايضا عن صبغهما بالسواد لان ذلك فعل الكفار دائما واستحسن فعل من غير
لحيته بالحناء والكتم والصفرة وغير ايضا لحيته بالورس والزعفران فهم المراد من قوله صلعم وقد عرفت ان
بعض الاحاديث يذيل ابهام بعضها ويقيده او يخصصه ونظير ذلك ان النبي عم نهى عن النتف والمياثر
مطلقا ثم قال في بعض الاحاديث ان نتف الابط سنة ونهى ببعض كلامه عن مياثر الارجوان وعن المياثر
الحمراء فنفهم منه ان المنهي نتف شعر الوجه واللحية والحاجب والمياثر الملونة بالحمرة وقال في بيان مهر الزوجة
التمس ولو خاتما من حديد ثم راى رجلا يتختم بالخاتم من الشبه والحديد وانكره وقال ما لي اراك حلية الاصنام
وحلية اهل النار فعلم منه ان المراد من قوله ولو خاتما من حديد بيان ان لابد فيما النكاح من المهر ولو كان شيئا

قليلة كفشر دراهم ونهى عن نتف الشيب ثم غير شيبه بالصفرة وقال حين رأى ابا قحافة يوم فتح مكة رأسه
ابيض كالثغامة غيروا هذا الشيء واجتنبوا السواد فهم منه ان المراد من تغيير الشيب تغييره بالصفرة والحناء
وقال عم اوفروا اللحى ثم قص من لحيته من طولها وعرضها ما شاذ وخرج من امثاله فنفهم منه ان المعنى
قص اللحية كقص الافرنج والاعاجم وقال لعن الواصلة والمستوصلة فهم من ظاهر الحديث ان مطلق وصل
الشعر الى شعر نفسها حرام لكن بين تحدث امرأة وصل شعرها غيرها من النساء لا شعر المعز والابل

كتاب الطب والرقى

قال النبي عم الشفاء في ثلث في شرطة محجم وشربة عسل او كية نار فان قلت
الدواء غير منحصر في الثلث المذكورة لان النبي عم اخبر عن حصول الشفاء بغيرها كما قال الحبة السوداء شفاء
من كل داء الا السام وقال عم لو ان شيئا كان فيه الشفاء من الموت لكان في السنا قلنا قد عرفت مرارا
ان بعض الاحاديث كاشف عن ابهام بعض الاحاديث بالتقييد والتخصيص فقد دل الكونيان المراد ان
على ان ليس المراد من قوله الشفاء في ثلث الحصر وقد عرفت امثاله من ان اثبات الحكم لبعض الافراد لا يدل
على انتفائه عما عداه فان قلت وقلت ما فائدة ذكر الثلث على الخصوص والبلغاء لا يحملون كلامهم في اعمال
هذا على الاتفاق من غير قصد نكتة وحكمة قلنا يجوز ان يكون فائدة التخصيص الذكر لاظهار ان الامراض
تندفع بواحد منها غالبا وقد عرفت ان البلغاء يقيمون الغالب مقام الكل وذلك كثير في اعتبار الشارع
ومن ذلك قوله عم من احتجم لسبع عشرة وتسع عشرة واحدى وعشرين كان شفاء من كل داء لانك تعرف
ان الاخلاط الثلثة تخرج بالدم فيكون الدم سببا لدفع الامراض غالبا وهذا اظهر من ان يقال المراد من الداء
المرض الحادث منه الدم او قلنا قال ذلك باعتبار عادة اهل ذلك الموضع بقرينة قوله عم انا انهى امتي
عن الكي وحكمة نهيه ايضا مبالغة ذلك العموم في تأثيره فاظهر بالنهي ان الكي غير مستقل في ازالة المرض حتى
لا يشتغلون به الا في مرض مناسب داع اليه كما حسم النبي عم اكحل سعد بن معاذ بمشقص ثم ورمت فكواه ثانيا
وكوى سعد بن زرارة من الشوكة وهي حمرة تعلو الوجه وذلك لضرورة داعية الى الكي ويجوز ان يقال المراد
من قوله عم الشفاء في ثلث ان الثلث يكون سببا للشفاء في امراض يناسبها لما عرفت ان الحجامة يضر الصفراوي
قليل الدم والبلغمي ضعيف المزاج والشيوخ والاطفال والعسل ايضا يضر الصفراوي ومن غلبه الحرارة الغريزية
او العارضة والكي يضر لمن كان مرضه في احشائه لانه ظاهر بدنه فالمعنى ان شفاء المرض الذي هو من غلبة الدم
في شرطة محجم وشفاء المرض الذي هو من غلبة البلغم او تراكم الفضلات الرطوبية في العلاج في شربة عسل
وشفاء المرض الحادة الحادثة من فضول مادة منصبة على خارج البدن او من فساد عرق وعضو الكي وامثال
هذا كثير واعلم ايضا ان الحبة السوداء والسنا المكي لا يكون دواء لما سوى الموت لما عرفت ان فائدة السنا
في اسهال الاخلاط الثلثة ولا ينفع في غلبة الدم واستطلاق البطن وان فائدة الحبة السوداء في تحليل الرياح الغليظة
وتذهيب الرطوبات الكثيفة عن المعدة ونضج اكثر السوداوي والصفراوي ويرشد الى ذلك ما قالت سلمى خادم النبي عم
ما كان احد يشتكي وجعا في رأسه الا قال النبي عم احتجم ولا وجعا في رجليه الا قال عم اخضبهما وما قالت كبشة ان النبي عم
يحتجم على هامته وبين كتفيه ويقول من اهراق من هذه الدماء فلا يضره ان لا يتداوى لشيء فان قلت اذا كان المراد

كتاب الطب والرقى

من احاديث

من الاحاديث المذكورة ما ذكرت فما فايدة ايرادها على الاطلاق والمبالغة حتى قال شفاء من كل داء الا السام ولو ان شيئا
كان فيه الشفاء الموت لكان في السنا من اهراق من هذه الدماء فلا يضره ان لا يتداوى بشيء قلنا قد عرفت مرارا
ان المراد من امثالها معناها المجازي لتعذر الحقيقة بقرينة عقلية او نقلية او حسية وهنا قرينة حسية دافعة عن ارادة
الظاهر فيكون المراد منها الامور المذكورة لوازمها من التحريض على استعمالها عند عروض الامراض التي جعلها الله
سببا لدفع تلك الامراض او المبالغة في غاية نفعها لدفع الادواء المناسبة وتفصيل ذلك ان من تصور ان الحبة
السوداء شفاء لما سوى الموت والسناء شفاء فيه وان اهراق الدماء يقوم مقام كل الادوية في ازالة الامراض
يقوى داعيه والمعالجة بها ويعلم ان فيها منافع عظيمة في دفع المرض وان علم ان ليس المراد منها معانيها الحقيقية
وقد عرفت تفصيله ولا تغفل عنه فان من لا يقدر على ادراك نكت البلغاء في اخراج كلامهم على خلاف الظاهر
يشوش باله ويتكدر حاله لان القلب مجبول على معرفة الدقايق ولو هي محصورة عليه فاذا لم يتحصل ذلك سالما بل
يقع في قلبه زيغ وانحراف بوهم التعارض والخلل والقصور والزلل في كلام نبيه عم لكن من علم انه طبيب الابدان
كما انه طبيب القلوب فعلمنا معالجة ابداننا لازالة المضرة الدنيوية كما علمنا معالجة قلوبنا لازالة المضرة الاخروية
وعارف مقام المبالغة والايجاز ومقام المسامحة والابهام وادرك لا تطمس قلبك ما حال المرام ما لم يسمع كلامه عم كل
في كل مقام فاسمع طرفا منه حادثا فيه مناسبا لما قلت من الكلام واعلم انك اذا اردت ان تحرص صاحبك على شيء
او تبالغ في مدحه وتسعيه تقول لا منفعة ولا خلاص لك الا في هذا الشيء او تفوت كل المنافع والمطالب تحصل فيه او تقول
لو امكن دفع الموت لدفعه مع انك ومخاطبك تعرفان ان ذلك الشيء ليس على تلك الصفة وتعرف مخاطبك ايضا ان
مرادك من ذلك الكلام التحريض والترغيب والمبالغة في المدح والنفع فيه عن عبد الله بن عمر قال سمعت رسول الله صلعم
يقول ما ابالي ما اتيت ان شربت ترياقا او تعلقت تميمة او قلت الشعر من قبل نفسي عن المغيرة بن شعبة قال قال
رسول الله صلعم من اكتوى او استرقى فقد برئ من التوكل وروي من تعلق شيئا فقد وكل اليه فان قلت قد اباح النبي عم
التداوي والاسترقاء بل حرض عليهما وقال تداووا كما قال عم الشفاء في ثلث وقال الرجل مبطون اسق عسلا
فسقى ثلث مرات فلم ينفع ثم قال في الرابعة صدق الله وكذب بطن اخيك فسقاه فبرئ فان قلت العسل مسهل
مضر للمبطون فكيف امر شرب العسل قلنا يجوز اسهاله من كثرة الرطوبات والبلغم فلم ينسهلها العسل المرات
الثلث فقلع كلها في الرابعة هذا الاسهال وقال ايضا في العود الهندي سبعة اشفية وقال عم ان الله تع انزل داء ودواء
فتداووا بالحرام وقال عم لا رقية الا من عين او حمة او دم وقال اسماء بنت عميس يا رسول الله ان العين
تسرع الى آل جعفر افا سترقي لهم قال نعم لو كان شيء سابق القدر لسبقته العين وقال عم ما انت الا اصبع دميت
وفي سبيل الله ما لقيت وقال عم انا النبي لا كذب انا ابن عبد المطلب فكيف نهى بعد ذلك عن التداوي والاسترقاء
والتعلق بالسبب والشعر على وجه المبالغة قلنا قد عرفت مرارا ان لا تناقض ولا تدافع على سبيل الحقيقة في كلام
الشارع لان ذلك انما يلزم عن جهل او تقرير على السهو والنسيان ونبينا عم مصون عن ذلك بعون الله تع وتوفيقه
وعرفت ايضا وجوه دفع التعارض الظاهري فنقول هنا يجوز ان يكون النهي عن التداوي والاسترقاء والشعر
ناسخا واباحته ناسخة للنهي هذا اذا علم التاريخ فان قلت النهي يجوز ان يكون ناسخا لكن ما كان من الاحاديث

في صحة الاخبار لا يجوز ان يكون ناسخا قلنا الاخبار التي وردت لبيان الاحكام يكون في معنى الانشاء فيجوز فيها النسخ
وان لم نعلم التاريخ يجب علينا ان نشتغل في التوفيق ودفع التعارض الظاهري بوجه اخر فيمكن ان نقول معنى
قوله عم ما ابالي ما اتيت ان شربت ترياقا او تعلقت تميمة ما ابالي كما انت اي لا يكون فعلي على نسق الشرع
بل افعل ما اشتهي نفسي ان اعتقدت ان الترياق والتميمة مؤثرة وتامة في دفع المضار كما زعم ذلك اهل الطبيعة
وارباب الجهل ويؤيد الى ذلك قوله عم ان الرقى والتمايم والتولة شرك اي فعل اهل الشرك لانهم يزعمون انها
مستقلة في دفع المضار وامره عم بالتداوي بقوله اسوه عليه فتداووا لبيان ان للاسباب دخلا في حصول
بعض الاشياء وامثال هذا كثيرة كما قال عم فر من المجذوم كما تفر من الاسد واراد مجذوم من وفد ثقيف ان يبايع
النبي عم فقال النبي عم قد بايعناك فارجع ولم يصافحه بيده والظاهر ان ذلك ايضا لاعلام ان للسبب دخلا في حدوث
بعض الاشياء وان امكن ان يكون ذلك لاستكراه طبيعة اياه من المصافحة والملابسة بعد رؤية وجه المجذوم
او لباسه او يده وقال رجل انا كنا في دار كثر فيها عددنا واموالنا فتحولنا الى دار قل فيها عددنا واموالنا
فقال عم ذروها ذميمة وذلك ايضا لاعلام ان للهواء الوخيم تعلقا في تقليل اهلهم ومواشيهم وقال عم ان من القرف
التلف قد يكون من اقتراب الوباء والهواء ولا يتوهم القصور في القدرة القاهرة من تعلق تاثيرها في بعض
الصور بالاسباب على السنة الالهية لا العلية لما عرفت ان خلق قوة الاحراق في النار وقوة الارواء في الماء
وقوة الانماء والافساد في الهواء يدل على كمالها وعجايب آثارها فلا تغفل عن ذلك وقال عم ايضا لا عدوى في المرض
واكل مع مجذوم لاعلام ان السبب غير موثر ويمكن ايضا ان نقول بين قوله عم ما ابالي ما اتيت ان مقام منزلة
اعلى من ان يتعلق بالاسباب وبين قوله الشفاء في ثلث واسوه عليه فتداووا مقام امته لما عرفت ان مقام
المقربين غير مقام المبتدين ولذا قيل حسنات الابرار سيئات المقربين والى ذلك المقام الاعلى اشار بقوله
فقد برئ من التوكل فقد وكل اليه لان التعلق بالاسباب لا ينافي توكل العوام لان توكلهم ان لا يرون الاسباب
مستقلة كما ان توكل الخواص ان لا يرون الاسباب ملحوظة والى ذلك اشار الصديق بقوله الطبيب امرضني وهذا
ليس حسرا امثالنا وان كان جوابا لحالنا ومعنى ما قلت سابقا من قبل نفسي ان لا نقول شيئا بالقصد ولا نعتاد به اولا نقول
الا لاقتضاء مقام وحال لا لاشتهاء نفس هو الحال فان قلت قد كان يتداوى النبي عم فكيف يكون التداوي غير مناسب لمقامه
قلنا لعل ذلك لتعليم امته بالفعل والحال كما علمهم بالتصريح بالقال او يكون تداويه لاظهار كمال صنع الله الذي
خلق قوة ازالة المرض في بعض النباتات كما خلق خاصية اثارة الداء في بعضها وقد عرفت ان اهل القلب
يلتمسون النوايا بالامور العادية والافعال العامة لدقة نظرهم واطلاعهم على الرموز الخفية فكيف لا يقصدا كمل
العلماء وافضل الانبياء بالتداوي لا مرنيا سيما مقامه من اظهار كمال قدرة الله تع واثار حكمته وقد عرفت
ان الشيء الواحد قد يوجد فيه جهات شتى يكون ذلك الشيء ممدوحا ببعضها ومذموما ببعضها فلا تنس ذلك حتى تنتفع
بذلك في كثير من المطارح والمعارج وان نقول معنى قوله عم من اكتوى او استرقى فقد برئ من التوكل ومن
تعلق شيئا وكل اليه ان من زعم ان الاسباب مستقلة في دفع الاشياء او جلبها ولا يعلم ان تاثيرها باذن الله
كما قال النبي عم لكل داء دواء فاذا اصيب دواء الداء برئ باذن الله برئ من التوكل وتفويض حقيقة الامر

الى الله تع وفوض الى نفسه ولا تصل اليه نصر الله وعونه وحفظه وان نقول الامر بالتداوي لمصلحة العوام الذين لا يقدرون على الصبر على التلف والمضار وقوله فقد برئ من التوكل ووكل اليه لبيان ان الاصل والعزيمة للخواص قطع النظر عن الاسباب لانهم يصبرون على البلاء بل يتلذذون بالمضار النفسانية والعناء ولا يحركهم ولا يزعج قلوب نوايب الايام ولا يغيرهم في العبادة عوارض الالام لاستيلاء محبتهم الله على قلوبهم وكونهم كالجبل في الثبات وعدم التغير كما اشار الى ذلك ربنا الرحيم بقوله رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وقوله الذين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم وقال النبي عم ايضا في حقهم سبعون الفا من امتي يدخلون الجنة بغير حساب لا يكتوون ولا يسترقون ولا يتطيرون حتى لو لم نعمل بذلك الاصل نخرج من التوكل الواجب عليه المناسب لمقامه ولو اعتبر بالسبب في بعض الوقت يكون للتعليم او لاظهار حكمة الله تع وارجو من فضل ربنا الكريم وخالقنا الرحيم ان يحشرنا في زمرتهم ويوصلنا بسيرتهم

باب الرؤيا

قال النبي عم رؤيا المؤمن جزء من اربعين جزءا من النبوة وهي على رجل طاير مالم يحدث بها فاذا احدث بها وقعت واحسبه قال لا يحدث الا حبيبا او لبيبا قال الامام التوربشتي رؤيا المؤمن تخبر عن صورة ما قدر له من الخير والشر والعسر وعدمه لا بغيره واجاب بان ذلك كالسعادة والشقاوة المقدرتين لكن العبد مامور بالجهد والسعي في تحصيل اسباب السعادة وان قدر له الشقاوة وهذا التاويل كاشف عن معنى قوله لا يحدث الا حبيبا لا عن معنى قوله فاذا حدث بها وقعت واجاب شارح المشكوة بان الرؤيا مستقرة على ما يسوقه التقدير اليه من التعبير وعدمه وهذا يناسب قوله لا يحدث الا حبيبا لكنه ليس بتحقيق لان التقدير لا يتبع التعبير ويمكن ان يقال لا يغير المقدر لكن المقدر مخفي عن ادراك الانام فيعتمد قول المعبر فالجاهل يعبر الرؤيا لعدم معرفته المناسبة بين الصورة والمعنى وربما يذهب من صورة المعنى المرغوب المعنى المرهوب فيؤول الرؤيا بذلك فيتشوش قلب الراي ولا يجد الحضور والفراغ في امر دينه ودنياه وربما يتوهم الخير والمعنى النافع من صورة الشر والضار فيعبر الرؤيا بذلك فيعتمد صاحب الرؤيا توكلا ويعمل ولا يشتغل اسباب دافعة لذلك الشر وقد عرفت ان الاشتغال بالدعاء والتصدق لدفع الشر والبلاء فوايد جمة فيحرم عن تلك الفوائد بسبب الغفلة فيكون معنى قوله وقعت وقع اثر الرؤيا من الفرح والفراغ او من الترح والتشوش في قلب الراي ويمكن ان يقال مراد شارح المشكوة ان حكم الرؤيا على حسب ما عبره المعبر كما ذهب اليه البعض في حكم المجتهدات وظاهر قوله عم قضى الامر الذي فيه تستفتيان يرشد الى ذلك فتامل

باب الجلوس

قال عباد بن تميم رايت النبي عم مستلقيا في المسجد واضعا احدى قدميه على الاخرى فان قلت قال جابر نهى النبي عم ان يرفع الرجل احدى قدميه رجليه على الاخرى وهو مستلق على ظهره فكيف فعل النبي عم ما نهى عنه قلنا يجوز ان يوفق بينهما بان يقال فعله لبيان الجواز ونهيه لبيان الكراهة او النهي مقيد بان يكون وضع الرجل بعد انتصاب الركبة وبدون السراويل وذلك القيد لم يوجد في وضع النبي عم او يقال لما كان غالب الاحوال انكشاف العورة في ذلك الوضع منع عنه بعد فعله

باب الضحك

قالت عايشة ما رايت النبي عم مستجمعا ضاحكا حتى ارى منه لهواته وقام من مصلاه قبل طلوع الشمس قلنا يجوز ان يكون نفي ضحك الموصوف وعدم القيام باعتبار معرفة الراوي لا باعتبار نفس الامر فلا يلزم التعارض لا صلا فاتجه

باب البيان والشعر

وقال جابر بن سمرة كان النبي عم لا يقوم من مصلاه الذي يصلي فيه الصبح حتى تطلع الشمس قالت وقد صح ان النبي عم ضحك حتى رؤي لهواته صح

قال النبي عم لان على جوف رجل صديدا يريه خير من ان على شعرا وقال ان الله تع يبغض البليغ من الرجال الذي يتخلل بلسانه كما يتخلل البقرة بلسانها وقال النبي عم لقد امرت ان اتجوز في القول فان الجواز خير فان قلت قد مدح النبي عم الشعر وحرص حسانا عليه و مدح البليغ ايضا وقال ابن عمر قدم رجلان من المشرق فخطبا فتعجب الناس لبيانهما فقال عم ان من البيان لسحرا وان من الشعر لحكمة و قال ابو عمرو الشريد بن سويد ردفت رسول الله يوما فقال هل معك من شعر امية بن ابي الصلت قال نعم قال هيه فانشدته بيتا فقال هيه ثم انشدته فقال هيه حتى انشدته مائة بيت وقال لحسان يوم قريظة اهجوا المشركين فان جبرئيل معك فكيف ذمهما عم والبليغ مطلقا قلنا يمكن ان يقال في بيان التوفيق بانه عم ذم الشعر المذموم ما يقال لمدح اهل الدنيا طلب حطامها كما قال احثوا التراب على وجه المداحين وقال عم من تعلم صرف الكلام ليسبي به قلوب الناس لم يقبل الله منه يوم القيمة صرفا ولا عدلا او يقال الشعر المنهي ما يقال في غير اهله و موضعه كمدح اهل المعاصي شخص بما ليس فيه فيؤدي الى الكذب او يقاد بذلك فانه يشوش القلب و يفسد ولذا ذم بعض البليغ كما بعض العلم والقول لعدم وقوعهما في موقعهما او للافراط فيهما بان يؤدي ذلك الى ترك بعض الفرائض كما قال النبي عم ان من العلم جهلا وان من القول عيالا و يجوز ان يكون يتخلل بلسانه اشارة الى ان بعضه لتكلفه فيه لاشتماله قلوب الناس كما كان حال اهل زمانه كذلك و يجوز ان يكون ذم الشاعر والبليغ لاشتمال كلامهما على امور غير مشروعة كالمدح المشتمل على شجاعة اهل التعصب واسراف اهل الدنيا وساير الافعال والاحوال الغير المشروعة المستقبحة في الشريعة واما الشعر والكلام البليغ لمدح الاولياء والانبياء والمؤمنين الصالحين على افعالهم المحمودة واوصافهم الممدوحة واعمالهم المشروعة او للتوحيد وصفات الله تع او للموعظة والنصيحة والتحريض على الطاعة والزجر عن المعصية وبيان احوال القبر والحشر والقيمة فممدوحان و مستحسنان في الشريعة كما اشار الى ذلك نبينا المختار عم بقوله ان من البيان لسحرا وان من الشعر لحكمة شبه البيان بالسحر والشعر بالحكمة على الوجه الابلغ اذ الظاهر ان يقال ان بعض البيان لسحر وان بعض الشعر لحكمة فقلب الكلام للمبالغة والمعنى ان بعض البيان كالسحر في تسخير القلوب واماتها الى القبول له واستحسانه لحسن نظمه و معناه في الشرع وان بعض الشعر كالكلمة الحكيمة المشتملة على المنافع الدينية من المواعظ المستحسنة والتحريض على العبادة والزجر عن المعصية وذم المعصية وقد عرفت ان الكلام المشتمل على الحكم والمواعظ والمنافع الدينية والدنيوية ممدوح نظما كان او نثرا مدحا كان او ذما كذم المشركين كما قال النبي عم المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه والذي نفسي بيده لكانما ترمونهم به نضح النبل والضمير به للشعر وقوله عم امرت ان اتجوز في القول المراد منه ان يوجز كلامه في موضع الايجاز او لاعتماد على التطويل والاكتفاء في كل موضع لا ان يسلك مسلك الاطناب والتفصيل في موضع يقتضي لبسط الكلام لما عرفت انه اكمل البلغاء افضل الخطباء يبسط الكلام في موضع الاطناب باب الشفقة والرحمة قال النبي عم خير بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يحسن اليه وشر بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يساء اليه فان قلت بيت فيه يتيم يحسن اليه ليس افضل من بيت يصلى فيه ويصام على وجه المواظبة والكمال و بيت يساء فيه على اليتيم ليس باشر من

الكفار واهل صح

باب الشفقة والرحمة

شرب الخمر فيه ويزني ويسفك الدم قلنا قد عرفت جواب امثال هذا الحديث بانه محمول على المبالغة والزيادة
في ذاته او الفضل بجهة مخصوصة بان يكون خيرية البيت بالنسبة الى اباءة الصدقات وشريته بالنسبة الى ترك الصدقات
المعنى خير بيت تصدق فيه ثلث سهم فيه بيت يحسن اليه وشر بيت ساء من ترك الاحسان ثلث فيه سهم يساء اليه
او المراد التحريض على صدقة على الايتام والتحذير عن تركها وكل ذلك لوجود قرينة صارفة عن الاجراء على الظاهر ويأول
بمثل ما ذكرنا من التوجيهات قوله عم من احسن الى يتيمة او يتيم عنده كنت انا وهو في الجنة كهاتين وقرن بين اصبعيه
وقوله عم من اوى يتيما الى طعامه وشرابه اوجب الله له الجنة الا ان يعمل ذنبا لا يغفر لما عرفت ان المحسن الى اليتيم
لا يبلغ الى درجة نبينا عم ولا يجب له ايضا دخول جنة بمجرد اطعام اليتيم على اي ذنب كان سوى الشرك فاستخرج
وجها مناسبا وان عجزت عما فيه دقة فقل المراد منه التحريض على الايتام بوجه ابلغ واقوى وقد عرفت وجه الابلغية
ولا نعيد قال النبي عم ما من مسلم يرد عن عرض اخيه الا كان حقا على الله ان يرد عنه نار جهنم ثم تلا هذه
الاية وكان حقا علينا نصر المؤمنين فان قلت مجرد الرد عن عرض اخيه لا ينجي عن النار فضلا ان
يوجب على الله انجاءه قلنا قد عرفت توجيه مثله وتوفيقه وتاويله فقل معناه من شأن الرد ان ينجيه لولا
يعارضه معارض مقتضي دخوله النار لما عرفت ان شأن كل عبادة ان ينجي عاملها من النار كما ان شأن كل
معصية ان يدخله فيها اذا لم يوجد المانع الشرعي فيهما او المراد التحريض على حماية عرض المسلم بالوجه الابلغ وقد عرفت
تفصيل ذلك الوجه مرارا فان اردت سماع نفسه هنا مرة اخرى للتقرير فاعلم انه عم لو قال للراد عن عرض المسلم
ثواب عظيم لا ينبعث به الشوق والتوجه الى الرد كما ينبعث عن سماع قوله عم كان حقا على الله ان يرد نار جهنم
عنه لان الانسان ضعيف ونار جهنم شديد اليم لا يقدر على ايلامها وشرتها الجبال الراسيات فيجتهد في تحصيل
الرد باقصى السعي والطاقة والثواب العظيم يحرص ايضا لكنك تعرف بالوجدان ان التعيين والتفصيل اقوى
في التحريض لكن اذا قلت لم لم يذكر في التحريض شيء من نعيم الجنة وهو محرض على التعيين ايضا قلنا لرعاية مناسبة
الرد للمراد فتامل عن ابي مالك الاشعري قال كنت عند النبي عم اذ قال ان لله عبادا ليسوا بانبياء ولا شهداء
يغبطهم النبيون والشهداء بقربهم ومقعدهم من الله تع يوم القيمة فقال اعرابي حدثنا يا رسول الله من هم فقال
هم عباد من عباد الله من بلدان شتى وقبائل شتى لم يكن بينهم ارحام يتواصلون بها ولا دنيا يتباذلون بها
يتحابون بروح الله يجعل الله وجوههم نورا ويجعل لهم منابر من نور قدام الرحمن يفزع الناس ولا يفزعون
ويخاف الناس ولا يخافون فان قلت المتحابون لا يبلغون مقام الشهداء والانبياء فكيف يغبط الانبياء والشهداء
منزلتهم والانبياء والاولياء لا يفزعون يوم القيمة لقوله تع الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون وقوله تع
وهم من فزع يومئذ امنون وظاهر قوله يفزع الناس ولا يفزعون يدل على ان لا يفزع الناس الذين سواهم قال
بعض الشراح في توجيهه يجوز ان يغبط الانبياء منزلتهم وان كان منزلتهم اعظم من منزلة المتحابين ويجوز ان يكون
تلك الغبطة والنجاة في موضع من مواضع القيمة كموضع اشتغل الانبياء بحال امتهم والجواب عنهم وهذا التوجيه
من جنسيات بعض القواعد السالفة لان معناه ان ذلك تفضيل المتحابين بجهة خاصة ومكان مخصوص
فلا يلزم منه ان يكون منزلتهم افضل من منازل الانبياء او يختص النجاة عن الخوف بهم ولا يوجد في غيرهم

احتمالان ح

فالتوجيه الاول اولى يوضح ذلك الوجه وتفصيله ان يقال لكل عبادة مخصوصة ثواب خاص مناسب لها لا يوجد
في غيرها كما ان لكل معصية عقاب خاص وكون المتحابين من بلدان شتى وقبائل شتى وليس بينهم قرابة ومصاحبة ومناسبة
سوى جامع شرعي كاتحاد دينهم ومذهبهم يجوز ان لا يوجد ذلك في الانبياء والشهداء فلم يوجد لهم الثواب المخصوص
بتلك الامور فيغبطون قربهم ومنزلتهم لتلك الخصوصية وان كان منازل الانبياء والشهداء اعظم واعلى
من منازلهم بجهات شتى لم يوجد سببها في المتحابين كما ان هذا ان بعض الرجال يسوف ويغبط ساعرا
حقيرا الخصوصية فيه مع ان له قصورا موشحة وغرفا عالية مزينة وبيوتا منقشة ويجوز ان يقال معنى الغبطة
الاستحسان لانه لازمها كما قال النبي عم لا حسد الا في اثنين والمراد منه الاستحسان والاستعظام
ويجوز ان يراد منه التحريض على التحابب بالوجه الابلغ ويجوز ان يراد من الناس في قوله يغبط الناس غير الانبياء
والاولياء فيكون كالحصر الاضافي او المراد منه التعريض لا معناه الحقيقي وقد عرفت ان موجب عدم ارادة الحقيقي
والظاهر بقرينة صارفة سهل لكن الشان في استخراج وجه مناسب للمقام وتقارب الى الافهام فتامل فيه
لتطلع على وجه يناسب الكلام قال بعض الشراح المراد من روح الله القرآن وقيل المحبة والاوجه ان يراد
منه عون الله وتوفيقه للتحابب قال النبي عم لابي ذر يا ابا ذر اي عرى الايمان اوثق قال الله ورسوله اعلم قال الموالاة
في الله والحب في الله والبغض في الله فان قلت الحب في الله والبغض في الله ليسا من اجزاء الايمان وتشبيههما
بالعرى يدل على انهما من اجزائه قلنا يجوز ان يراد من العرى توابع الايمان لان العروة من التوابع او يكون
التقدير اي عرى اعمال الايمان وثمراته اوثق فان عرفت وقلت الحب والبغض في الله ليسا من اوثق الاعمال
الشرعية واقويها لما عرفت ان الصلوة افضل من باقيها وايضا يعارض هذا قوله عم عند سوال معاذ عن عمل
يدخله الجنة الا اخبرك براس الامر كله وعموده وذروة سنامه قال بلى يا رسول الله قال عم راس الامر
الاسلام وعموده الصلوة وذروة سنامه الجهاد ثم قال عم الا اخبرك بملاك الامر كله قال بلى يا نبي الله
فاخذ بلسانه وقال كف عليك هذا فقال يا نبي الله انا لمواخذون بما نتكلم قال ثكلتك امك يا معاذ
وهل يكب الناس في النار على وجوههم او على مناخرهم الا حصائد السنتهم وايضا قال النبي عم بني
الاسلام على خمس ولم يذكر الحب والبغض في الله فيها قلنا نعم قد عرفت ان الاحاديث المذكورة تدل
على ان الاعمال المذكورة فيها افضل واقوى من الحب في الله والبغض وحديث ابي ذر يدل ايضا على انهما
اقوى من باقي العبادات لكنك عرفت ايضا ان لا تعارض في الحقيقة بين النصوص الشرعية وعرفت
ان ذلك بوجه خاص وان فات ايراده في صورة الاطلاق ما يأتي وعرفت ان النبي عم افضل البلغاء
واكمل الخطباء يسوغ كلامه على نسق مقتضى المقام ومنوال مقاصد الانام واذا حققت ذلك كله تطلع
على توفيق مثل هذا الكلام فلا باس لنا في ان نشرع في تعيين الجواب وتفصيل الخطاب بما عونا للمدرس
وازالة تردد المتعلمين فنقول يجوز ان يكون الحب في الله والبغض في الله اي في حقه لانه غرض الوسائل اقوى
الايمان باعتبار ان ذلك دليل على قوة الايمان المؤدية الى الجد في عبادة الله والامتناع عن مخالفته بقدر طاقته
ومكنته حتى يبذل ماله وروحه في سبيله لتحصيل مراده وبغيته فيكون الحب لله والبغض في الله افضل من باقي الاعمال

على اقصى الوسع والطاقة لما عرفت
ان المحب الصادق يجتهد في خدمة
المحبوب وتحصيل مراده ويجتهد
في الاحتراز عن مخالفته صح

مفضلة عليها لجهة اخرى لا توجد فيهما كما في تفضيل الصلوة والجهاد وكف اللسان عليهما بجهات اخرى وقد عرفت
تفصيلها قبل هذا من ان الجهاد افضل الاعمال باعتبار ان فيه بذل الروح والتحمل على المقارعة بالسنان والسوق
والصلوة اكمل العبادات باعتبار اشتمالها على التعظيمات البدنية والقالية كالركوع والسجود والانتصاب على وجه
الخشوع والوقار وقراءة القرآن والتسبيحات والتحميدات والتهليلات والتكبيرات والدعوات وفي كل ركن
واداب صلوتية تعظيمات وتذكيرات رمزية خالية لو شرعنا في تفصيلها يطول الكلام ويلزم الخروج عن مقتضى المقام
فان قلت فما وجه الاخير من بلاك الامر كله يدل على ان كف اللسان اصل العبادات واقومها فما توجيه ذلك قلنا
ذلك بوجه خاص ايضا لما عرفت ان اللسان اخف الاعضاء واعلاها في تحصيل الخير والشر كما عرفت بعض تفاصيل
الخير في افضلية الذكر وان اردت تفاصيل الشر والضر المتعلقين باللسان فطالع في كتاب مصنف في بيان افات
اللسان وهي عشرون صنفا ومن اعضلها الكذب والغيبة والنميمة والمضاحك فان قلت لم حصر النبي عم في بيان ملاك
الامر كف اللسان مع ان اطلاقه بالاذكار وقراءة القرآن والدعوات وتعلم العلم والوعظ والنصيحة من ملاك الامر
قلنا لان امر الكف اهم واعظم لانه اصعب واعم لان منعه عن المعاصي المتعلقة باللسان لا يتيسر الا للاقوياء ولصعوبة
المنع وضع ابو بكر الصديق رض مطمومة في فمه حتى لا تغلب منه شيء مما لا يعنيه وتلك امور وجدانية فان اكثر الناس لو منع
عن المباشرة في الممازحة والحكايات والملاغي بل عن الكذب والغيبة والمناهي لتكدر حاله ويتضيق بالحرج انه
عالم بان ذلك يضره امر دينه ودنياه ولعسر ذلك المنع وغلبة وقوع المعاصي من جهة اللسان قال النبي عم هل
يكب الناس ولم يخصص الكب واورد على وجه الحصر وقيل بالمناخر والعبرة ان الطبيب يعالج على حسب المراد فلما كان
آفة اللسان من اعضل الامراض والافات الظاهرة عالج في منع اللسان عنها بابلغ الوجوه فكيف وقد سبق انكار
المواخذة على وجه الاستغراب المودى الى تاكيدا لردع بالخطاب والقول بثكلتك امك في الجواب وتكون ترك المعاصي
اصعب واعظم واسفال الناصح به اولى واهم وصف النبي عم والقرآن في اكثر الامر بصفة الانذار وقال النبي عم
والله اني لاخشاكم واتقاكم وانه ليغان على قلبي فاستغفر الله كل يوم مائة مرة وقد عرفت ان الانسان يحتاج الى
الانذار والاستغفار وان استغرق عمره في طاعة الله بل لانه لا يقدر على رعاية شرائط العبادة اللائقة لشان الملك
الجبار لكثرة العوارض والعوائق والقوادح وعزة اسباب المكملات من كمال الاخلاص والحضور والثبات
وغيرها ولذا قلما يوجد الانسان الكامل المستحق للبشارة بالفلاح الكامل واذا عرفت ان النبي عم بالغ في ثواب
كل طاعة ومنفعة وعقاب كل معصية ومضرة بوجه مخصوص وفضل بعض سور القرآن واياته على بعض باعتبار
النفع والجهة الخاصة فافهم منه ان جهة الاثابة باللذة العرفية او العذاب والعقوبة في بعض العبادات قد لا
يدرك بالعقل فله وجه لمن انكر الحسن والقبح العقلي والا يلزم ان يقال في توجيه دفع التعارض الظاهري والتوفيق
ان الله حاكم مطلق وله ان يفضل بعض العبادات على الباقي ويغلظ بعض المعاصي بالنسبة الى الباقية وعكس
الامر ايضا بدون جهة مخصصة والمراد من التفضيل والتغليظ مجرد البعث والزجر وانت تعرف ان لا وجه لذلك
كما لا وجه للانكار والله الموفق والهادي الى طريق العدل والانصاف

باب ما نهي عن التهاجر

قال النبي عم لا يحل لمسلم ان يهجر اخاه فوق ثلث فمن هجر فوق ثلث فمات دخل النار فان قلت قد هاجر النبي عم

زينب في ذي الحجة والمحرم وبعض صفر مع انها زوجته يجب عليه قسمها وصحبتها قلنا المراد من الهجرة التي لا يحل فيها
ان يتجاوز عن الثلث الهجرة لامر الدنيا فان كان الهجرة لامر الآخرة بان يرى احدا منهما معصية يجوز ان يهجر عنه من عمره
وهجرة الرسول عم كانت لمنكر عرفه في زينب او بسبب تلك الهجرة ان صفية انقطع ظهرها او مركبها في بعض السفر وعند
زينب فضل مركب فقال لزينب ان اعطي تلك اليهودية فغضب النبي عم فهجرها عنها في تلك المدة على وجه التأديب والتعزير
وانت عرفت مرارا ان بعض الاحاديث تقيد بالبعض مع تكون قرينة التقييد والتوفيق لان تقييد المطلق لا يكون الا بحديث
واحدة وحكم واحد وفي بعض ما ذكرنا من التقيدات لا يوجد الشرطان فاعلم منه ان مرادنا من تقييد البعض
ان البعض يكون قرينة الجمع والتوفيق كما ان خبر الواحد والقياس يكون قرينة البيان والتفسير للنصوص القاطعة والى الحل
ان تعارضها ولا يخفى عليك ان دفع التعارض الظاهر في اكثر المواضع يكون مدرك الاصل ولذا كان حفظ النصوص الشرعية
باسرها شرط الاجتهاد وبذلك تكشف قوله عم الاناة من الله والعجلة من الشيطان وقوله عم السمت الحسن والتؤدة
والاقتصاد جزء من اربع وعشرين جزءا من النبوة وقوله عم لعائشة عليك بالرفق واياك والعنف والفحش
فان الرفق لا يكون في شيء الا زانه ولا ينزع من شيء الا شانه وقوله عم المؤمنون هينون لينون كما عمل الانبياء فقد
ان الاناة والتؤدة ليستا بممدوحتين على الاطلاق لان كل امر يكون خيرا على القطع يجب التعجيل فيه اتمام كما في الفرائض
الموقتة او يستحب كما في الفرائض المطلقة ولذا قال عم التؤدة في كل شيء خير الا في عمل الآخرة وهذا ليس بجائز على الاطلاق
ايضا لان ذلك مقيد بما يكون خيريته قطعية اذ يجب في المواظبة على النوافل تؤدة وتامل كثير حتى لا يلزم التزاحم وتفاصيل
ذلك الباب كثيرة ايضا والرفق ايضا لا يكون ممدوحا على الاطلاق كما ان العنف ليس بمذموم على الاطلاق لان
الرفق وترك العنف ممدوح في المخاصم والمكافاة في حق نفسه لا في حق الشرع لوجوب العنف وتركه لو دفع اقام
الحدود وفي المنكرات كما قال الله تع لا تأخذكم بهما رافة في دين الله وقوله تع ولا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض
وقوله تع اشداء على الكفار رحماء بينهم وكذا اللين والتسوية والانقياد ليست بممدوحة على الاطلاق لان اللين
والانقياد يجب ان يكون في اتباع الحق والدعوة الى الطاعة وترك المكافاة والخصومة لا عند رؤية المنكرات
والدعوة الى المعصية قال النبي عم الا اخبركم بافضل من درجة الصيام والصدقة والصلوة قالوا بلى قال اصلاح
ذات البين وفساد ذات البين هي الحالقة قال عم في تفسيرها لا اقول تحلق الشعر ولكن تحلق الدين وقال واياكم
والحسد فان الحسد ياكل الحسنات كما ياكل النار الحطب فان قلت اصلاح ذات البين عبارة عن رفع
العداوة بين المؤمنين وذلك ليس بافضل من الصلوة والصوم والصدقة لانهن اركان الاسلام بالاتفاق
دونه والحسنات ايضا لا تحبط بغير الكفر والحروف وفساد ذات البين كيف يحبطها وموته بها قال الاشرفي
في الجواب ان اصلاح ذات البين افضل من نوافل الصلوة والصوم والصدقة وانت تعرف انه ليس بافضل
من نوافلها وان المراد بيان افضليته بوجه خاص وان غاية الاطلاق مقتضى المقام من عادة كون الاصلاح مما
او ان مع انه بحما جا وفايدته التحريض على الاصلاح بالوجه القوي قال الامام التوربشتي الحسد لا يحبط العمل
بل يؤدي الى ذلك لان الحسد يؤدي الى شتم المحسود وهتك عرضه وغيبته واتلاف ماله فيذهب بذلك ثواب
بعض حسناته او نقول تضعيف المثوبات بقدر مرتبة العابد واذا حسد يحرم عن بعض الاضعاف فكل بعضها

البتراح كل حسنة يضاعف بعشر امثالها واذا اتى بسيئة نقصت واحدة من تلك العشرة وقيل يعطى ثواب الحاسد
المحسود يوم القيمة الجزاء بقدر حسده وقيل الحسد يمنع الحاسد عن فعل الحسنات وتاويل الى لم ما ذكرنا ايضا
وانما ذهبوا الى التاويلات المذكورة لعلمهم بان ثواب العبادة لا يذهب بدون الارتداد ويمكن ان يقال يجوز ان يكون
بعض شروط قبول عمل العابد بل ثوابه خلوص قلبه عن العداوة والحسد في حق المؤمن الصالح وان لم يكونا مؤثلين
ثواب العبادة ومحبطين اياه فيكون المراد من الحلق والاكل كونهما مانعين من القبول وترتب الثواب ولا يستبعد
ذلك فان ترتب الثواب لما تعلق بتحصيل الشروط الظاهرة وجمعها كطهارة الثوب والبدن والمكان وستر العورة والوقت
والنية يجوز ان يتعلق بتحصيل الشروط القلبية الباطنة كتخلية القلب عن الريا والحسد والعداوة والكبر والعجب
والندم على فعل العبادة لما عرفت ان امر القلب اهم واعظم لان المقصود من العبادات الظاهرة كونها سببا لاصلاح
القلب وتنويره او نقول تخلية القلب عن العداوة والحسد شرط كمال العبادة واذا لم يوجد يكون العبادة ناقصة
الناقص ح وعند طلاب الكمال بمنزلة المزال والمعدوم ولذا قال الحالق ويأكل الحسنات فان قلت اذا كان تخلية القلب
عن الاخلاق المذمومة المفصلة شرط الثواب او القبول او الكمال فما وجه تخصيص العداوة والحسد من بينها
بالذكر قلنا لاقتضاء المقام ذلك لما عرفت ان البليغ لا يترك النكتة في التخصيص الذكري كما في الحصر فان قلت
المظالم اشنع من الاخلاق المذمومة فلم لم يكن الاحتراز عنها شرط الثواب كما قال النبي عم ان المفلس من امتي من ياتي
يوم القيمة بصلوة وصيام وزكوة وقد شتم هذا واكل مال هذا وسفك دم هذا فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته
فلم كان الاحتراز عن الاخلاق المذمومة شرطا دون الاحتراز عنه قلنا لان التخلية عنها شرط طاعات القلب بخلاف
المظالم والنصوص الشرعية المصرحة كثيرة مذكورة في علم الاخلاق وان لم يذكرها المستعملون ببيان تفاصيل اعمال
الظاهرة كالفرائض الاربع والاستعمال في اكثر الاجواب ان يقال المراد من الحلق والاكل لازمهما وهو المنع عن العداوة والحسد
بالنحو الوجوه لوجود القرينة الصارفة عن ارادة الظاهر باب الرفق والحياء قال النبي عم من يحرم الرفق
يحرم الخير وقال عم الحياء لا ياتي الا بالخير وقال ان مما ادرك الناس من كلام النبوة الاولى اذا لم تستح فاصنع
ما شئت فان قلت انعدام الرفق لا يؤدي الى انعدام الخير مطلق وكذا لا يؤدي الحياء الى اتيان الخير مطلق
بل قد يصاب الخير بترك الرفق والحياء كما لا يلين ولا يستحي من هتك ستر المرتكب للمنكر غير الممتنع عنه بالوعظ والنصح
والرفق بل يغلظ ويهتك ستره بالشهادة او باقامة الحد عليه وقد يصاب بالشر والضرب بسبب الرفق والحياء بان
يلين ويستحي عن نهي المنكر فيأثم وقوله فاصنع ما شئت يدل بعمومه على جواز فعل المعاصي وذلك لا يجوز قلنا
قد عرفت ان المراد من الرفق الممدوح هو الرفق الواقع في محله وكذا في تركه من حرم عن الرفق في موضعه يحرم
عن الخير المتعلق بالرفق لا عن مطلق الخير لما عرفت ان اسباب الخير كثيرة والمراد من الحياء الحياء الايماني وهو مانع قوي
عن الارتكاب للقبائح شرعا فلا يترك الحي النهي عن المنكرات واقامة الحدود على شارب الخمر والزانية والقاذف
لانهما قبيحان شرعا فمنع الحلم يمنع من له حياء عن فعل المعاصي فلا يترك الخير بسبب حيائه لانه معصية فان قلت اذا كان
ترك الرفق سببا للحرمان عن الخير المتعلق مصوله بالرفق فما وجه ايراده في صورة الاطلاق قلنا قد عرفت مرارا
فائدة الاطلاق فلا نعيده لكن نفصلك بعض فضائل الرفق حتى تفهم بذلك استحقاقه بايراد الخير في صورة الاطلاق

فاعلم ان الرفق من آثار رقة القلب وقوة قابليته واذا رق قلب العابد تنور وتشرح وبعمله بما علم وسمع
من الخير مع نشاط خاطره ومواظبه ولا يتهاون فيه واذا غلظ طبعه وقسى قلبه لا يميل الى طاعة ولا يقبل النصيحة ولا يتأثر
في قلبه بسهولة وسرعة ولا يمتنع عن المعصية ولا يخاف عما ان حملها ولا يتوب عنها على سرعة ولذا قال النبي صلى الله عليه وآله من اعطى
حظه من الرفق اعطى حظه من الدنيا والآخرة ومن حرم حظه من الرفق حرم حظه من خير الدنيا والآخرة وانت تعرف
ان اسباب خير الدنيا والآخرة كثيرة اذ كل طاعة سبب لخير الدنيا والآخرة وان كان بينهما تفاوت فالمراد من الحظ
الحظ المنوط بالرفق فيكون من تتمة فاية الاطلاق ببيان كثرة ثواب الرفق في باب الرفق في باب الخير
لما عرفت بعض تفاصيله ويمكن ان يقام الحظ الكثير مقام الكل فيكون من ملابسه وانت تعرف ان جواب امثال هذين
في امثاله الحمل على التعريض اللازم لسماع المبالغة الظاهرة وعرفها واجاب بعض الشراح عن قوله فاصنع ما شئت
بان ابا عبيدة قال فاصنع صيغة امر والمراد منه الخبر وقال ابو العباس المراد من الامر بها الوعيد كقوله تعالى اعملوا ما شئتم
وقال ابو اسحاق معناه انظر الى ما تريد فان كان مما لا يستحى منه فافعل والا فاترك ويمكن ان يقال المراد من الامر التوبيخ
والتقريع اي اذا لم تستح وزال عنك الحياء الايماني خرجت عن محل التكليف ومقام الانسانية ومنازل العبودية فلا ينفع
فيك كلام ان دع فاصنع ما شئت وفيه تقريع عظيم وتوبيخ شديد يمنع عن ترك الحياء الايماني بابلغ الوجوه ونظيره قوله تعالى
افانت تسمع الصم او تهدي العمي ومن كان في ضلال مبين وقوله تعالى وما انت بمسمع من في القبور وقوله تعالى انك لا تسمع الصم الدعاء
وقوله تعالى ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الامل فسوف يعلمون

باب الغضب والكبر

قال النبي عليه السلام
الا اخبركم باهل الجنة كل ضعيف متضعف لو اقسم على الله لابره الا اخبركم باهل النار كل عتل جواظ متكبر وقوله لا يدخل
النار احد في قلبه مثقال وقال الكبر بطر الحق وغمط الناس وقال ثلثة لا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم ولهم عذاب اليم
شيخ زان وعائل مستكبر فان قلت اصناف اهل الجنة واهل النار كثيرة لما عرفت ان كل عبادة سبب لدخول الجنة
وكل معصية سبب لدخول النار فما فائدة تخصيص الضعفاء بكونهم اهل الجنة وما فائدة تخصيص العتل والجواظ والمتكبر
بكونهم اهل النار قلنا قد عرفت مرارا ان تخصيص هذا الكلام وجوه مقتضى من مقتضيات المقام بان يكون ذكر
الضعيف لتسلية قلوب الضعفاء او بيانا ان الضعف والمسكنة والفقر والقناعة من اكثر اسباب دخول الجنة
لان المراد من الضعف ذلك لا ضعف المزاج وبالغ في الضعف بقوله المتضعف اي الذي يستضعفه الناس لعدم جاهه
وماله وغاية مسكنته وفقره ولذلك قال لو اقسم على الله لابره وذلك يدل على كمال قربه ومرتبته عند الله
حتى يبر ما حلف عليه لله بحسب وذلك لان العناية والمحبة وكذا تخصيص العتل الذي هو شديد الخصومة بالباطل
والجواظ الذي هو الصياح المهذار المحتال في مشيه والمتكبر تعظم نفسه على الغير ويستهل امر العبادة ولا يبالي
بتركه للتقريع على من اتصف بها والزجر عن مقاربتها او بيان ان اكثر اهل النار متصف بتلك الاوصاف وقد عرفت
ان الانبياء عليهم السلام بمنزلة ابلغ الخطباء لا يتركون الاعتبارات اللائقة بمقامات الكلام وكان الطبيب الحاذق لا يترك في العلاج
مقتضيات الامراض المختلفة ولذا قال رجل لرسول الله صلعم اوصني قال لا تغضب فردد مرارا وقال في كل ذلك لا تغضب
وقال رجل آخر اوصني قال خذ الامر بالتدبير وقال ابو برزة علمني شيئا انتفع به قال اعزل الاذى عن الطريق وقال
سفيان بن عبد الله الثقفي قلت يا رسول الله قل لي في الاسلام قولا لا اسأل عنه غيرك قال قل آمنت بالله ثم استقم

مثقال الكبر
حبة من خردل صح
وملك كذاب صح

باب الغضب والكبر

وقال اخبرني اي الاعمال افضل قال ان تفارق الدنيا ولسانك رطب من ذكر الله وقال اخر ان شرايع الاسلام كثيرة
فاخبرني بامر اتشبث به قال لا يزال لسانك رطبا وانت تعرف ان مراد طالب الوصية والتعلم ان يعرف انفع
المطالب له ووجب ايضا على المعلم المسئول عنه ان يعلمه ما هو اهم وانفع له فلما كان نبينا عم اكمل البلغاء افضل
الخطباء وعلم ان الاهم لبعض المستوصي ترك الغضب لافراط غضبه ولبعضه ترك العجلة لافراط عجلته في امر
الدنيا فقال لاحدهما لا تغضب وللاخر خذ الامر بالتدبر ولا يتوهم من ذلك ان ترك الغضب والعجلة افضل العبادات
واهم الطاعات او هما يكفيان لهما في باب العبادة كما ان الطبيب الحاذق والحكيم الصادق يرشد المرضى الى
ما يناسبهم فيامر بعضهم باكل العسل ويمنع عن شرب الخل وساير المطاعم والمشارب الباردة ويامر بعضهم بخلافه
والجاهل يحمل كلامه على التدافع والتعارض والعالم يفهم من معالجته على مقتضى الامراض انه طبيب كامل ومعالج
فاضل وقال لا تزال بمرض في التعلم اعزل الاذى ولا يتوهم منه انه افضل الاعمال او قصر رسول الله صلعم تعليم
افضل الاعمال او بعثه على الاقتصار عليه بل افهم ان المراد عدم بعثه على جمع جميع العبادات لان ايجاب على الاذى
اسحاب فعل الا على بدلالة النص فان قلت لم لم يقل اعمل كل الطاعات اذا كان مراده ذلك قلنا في بعض ايجابه
عليه فعل كل العبادات بذلك الطريق نكتة خفية وحكمة بهية لان فعله شيء يرمز الى ان النافع عنده بعض الاعمال
وهو الاكمل والاعلى من الطاعات فارشد النبي عم الى ان الواجب على طالب الكمال ان يجتهد في جمع فعل جميع
الاعمال لما عرفت ان رضاء الله مستور فيها لا يعرف العبد باي عمل يحصل له ولذا اوجب الاعلى والاكمل باي
الادنى والاقل ومدح من وجه بديع بل بجميل فاعرف ذلك كله وحثه بعض السائل والطالب وبعثه على مواظبة
الذكر لكونها مناسبة لحاله لا لكونه افضل الاعمال ولا لبعثه على الاقتصار عليها من بين العبادات فان قلت
ايضا لا يكفي الايمان المجرد في المنع عن دخول النار فما معنى قوله لا يدخل احد النار احد في قلبه مثقال حبة من خردل
من الكبر والطوائف التي لا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم يوم القيمة كثيرون فما معنى تخصيص الثلثة وما معنى قيد الزاني بالشيخ
وقيد الكذاب بالملك وقيد المستكبر بالعيل والفقير مع ان مجرد الزنا والكذب والكبر سبب دخول النار وكذا
ما معنى ضم الجواظ والمستكبر الى العتل مع ان العتل يكفي في السببية قلنا قد عرفت مما سلف من القواعد فايدة
التجرد والضم وذكر الثلثة وتعدد على استخراج العلل والنكت فهاهنا لكن الاولى ان نفصل ونصرح ببعض
القواعد والنكت عونا للمبتدين حتى لا يتكلفون في الرجوع الى المحال القواعد والتدبر في استخراج الفوايد
والنكت المخصوصة المناسبة لما ذكر في هذا الموضع من التجرد والتعدد فنقول مجرد الايمان يكفي في الدخول في الجنة
اذا لم يمنع مانع ويكفي الكبر في المنع عن دخول الجنة ان لم يوجد ما هو مزيله من التوبة او العفو او علو الحسنات
او لا يدخل المتكبر الجنة ما لم يعاقب بمقدار قبحه وتخصيص ثلثة بعدم التكلم والنظر لا ينافي عدمهما في حق غيرهم
وفايدة التخصيص بيان زيادة شناعة الزنا والكذب والكبر وقبحها لا لاخراج غيرها والنكتة في ضم الجواظ
والمتكبر التعريض للمتصف بالاوصاف الثلثة القبيحة او تحميقها او لبيان قوة سببية ذلك الاجتماع للعذاب او ليست
احد من مقتضيات المقام التي عرفت بعض تفاصيلها وحكمة قيد الزنا بوجودها في الشيخ وقيد الكبر لوجوده في الفقير
والكذب في الملك اظهار رعاية شناعة المتصف بها لان ذلك يدل على فساد الجوهر وخباثة الذات لان الكبر

مع الفقير

اذا وجد في الغني ربما يقال لعل ذلك لعارض ونظر المال وطمعان الغني والكذب اذا وجد في غير الملك فقد يكون
لغرض الدنيا من جلب النفع او دفع الضر والزنا اذا صدر من شاب فلعل ذلك لغلبة شهوة الفرج لا لحكم
الطبع فيكون قبيلا لاوصاف المذمومة بوجوه فمن ذكر لما ذكرنا وامثال هذا كثيرة في عبارة الشيخ رح
كما قال النبي عم بئس العبد عبد تخيل واختال ونسي الكبير المتعال بئس العبد عبد تجبر واعتدى ونسي الجبار الاعلى
بئس العبد عبد سهى ولهى ونسي المقابر والبلى بئس العبد عبد بغى وطغى ونسي المبتدا والمنتهى فان كل واحد
من الخصال المذمومة سبب للذم فيكون فائدة ضم الغير بيان زيادة قباحة الجامع بها والنهي عن جمعها او التوبيخ
لجامعها او لبيان ان الاوصاف من كل منها مبدا وموصل الى الاخرى غالبا ففيه ابلغ منه منها او لغلبة اجتماع تلك الاوصاف
في المخاطبين او في ذلك الموضع لما ستعرف ان طباع كل قوم تقتضي صنفا من الصفات الممدوحة والمذمومة فلا يدل
انتفاء الضم لانتفاء الذم بالاتفاق لان شرط العمل بمفهوم المخالفة عند القائلين به ان لا يوجد فائدة سوى اخراج
المطلق والمفرد عن ترتيب الحكم عليه وهنا وجد ونحن لا نقول بمفهوم المخالفة لكنا نقول لابد للقيد من فائدة اذا
لم يكن شرطا في وجه الحكم ولذا اشتغل باستنباط النكتة في امثال ذلك باب الظلم روى ابو هريرة رض
ان النبي عم قال اتدرون من المفلس قالوا المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع فقال عم ان المفلس من امتي من ياتي
يوم القيمة بصلوة وصيام وزكوة وياتي قد شتم هذا وقذف هذا واكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطى
هذا من حسناته وهذا من حسناته فان فنيت حسناته قبل ان يقضي ما عليه اخذ من خطاياهم فطرحت عليه
ثم طرح في النار وقال لتؤدون الحقوق الى اهلها يوم القيمة حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء في الحديث
نكتة مهمة لان المفلس في اللغة من لا درهم ولا متاع له لكن لما كان ذلك الافلاس وضرره قاصرا والافلاس عن بضاعة
العبادة في الاخرة قصا كاملا وضرره عظيما اثبت مال المفلس من باتية على ان طريق الحصر كان الناقص في جنب
الكامل بمنزلة المعدوم فان قلت من باتية بصلوة وصيام وزكوة ليس بمفلس قلنا اذا ذهبت ولم ينتفع صاحبها
نزل بمنزلة المعدوم فان قلت تعذيب الظالم لوزر المظلوم مخالف لظاهر الآية لان الله تعالى قال ولا تزر وازرة
وزر اخرى قلنا قال الامام التوربشتي في جوابه المعاقب فيه بسبب ظلمه ولم يعاقب بغير جناية قلنا هذا تاويل وتوفيق
لكن لم ينكشف به معنى الطرح فيمكن ان يقال معنى الآية ان النفس الوازرة لا تحمل وزر نفس اخرى بان تقول وزر عملك
علي فافعل ما شئت فطرح وزر المظلوم على الظالم كان على سبيل العدل وتوفية حق المظلوم فلا ينافي ذلك
معنى الآية والا نسب ان يقال المراد من طرح ذنوب المظلوم على الظالم تعذيب الظالم في مقابلة ظلمه وتخفيف عذاب
المظلوم لاجل مظلوميته فيكون من باب اطلاق السبب وارادة المسبب بقرينة الآية والنص الاقوى الرافع عن جريان
الطرح على الظاهر باب الامر بالمعروف قال النبي عم من راى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع
فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك اضعف الايمان فان قلت الايمان عبارة عن التصديق بوحدانية
الله تعالى وصدق رسوله على سبيل الجزم والاقرار بها حالة الاختيار وهما لا يقبلان الزيادة والنقصان والضعف
والقوة مع ان اقتصار المغير على انكار قلبه كان لعدم استطاعته وقدرته على التغيير باليد واللسان فكيف قيل اضعف
الايمان قال بعض الشراح المراد من الايمان اعماله وثمراته وهذا توجيه جيد لان النهي عن المنكر من ثمرات الايمان

باب الظلم

باب الامر بالمعروف

ولا اقتصار

والاقتصار على الانكار القلبي فيه اضعف من النهي باليد واللسان باعتبار الظهور والتاثير ويمكن ان يقال الاقتصار اضعف الايمان
باعتبار الوصف لما عرفت ان الايمان لا يزيد ولا ينقص باعتبار الذات والاجزاء اذا لم يجعل الاعمال من الايمان
كما عرفت بعض تفاصيله لكن يزيد وينقص ويقوى ويضعف باعتبار الوصف والقوة فان ايمان جبرائيل ونبينا
ليس كايمان العامي المقلد في القوة والثبات وبذلك الاعتبار قال النبي عم لو وزن ايمان ابي بكر بايمان سائر الخلق
لرجح لان قوة يقينه في الايمان بلغت الى مرتبة لا يمكن التغير والرجوع عنها وان تراكم عليه جميع المعارضات وتزاحم عليه
كل الشبهات من قبل النفس والشيطان وابناء الدنيا واذا عرفت ذلك فاعلم فاسمع بعض تفاصيل ما ذهبنا اليه
فاعلم ان اقتصار الناهي على انكار قلبه الا لخوف من هلاك او ذهاب ماله وجاهه او لانهتاك عرضه وغير ذلك من منافع
النفس ومقاصد البدن وذلك يدل على ضعف ايمانه لان من قوي ايمانه واستولى على القلب نوره لا يبالي بكل ما نفعه
في موضع الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فيأمر وينهى ويجتهد فيهما بيده ولسانه ولو علم هلاكه في ذلك الحال يرضى به
ولم يكن مزاحمة امثالها وان كان حيا يأتي الناس دليلا على قوة ايمانه وايقانه وقد قال النبي عم في مدح العاملين
بالعزيمة بقوله فان وراءكم ايام الصبر من صبر فيهن على الجمر للعامل فيهن اجر خمسين رجلا يعملون
مثل عمله قالوا يا رسول الله اجر خمسين منهم قال اجر خمسين منكم والمراد من ايام الصبر ايام ظهر فيها الفتن
والمنكرات ولم يوجد فيها معين في امر الدين فمن اشتغل فيها بالطاعة والامر بالمعروف والنهي عن المنكر يكون اجره
كاجر خمسين من الصحابة وذلك التضاعف لزيادة التعب والمشقة في الطاعة والنهي عن المنكرات والنصيحة
والى ذلك اشار النبي عم بقوله من احيى سنتي عند فساد امتي فله اجر مائة شهيد ويمكن ان يقال ايضا المراد من اضعف
الايمان ايمان العاجز والمانع عن اقامة وظيفة نهي المنكرات باليد واللسان او اضعف ثمراته بالنسبة الى المانع
لا الى الناهي لكن انت عرفت الفرق بين التحقيق المناسب للمعنى والكلام والتقارب الى السوق والمقام وبين
التأويل المقتصر على دفع التعارض الظاهري وتصحيح الامر النائي فان قلت على وجه ضعف ايمان غير المستطيع
للنهي باليد واللسان وذلك لا يجوز لان الله تع قال لا يكلف الله نفسا الا وسعها وما جعل عليكم في الدين من حرج
يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر قلنا لا نم عدم ضعف ايمان العامل بما وجب عليه فان النساء يعجزون
عن دفع عروض الحيض لانفسهن وعن التخلص عن نقصان عقلهن مع ان النبي عم قال في حقهن ناقصات
العقل والدين لزعمهن ونقصان دينهن بسبب نقصان عبادتهن بسبب الحيض وهذا لا ينافي قوله تع لا يكلف الله
لان النقصان والذم في الحديث لانعدام شرط الكمال بسبب العجز ومعنى الاية بيان عدم التكليف عند انعدام القوة
لا بيان عدم النقصان والضعف في العبادة وعدم الفرق بين العزيمة والرخصة في الثواب والفضيلة
ولو سلم ان الضعف لا يحصل بدون القدرة قلنا للمقتصر قدرة على النهي عن المنكرات باليد واللسان وان لم يجب
ذلك عليه لكنه لا يشرع فيه للخوف عن الضرر في امر دنياه فيعمل بالرخصة وهي بالنسبة الى العزيمة ضعيفة
وقد عرفت بعض تفاصيله فلا تكون من الكافرين، باب الدقائق قال النبي عم الدنيا سجن المؤمن
وجنة الكافر فان قلت كم من مؤمن يعيش في الدنيا مرفها وطيب عيشه الى ان يموت فيكون
الدنيا كالجنة وكم من كافر يكون في جميع عمره مبتلا بالفقر ومحنة بالمرض فيكون الدنيا كالسجن له اجاب بعض الشراح

بان ما ادخر للمؤمن من نعيم الجنة باق لا يزول وكامل لا ينقص وسالم لا تعارض والدنيا مع نعيمها الفانية المشوبة بالفناء سجن بالنسبة الى الآخرة ونعيمها الكامل والدنيا مع جميع ما فيها جنة الكافر بالنسبة الى عذاب السعير ولقائل ان يقول كل مؤمن لا يتخلص عن عذاب الآخرة ولا يتنعم بنعيم الجنة فكيف يكون الدنيا في حقه سجنا له بذلك الاعتبار ويمكن ان يجيب ويقول من ختم عمره بالايمان يدخل الجنة اما اولا او آخرا ويستغرق في نعيم الجنة فكيف لا يكون الدنيا له كالسجن له بالنسبة اليه او المراد من المؤمن المؤمن الكامل لكن الاول انسب بقرينة مقابلته بالكافر لا الفاسق قال بعض الكرام الدنيا للمؤمن كالسجن لانه مكلف بالاوامر والنواهي والكافر غير مكلف بها فيكون الدنيا كالجنة له ولقائل ان يقول كل مؤمن لا يمتثل بالاوامر والنواهي فلا يشتغل بالعبادات فلا يجتنب عن السيئات فلا يكون الدنيا له بمنزلة السجن والمجيب ان يقول من شأن المؤمن ان يكلف بها فيكون الدنيا كالسجن له بخلاف الكافر واعلم ان الحديث من باب التشبيه البليغ وقد عرفت ان وجه الشبه قد يكون الامر المشترك في الحقيقة او جزئها او نحوه وصف خاص مشهور ووجه الشبه هنا وصف خاص للجنة والسجن فللسجن اوصاف ولوازم من ضيق قلب المسجون لعدم الوصول الى مراده ومن الحرص على خلاصه منه لطلبه وضيقه وعدم المونس والمطلوب فيه وقد اشار النبي عليه السلام في بعض كلامه الى بعض وجه الشبه بقوله الدنيا سجن المؤمن وسنته السنة عبارة عن القحط محبوس فيه قلب المسجون الا فان وبعضهم لانعدام وصوله الى شهيات النفس وللجنة ايضا صفات مشهورة ولوازم مخصوصة من فرح الداخل فيها ووصوله الى ما يشتهيه من اللذات الروحانية والجسمانية من انواع المطاعم والمشارب والمناكح والمساكن والملابس والمناظر الكاملة الرائقة والفاضلة الرائية واذا عرفت بعض تفاصيل وجه الشبه فهمت ما يتأتى منه في التشبيه البليغ من اعتبار البعض او الكل بالتأمل اليسير لكن لا بد لنا من بيان بعض التحقيق فيه فاعلم ان المراد من المؤمن المؤمن المطلق بقرينة مقابلته بالكافر فيكون الدنيا كالسجن للمؤمن المهمل في استيفاء لذات نفسه والغافل عن نعيم الجنة وعذاب النار في بعض الامور وان كانت في الصورة كالجنة له بسبب الغفلة لان الادنى من اللذات الفانية يكون مسرة حزن وغم اذا عرف الاعلى الباقية منها ويكون للمؤمن الكامل المراقب العالم بحال الدنيا والآخرة كالسجن دائما لتضيق نفسه منها وغاية حرصه على التخلص من عنائها كما اشار الى ذلك ربنا الرحيم ومالكنا الكريم بكلامه العظيم قل يا ايها الذين هادوا ان زعمتم انكم اولياء لله من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين المفهوم من الآية ان من زعم انه حبيب الله يجب عليه ان يجتهد في رفع المانع عن الوصول ويحب ذلك والمانع منه حيوة الدنيا فيكون كسجنه فيعشق التخلص منها وكذا حكم الكافر فان الدنيا جنة كافر غير عالم بحاله في الآخرة باعتبار نفس الامر لانه على انه يزعم انه يتنعم في الآخرة وجنة كافر عالم بحاله في الآخرة باعتبار علمه ايضا اذ رتبت بلاء لذة بالنسبة الى ما فوقه فمن تصور عذاب جهنم يكون كل المصايب والمضار عنده بمنزلة ولو يجوز ان يكون المعنى من شأن الدنيا ان يكون كالسجن للمؤمن او من شأن المؤمن واقتضاء ايمانه ان يكون الدنيا له كالسجن وكذا الحكم في الكافر وقد عرفت ان التخلف لمانع لا يقدح ذلك الحكم الكلي باعتبار الاصل واعلم ان الانسان مركب من العالم العلوي الروحاني اذ روحه وعقله وقلبه من ذلك العالم ومن العالم السفلي الجسماني اذ بدنه واعضائه وقواه من هذا العالم فالامور العلوية الروحانية جند الله والسفلية الجسمانية جند النفس

و الشيطان

والشيطان والعطارد والتخاصم الموداما ان من الحدس والجهاد الاكبر عبارة عن تلك المحاربة المستمرة فيجب
على المومن ان يشتغل بافعال ويتصف باخلاق وعقايد تودي تلك الى تقوية جند الله واستيلائه على جند
الشيطان وبعض تلك الامور مما يدرك بالعقل وبعضها لا يدرك والرسول بعث لمصلحة تعليم الامور المقوية
والمكملة نفس الانسان والمقربة الى مالكها وخالقها فاذا اشتغل الانسان بتحصيل تلك الامور المقوية المكملة
تنبعث من قلبه الشوق والمحبة الى وصاله الى مقام الاعلى الروحاني ومنزله الاصلي الابدي وتحصل النفرة
والكراهة للعالم الجسماني ويحب التخلص منه كما يحب المحبوس تخليصه من السجن بل شوقه ومحبته اكمل واقوى لان الشوق
والمحبة تكون بقدر لذة المطلوب وحسن المحبوب ومقدار انفعال النفس من العاشق واذا لم يشتغل
الانسان بتحصيل العبادات المقوية جند الله بل يشتغل بتحصيل ما يشتهيه نفسه وغفل عن عبادة خالقه
يقوي نفسه ويستعملها في تحصيل اسباب لذاتها من حيل كسب الدنيا كانهما اذا استوليا على النفس والا تنا
تصرفا بهما الى العبادة وذلك معلوم بالحس والتجربة عند ارباب الرياضة واصحاب المراقبة وتفاصيله في كل
لا يدرك الا بمعرفة علم الاخلاق ومقصودنا من ذكر هذا المقدار توضيح معنى قوله عليه السلام الدنيا سجن المومن
وجنة الكافر وان ذلك الى ما ذكرنا في بيانه وجه الشبه اخرى يشير اليه ان شان المومن ومقتضى ايمانه ان يشتغل
بافعال تودي الى الاشتياق والمحبة لدار الاخرة والقرب عند مالكه وينفر بها عن الدار الفانية ولذاتها فيكون
له كالسجن ومن شان الكافر ان يشتغل باعمال تجره الى الغفلة عن الدار الاصلية والباقية والتلذذ بالدار
الفانية ومشتهياتها وفيه تغليظ عظيم للغافلين المنهمكين في لذات الدنيا بجعلها خاصة الكفار وحظهم لا بعمل
على النكتة والعبرة قال النبي عم لا يظلم مؤمنا حسنة يعطي بها في الدنيا ويجزي بها في الاخرة واما الكافر
ان الله فيطعم بحسنات ما عمل بها في الدنيا حتى اذا افضى الى الاخرة لم يكن له حسنة يجزى بها ومعنى لا يظلم لا ينقص
وهو لازم ويجيء متعديا الى مفعولين ويريد نظيره في الامرين فالمعنى والله لا ينقص مومنا ثواب حسنة بل يعطيها
ثوابها على وجه الكمال اذ يعطيه ثواب حسناته في الدنيا ويجزي به ايضا في الاخرة فان قلت كم من مومن عابد
ذهب جميع عمره بالفقر والفناء والزحمة والبلاء ولم يجد ثواب حسناته في الدنيا قلنا انت لم تعرف ثواب الحسنة
اذ زعمت انه مخصوص على ما يشتهيه النفس من الصحة والنعم الجسمانية الحسنة وذلك قصور في نظر ارباب البصيرة
فان اجل ثواب الحسنة واعظمه ان يكون العابد في الدنيا محبوبا في قلوب اولياء الله تع ومكرما عندهم وقد عرفت
بعض تلك المثوبات الكاملة في باب المحبة ولو سلم اقتصار الثواب في الدنيا على ما زعمت قلنا التخلف لمانع لا بعد
لا سيما قد عرفت ان الاسباب الشرعية يجوز ان تكون متعددة ومتراجحة فيجوز ان يحرم المومن من ثواب حسنة
في الدنيا لمانع كعدم التقوى او مجاورة الظلمة فان شامتهم ومصيبتهم يصل الى المومن البري كما ترى الوباء والقحط
يصلان الى الزاني وغيره ومانع الصدقة وغيره ولذا قال الله تع واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة
او نقول اعطاء ثواب المومن في الدنيا لا يدل على الاستمرار ولو صح ادنى الاعطاء وقوعه استوفى جميع حسنات
عمره ولو كان تلك النعمة في يوم او ليلة لما تعرف انت انك لو كنت ملكا عظيما من ملوك الدنيا ثم زال نور عينك
او حاسة سمعك او نطق لسانك يوما بمدته في طلب الطبيب ولو اليوم طلب باعادة نور عينك في ذلك اليوم

لا عطب مملكتك اياه لاعادته ولو استولى الم عينك او سكل وافرط يعطى ايضا اياه مملكتك لازالته بل يقبل من
ورجليه معترفا فانه منه حصول ثواب حسنتك في الدنيا مع ان فقر المومن ومصيبته سبب رفعة درجاته وقربته
لانه يصبر على البلاء بسبب ايمانه ومعرفته لذلك من وجه ثواب حسنته كما اشار الى ذلك نبينا عم بقوله اذا اراد الله
بعبده خيرا عجل له عقوبته وقوله من كان صلبا في دينه اشتد بلاؤه وقال ابو هريرة قال النبي عم من يأخذ
عني هولاء الكلمات فيعمل بهن او يعلم من يعمل بهن قلت انا يا رسول الله فاخذ بيدي فعد خمسا فقال
اتق المحارم تكن اعبد الناس وارض بما قسم الله لك تكن اغنى الناس واحسن الى جارك تكن مومنا واحب للناس
ما تحب لنفسك تكن مسلما ولا تكثر الضحك فان كثرة الضحك تميت القلب وقال النبي عم ان الله تعالى يقول ابن ادم
تفرغ لعبادتي املأ صدرك غنى واسد فقرك وان لم تفعل ملأت يدك شغلا ولم اسد فقرك فان علمت تلك الكلمات
الخمس لا يمكنك كونها سببا للمسببات الخمس وايضا كم من متفرغ للعبادة لا ينقطع فقره بل فوقه ويستمر وكم من
مشتغل بالدنيا غير متفرغ للعبادة يكون مستغرقا في حطام الدنيا ومتاعها فاعرف سر الحديثين وتاويلهما قلنا
قد عرفت ان كلام البلغاء كثيرا ما يصاغ على قالب خلاف مقتضى الظاهر او يراد منه غير المعاني لان الامر فيه
ولا يتحرفون عنه ايضا الا لنكتة اخرى من كون المخاطب بليدا محتاجا الى التصريح وغيره ونبينا عم اكمل البلغاء
اشفق الخطباء في رعاية احوال المخاطبين واحنه عليه ولو لم يقتض المقام ايراد الحديثين على خلاف الظاهر
لنكتة السهمة لم يورده عليه ومن تلك النكتة اعلام ان اتقاء المحارم هو الى غاية الجزئية توفيه وظايف العبودية
لان تركها من المحرمات ايضا وان اتقاء المحارم من افضل العبادات كما روي ان ترك ذرة مما نهى الله خير من عبادة
الثقلين وان رجلا ذكر عنده بعبادة واجتهاد وذكر اخر بالورع والدعة فقال لا تعدل بالورع شيئا يعني
ان العبادة لا يساوي بالورع في الفضيلة وقد عرفت ان البلغاء ينزلون افضل الاشياء واقواها منزلة كلها
فيكون فيه كالظهار تلك النكتة واذا عرفت هذا القدر من التفصيل في قوله تكن اعبد الناس ما عرف تقديرا منه في بعضه
بان المراد من اغنى الناس ان يكون قلبه غنيا وذلك لا يحصل الا بالقناعة والرضا بما قدر الله له من حظوظ الدنيا
وبان المراد من المومن والمسلم في قوله تكن مومنا تكن مسلما المومن الكامل المسلم الكامل لان الاحسان الى الجار
ومحبته لغيره كمحبته لنفسه من امارات كمال الايمان وقد عرفت جواز تعدد الاسباب وعدم اداة الحصر
فلا يتوهم الانحصار في الكلام ولكن استنبط وجه التخصيص الذكري من مقتضيات المقام ويجوز لك ان تقول من احسن
الى الجار ويحب اخاه المومن كنفسه حصل بانه ثمرات الايمان فيكون كاملا وان يقول معنى قوله تكن مومنا مسلما
تعلم ايمانك واسلامك بوجود اماراتهما او غير ذلك من المحتملات العقلية والمراد من موت القلب ذهاب رقته
وعروض قساوته وزوال فهمه وتمييزه بين الضار والنافع والمعصية والطاعة لان كثرة الضحك تورث ذلك
بالخاصية ويدل على تلك الافات في القلب بالمشاهدة والمراد من الغنى والفقر في قوله املأ صدرك غنى
واسد فقرك غنى قلبك القلب وفقره ويدل عليه قوله املأ صدرك واعلم ان غنى القلب وانسداد باب
فقره وانقطاع دواعيه الى طلب الدنيا وتكاثرها لا يحصل الا للمتفرغين للعبادة والمبتلين لا يحصل الا سقام
بالتوجه الكلي والتدبر في امر الدنيا وما ال المتفرغين بلا بها والتفكر في امر الاخرة وكرامة المبتلين عند الله

لان

لان العابد اذا واظب على هذا التدبر ينقطع عن طلب الدنيا بل يستكره لذاتها لان من تصور عظمة الله وصنوف انعامه وحكمه
وعجايب افعاله ومصنوعاته يتلذذ به ويستولي عليه الشوق والمحبة بل الوجد والحيرة فلا يميل قلبه الى الدنيا
وشهواتها ويتنفر من تصور لذاتها بل بعد ذلك التصور خستها ونقصانها وذلها وحقارتها ولا تستبعد ذلك وانت
تعرف ان من طلب الرياسة الدنياوية وبعطي جميع حاله للتحصيل ويرضى بالمتاعب المولمة والمجاهدات العديدة
وترك المشتهيات الجسمانية وايضا من كان مولعا بتحصيل العلم بترك اللذات النفسانية والمقاصد الجسمانية
من الماكل والملابس ويختار الفقر والعزلة والخمولة والذلة خمسين سنة مع انه يعلم ان اكثر الطالبين لا يصلون
الى ما يرومونه من الرياسة المتعلقة بالعلم واذا فهمت ذلك فاعلم ان اللذات الروحانية اقوى من الجسمانية
والعلم بلذات العبادة والمكاشفات القلبية بترك اللذات النفسانية والمقاصد الجسمانية واذا عرفت
هذا القدر من تفصيل معنى قوله عم حكاية عن الله تع تفرغ لعبادتي املا صدرك غنى فاعرف ايضا بعض
تفاصيل قوله عم والا ملات يدك شغلا من ان من لم يتفرغ لعبادة الله واعرض عن طاعته واشتغل
قلبه بتحصيل الدنيا واسباب لذاتها يستولي على قلبه الاشتغال الدنياوية والوساوس الشيطانية والمطامع
النفسانية بحيث لا يمنع من تحصيلها وجمعها من عمره ويومه وان كانت الف سنة وايضا لا ينسد فقر قلبه وان جمع جميع
متاع الدنيا ولما كان نفسه تقول لعل مالك ينقص او يقع عليك مانع من الكسب كالمرض والهرم فلا تبقى
عصا لحك من مالك او لاولادك لكثرة فلا بد لهم اموال كثيرة حتى لا يحتاجون الى السوال بعدك وان لم يتصور
كل ذلك فخاصية الدنيا ان ينظر طالبها الى ما فوقه فيجتهد في وصوله الى مرتبته ويتضيق قلبه ويتوسع همه وينفتح
باب حرصه وفقره كما قال الله تع من اعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا وهذا غالب احوال اهل الدنيا
لكن ربما لا يكدر الدنيا قلب بعض الناس كاغنياء الانبياء والاولياء ولا يحصل في قلبه محبتها وارادة
تكثرها بل يكون وجودها وعدمها عنده متساويين فلا يضر الدنيا لان المذموم ارادتها ومحبتها لا وجودها لكن
لما كان خاصية الدنيا ما ذكرناه ولا يتخلص من لوازمها وغوائلها الا الانادر في غالب الاحوال ترك
اكثر الانبياء والاولياء للاحتياط والتعليم قال النبي عم لرجل يعظه اغتنم خمسا قبل خمس شبابك قبل
هرمك وصحتك قبل سقمك وغناك قبل فقرك وفراغك قبل شغلك وحيوتك قبل مماتك فان قلت الشباب
والصحة والغنى من الغنائم دون الهرم والفقر والمرض قلنا قد عرفت مرارا انه يجوز ان يكون لشيء واحد
جهات شتى يمدح ويطلب بعضها ويذم ويترك بعضها فنقول الغنى والشباب والصحة ومقابلاتها لانها
خير وغنيمة من وجه وشر ونقيصة من وجه اما الغنى فلانه سبب الطغيان والفساد للجهال والغفلة
لكنه سبب السعادة والفضيلة للعقلاء بان يمنع نفسه عن محبتها فيصل بذلك الى مرتبة الصابرين ويتصدق
على الفقراء والمحتاجين فيصل به الى مرتبة الشاكرين والمتصدقين واما الصحة والشباب فلانه لا تاتي العبادة
كالاعضاء وقواها تكون كاملة وموسومة فاهل الحزم والتدبر يشتغلون بها ويجتهدون في تحصيل الاستطاعة
فيبلغون بها مرتبة لا يبلغها الشيوخ والمرضى لا مقدار الوقع والعربة يكون مقدار الكل والهرم والمرض
ايضا مذمومان اذا لم يصبر على مشاقهما او يتهاون بالعبادة فيهما وممدوحان باعتبار ان القوى الشهوانية

يكسرهما و منقاد للعبادة والفقر ايضا مذموم اذا لم يحصل فيه الصبر والقناعة و ممدوح اذا حصل فيه فراغ
القلب عن اشغال الدنيا والتواضع والمسكنة فالمعنى اغتنم بالشباب والقوة و بصحة الاعضاء والالة
بان تستعملها في تكميل وظايف العبادة وتحصيل مراتب الاستقامة قبل فوت الفرصة وضعفها لوصول المرض
والشيخوخة واغتنم بمالك بان تتصدق بمالك على فقراء العباد والعلماء قبل ذهاب مالك بالحادثة والموت حتى تصل
الى مرتبة المتصدقين و مدحهم كما قال النبي عم نعم المال الصالح للرجل الصالح و اليد العليا خير من اليد السفلى واعلم
ان فراغ القلب ايضا نعمة عظيمة ولذا قال النبي عم نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ لان امر العبادة
لا تتيسر بدون فراغ القلب ولا تكون للعبادة فضيلة ولا للعمر فائدة بدونه ولذا يجوز تمني الموت ايام الفتنة لانعدام حصول القلب
في الطاعة والحيوة ايضا نعمة جسيمة للعباد لانها سبب تحصيل الوجه والكرامة والسعادة السرمدية واللذات الابدية
فقوله عم اغتنم خمسا قبل خمس اشارة الى ان الامور الخمسة اسباب النعيم والدولة فوجب على العاقل
ان يحصل تلك الاسباب بسببها قبل عروض مقابلاتها و حلول الحسرة لفواتها فلا يغفل عن سر الحديث
وحكمته فان فيه تنبيهات وتحريضات على تقديم امر الاخرة وترك طول الامل وتخويفات على الغافلين المسوفين
امر العبادة واعلم ان التسويف وطول الامل اغلب العوايق والعقبات واقواها ولذا قال النبي عم ما
ينتظر احدكم الا غنى مطغيا او فقرا منسيا او مرضا مفسدا او هرما مفندا او موتا مجهزا او الدجال فالدجال
شر غائب ينتظر او الساعة فالساعة ادهى وامر اي ما ينتظر احدكم في التهاون في الطاعة وتسويف امور الاخرة
الا غنى مطغيا لما عرفت ان خاصية الغنى الطغيان غالبا و هو الافراط والتجاوز عن الحد في الفعل وترك الطاعة او فقرا
منسيا بان تتجاوز عن الحد ولا يوجد فيه اسباب المعيشة بقدر الضرورة فينسى فيه امر العبادة او مرضا مفسدا اياه في
تغلب ايضا فيفسد الات العبادة كالاعضاء وقوتها او هرما مفندا بان يحصل العجز وتضعف الاعضاء بحيث
لا يقدر اللازم فيه على العبادة او موتا مجهزا بان يهجم بغتة فلا يمهل الى ان يتدارك التقصيرات كما قال الله تع ما ينظرون
الا صيحة واحدة تاخذهم وهم يخصمون فلا يستطيعون توصية ولا الى اهلهم يرجعون او الدجال اي ما ينتظر المسوف
الا وصول الدجال و هو شر غائب ينتظر في كل عصر او الساعة اي القيمة وهي ادهى وامر وفي الحديث تقريع وتوبيخ
وتهديد على المغرور المتهاون في طاعة الله تع والمسوف المتكاسل في عبادة الله و تعديد الموانع الغالبة العوائق
القوية عن تدارك امور الاخرة وتحريض على تعجيلها وتقديمها قبل وصول موانعها وحصول الحسرة والندامة الغير
النافعة لفوت الفرصة و وقتها وقد سلك فيه سبيل الترقي و لذا قال والساعة ادهى وامر لانها الطامة الكبرى
والداهية العظمى فان قلت قد وجد في عصر النبي عم لا تصل الى الدجال والقيمة فكيف قال ما ينتظر احدكم
الدجال على ان الانتظار مخصوص بالمخاطبين قلنا المراد من احدكم واحد من جنسكم الذي كان في اي عصر
كان فالمعنى احد من جنسكم قال النبي عم لا تتخذوا الضيعة فترغبوا في الدنيا فان قيل ضيعة الرجل ما يحصل
منه وجه معاشه كالصناعة والصنايع و اتخاذها مشروع لان الكسب من وجه مشروع ممدوح في الشرع فكيف
نهى عن اتخاذها قلنا المراد من النهي منع التميز عن حصولها وتعليق قلبه بها ولذا قال فترغبوا فيها ولذا
قال النبي عم لعن عبد الدنيا ولعن عبد الدرهم او لم يقل صاحب الدنيا والدرهم اشعارا بان المذموم محبة الدنيا

وحصا لاذاتها وقال من احب دنياه اضر باخرته ومن احب اخرته اضر بدنياه فاثروا ما يبقى على ما يفنى وقال الله تع
من كان يريد العاجلة ومن كان يريد حرث الدنيا او قلنا لما كان اتخاذ الضيع يودي غالبا الى رغبة الدنيا
ومحبتها وتعلق القلب بها وتشوشه نهى عن اتخاذها مطلقا لما عرفت ان الغالب والاكثر منزل الكل في عرف الشريعة
او المراد من النهي بيان العزيمة والاصل كما روي عن النبي عم ابا ابرست وامه يصليان حلل بيتهما فقال الامر اسرع
من هذا الشيء على سبيل حصر الامل وتقديم استعداد امور الاخرة لا المنع عن صلاح حلل البيت المودي
الى الانهدام عليهما لان مثله من الامور المحتاج اليها لا المنهي عنها لانه ليس من الدنيا والمراد من مدح طلب الرزق
والامر بها كما قال النبي عم ما اكل احد طعاما قط خيرا من ان ياكل من عمل يده وان نبي الله داود كان ياكل من عمل
يده وقال عم ان الله طيب لا يقبل الا طيبا وان الله تع امر المومنين بما امر الله به المرسلين بيان ان طلبه نوع الحرمة
او بيان الرخصة والاباحة بشرط ان لا يشوش قلبه به ولا يتهاون ولا يقصر في طاعة الله سبحانه او النهي مخصوص بالمتوكلين
ومدح الكسب للعوام الذين لا يتخلصون عن ملاحظة الاسباب ولا يحصل فراغ قلوبهم في الطاعة بدون حصول
اسباب المعيشة واشتغال بعض الانبياء بالكسب لتعليم الامة او تحصيل التواضع والمسكنة لا لانعدام توكلهم
وقدرتهم على قطع الاسباب وكذا حال بعض الاولياء فيه قال النبي عم ما انفق المومن من نفقة الا اجر فيها الا نفقته
في هذا التراب فان قلت النفقة في غير البناء ليست بممدوحة على الاطلاق والنفقة في التراب ليست بمذمومة
ايضا مطلقا فما وجه تاويل الحديث في منع الحصر قلنا قد عرفت ان بعض الاحاديث مقيد ومبين بالبعض
وقد عرف بالنصوص الشرعية القاطعة ان الانفاق في استيفاء الحظوظ النفسانية فوق مقدار الحاجة
غير مشروع كما قال الله تع كلوا واشربوا ولا تسرفوا وان الانفاق في البناء بقدر الحاجة مشروع كما قال النبي عم
ان كل بناء وبال على صاحبه الا ما لا الا ما لا ابد منه فنفهم بذلك معنى الحديث فنقول المراد من النفقة في غير البواب
النفقة المشروعة ولذا قال الا اجر فيها لان الاجر لا يحصل في النفقة الغير المشروعة وغير المحتاج البناء والمراد
من النفقة في التراب النفقة فوق الحاجة لا بقدر الضرورة لان ذلك ليس من الدنيا وقد عرف في الاصول ان الضرورات
والمحظورات والمعذورات مستثناة من عموم النصوص الشرعية بالنقل والعقل قال الله تع كلوا من طيبات
ما رزقناكم وقال قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين امنوا في الحيوة
الدنيا والاخرة وقال ايضا كلوا واشربوا ولا تسرفوا وقال ان الله لا يحب المسرفين فنفهم ان اكل المستلذات
ولبس المتجملات فوق الحاجة منهيان وقال تع اقيموا الصلوة واتموا الصيام وجاهدوا في سبيل الله وقاتلوا
في سبيل الله فالمعذورون مستثنون من العمومات لقوله تع ما جعل عليكم في الدين من حرج وقوله تع لا يكلف
الله نفسا الا وسعها وقوله تع يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر الخ ما انفق المومن من نفقة مشروعة
الا اجر فيها الا نفقته في التراب لا يوجر فيها لكونها غير مشروعة هذا واعلم ان ظاهر قوله الا نفقته في التراب
يدل على ان المراد منه المنع عن النفقة في التراب وان كانت على وجه الاباحة حتى لا يتطاولون في البنيان
قال النبي عم ان اول ما يسال العبد يوم القيمة من النعيم ان يقال له الم نصح جسمك ونروك بالماء البارد
فان قلت الصحة والاكل والشرب من الامور الاختيارية التكليفية وفي بعضها ان في حساطرة علبطه وفي بعضها

ان عنده البهمی اعورون بعضا بالعکس کاتخاذه احیاء الموتی والمواشی وصورة الجنة والنار وتطویل یوم کسنة ویوم کشهر
ویوم کجمعة وقال بعض الشراح المراد من تطویل الیوم ازدحام الغموم وذلک یناسب لمقام لان الناس سالوا النبی ع م
وقالوا ایکفینا فیه صلوة الیوم وقال لا اقدروا له قدره یعنی صلوا فی مقدار کل یوم خمس صلوات وکان قوله ع م یوم کسنة
ویوم کشهر ویوم کجمعة مدل بظاهره علی ان المراد من التطویل التسویل بان لا یفهم الناس طلوع الشمس وغروبها
وظلمة اللیل واوقات الصلوة لا لازدحام الهموم نعم یمکن ان یقال اقدروا له لا ینافی ان لا یطول الیوم ولا یراد
علی مقداره ویکون التطویل عبارة عن ازدحام الهموم ویکون اختلافه فی التطویل فی الایام الثلثة باعتبار ان سورة الهموم
لا ینکسر باعتیاد النفوس لان الصدمة الاولی تکون اشد علی النفس من اللاحقة لکن ذلک بعید بالنسبة الی التسویل ویدل
علیه تخصیص السنة والشهر والجمعة وقوله اقدروا اعمد الی السر قال الامام محی السنة ومنه الایام الثلثة طویلة فی نفس الامر
علی المقدار المذکور یدل علیه قوله وسایر الایام کایامکم وقال القاضی ومن تبعه الصلوات کانت اکثر من خمسة فی تلک
الایام الثلثة الطویلة کامر صاحب الشرع قلنا ذلک لیس بمستبعد من قدرة الله تع وحکمته لکن کلامنا فی تاویل مناسب
فان الحمل علی التسویل اقرب الی العقل والتاویل من بعد السمس عن جریانها او عبادات الایام عن نفسها
لاهل الدجال وفتنته وقوله سایر الایام کایامکم وصورة الصلوة اکثر لا ینافی تطویل الایام باعتبار التسویل
کما فی نعل الآخر وقد عرفت ان احیاء الموتی من الناس والبهایم وحد الرجل بالمنشار نصفین ثم احیاه واظهار
صورة الجنة والنار تسویل وتمویه کما یفعل مثل ذلک اهل الشعوذة من ذبح الرجل ثم احیاته حیا وانبات
القثاء والورد فی حالة واحدة وغیر ذلک من التمویهات والانسب الی فهمک ان یحمل احوال عینیه علی التسویل
لما عرفت ان مکاثر الامثال یقرب المدعی الی القبول عند اهل العقول وحمل تطویل الیوم واحیاء المیت وایجاد
مثل الجنة والنار علی الحقیقة لا یصح عند العقل فی التوفیق لکن یسهل مرادا علی ان التاویل بحسب الاحتمال العقلی
سهل ومعرفة المانع عن ارادة الحقیقة والظاهر وان الفضل ورفعة المرتبة بتعیین التاویل المناسب من المحتملات
العقلیة فلینامل فی تاویلات المأولین وتاویل الفقیر واستنبط من بینها ما یلایم النظم والمقام وذلک
ایضا من العادات دقة الافهام ودلایل الفضل والرفعة بین الانام وقال تمیم الداری فی قصة رؤیة الدجال
فی جزیرة البحر لقینا دابة کثیرة الشعر لا ندری ما قبلها من دبرها لکثرة الشعر قلنا ما انت قال انا الجساسة
انطلقوا الی هذا الرجل بالدیر فانه مشتاق الی خبرکم وورد فاطمة بنت قیس ان تمیما الداری قال فاذا انا بامرأة
تجر شعرها قال ما انت قالت انا الجساسة اذهب الی ذلک القصر قال بعض الشراح یحتمل ان یکون للدجال جساستان
احدیهما دابة والاخری امرأة وان یکون شیطانا تمثل مرة فی صورة دابة ومرة فی صورة امرأة ویحتمل ان
سمی المرأة دابة لقوله تع ان شر الدواب عند الله الصم البکم الذین واعلم ان تمیما رجل نصرانی اسلم
واخبر رسول الله صلعم تلک القصة وما صدق الجساسة فی الجزیرة الامر مقصور باعتبار العالم فی صورة العموم
والکلیة اکتفاء بالقرینة العقلیة والنقلیة والحسیة وقوة حسبه هنا موجودة لو ونیک انت ورسولنا ع م الاقل
والاکثر لکن لما کان عمر امته ما لها مذا المقدار قال ذلک للتنبیه عن الغفلة وطول الامل اذ الغافل یشتغل
باسباب معیشته فی مقام یقدر اقامته فیه فلیتدبر مقدار مکثک فی الدنیا والآخرة واصرف عمرک فی تهیئة

اسبابه

اسماءهما بقدر ذلك **باب استحباب المال والعمر** قال النبي عم لا حسد الا في اثنين رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار ورجل آتاه الله المال فهو ينفق منه آناء الليل وآناء النهار فان قلت الحسد من الاخلاق المنهية المذمومة لانه عبارة عن زوال نعمة الله عن مخلوقه ووصولها اليه فان ذلك يؤدي الى عدم الرضا بحكم الله وتقديره ومحبة الدنيا قال بعض الشراح في جوابه المراد منه الغبطة فيكون من باب اطلاق الكل وارادة البعض او اطلاق الخاص وارادة العام او اطلاق المقيد وارادة المطلق بقرينة شرعية بقوله عم ان الحسد يأكل الحسنات ويحكى ان قوله تعالى المراد منه ان الحسد لو جاز لا ينبغي ان يوجد الا في اثنين فيكون المراد منه مدح الاشتغال بقراءة القرآن والصوم على سبيل المواظبة والتحريض عليهما فيفهم منه مشروعية استحباب المال لاجل الخير فهذا تاويل مناسب لايراد المؤلف هذا الحديث في باب استحباب المال فان قلت لم لا يجوز ان يكون الحسد في الاثنين جائزا كما جاز الكذب في الاحوال الثلثة قلنا لا يجوز لعدم اشتمال الحسد مصلحة رافعة قبحه كما في الكذب لان المؤمن يجب ان يحب لغيره ما يحب لنفسه فتامل وبقي فيه شيء آخر وهو ان حصر الحسد على الاثنين على سبيل المجاز والوصف يدل على انهما افضل الاعمال وليس كذلك لما عرفت ان افضل الاعمال الفريضة الصلوة قلنا عرفت مرارا ان جهات التفضيل كثيرة متغايرة وارادة مطلقا للمبالغة والتحريض فقلنا هنا المداومة على القرآن يدل على العمل به فيؤدي ذلك الى توفية وظائف جميع الطاعات وكذا المواظبة على انفاق المال على الفقراء يدل على غلبة محبة الله تع واختيارها على محبة الدنيا فيدل ذلك على اداء مواجب ساير العبادات ولك ان تقول سبب تخصيص الاثنين وتفضيلهما ضمنا على باقي الاعمال لاقتضاء المقام والاحوال والمراد من الحديث التحريض على فعل الاثنين ومدحهما كما تقول في مدح النفيسين ليس مثلهما في الدنيا والآخرة لا ينبغي ان يقصد الانسان الا تحصيلهما فانه يكفيان لكل احد منه في المهمات مع انك تعرف انهما ليسا كذلك وتعرف ان المراد مدحهما على وجه المبالغة فيكون المراد من ذلك الكلام لازمه والظاهر باعتبار العرف ان المراد من قوله يقوم به آناء الليل والنهار الصلوة مع يجري على ظاهره لكن لا بد من قرينة مانعة لاخراج عن ظاهره بما ذكر قال النبي عم ثلث اقسم عليهن واحدثكم حديثا فاحفظوه فاما الذي اقسم عليهن فانه ما نقص مال عبد من صدقة ولا ظلم عبد مظلمة فصبر عليها الا زاده الله بها عزا ولا فتح باب مسئلة الا فتح الله عليه باب فقر واما الذي احدثكم فاحفظوه فقال انما الدنيا لاربعة نفر عبد رزقه الله علما ومالا فهو يتقي فيه ربه ويصل رحمه ويعمل لحقه فهذا افضل المنازل وعبد لم يرزقه الله مالا علما ولم يرزقه مالا فهو صادق النية يقول لو ان لي مالا لعملت بعمل فلان فاجرهما سواء وعبد رزقه الله مالا ولا علما فيقول لو ان لي مالا لعملت فيه بعمل فلان فهو بنيته ووزرهما سواء فان قلت الصدقة عين بعض المال فكيف السهم على عدمه وفتح باب المسئلة قد يؤدي الى فتح باب الغنى فكيف اقسم النبي عم على انه سبب لفتح باب الفقر وحصر الابتلاء بالدنيا على اربعة نفر مع ان كل عام في كل ان قلنا قد عرفت ان الكلام اذا امتنع اجراؤه على ظاهره واقتضى حمله على المعنى المجازي ينبغي ان يأول به وان ذلك الكلام قد يكون محتملا للمعاني المتعددة المجازية وان الفصل في تعيين مناسب المقام

لم يرزقه علما فهو يخبط في ماله بغير علم لا يتقي فيه ربه ولا يصل فيه رحمه ولا يعمل فيه بحق فهذا اخبث المنازل وعبد لم يرزقه مالا ولا علما

فنقول المراد سانع النقص المعنوى لا الصورى والصدقة لا تنقص المال في الحقيقة لان تبديل القليل بالكثير
مثل ان يبذل احد درهما لشراء سلعة مقدار قيمتها الف دينار هل تكون نقصا للمال او تكثيرا وتكميله فان الله يعطى
المتصدق بقليل فانٍ من نعيم الجنة بحيث لا نهاية لنفاسته وكماله فلا تنقص صدقته شيئا من ماله بل يزيد تضاعفا لا نهاية
له او نقول الصدقة تعطى المال بركة وتحفظه عن الحوادث فتكون سبب الزيادة المعنوية وبعض الشراح لم يبلغ اليه فهمه
او لم يلتفت اليه فقال الاستثناء مصروف الى الكلامين فيكون خاصة الصدقة زيادة العز والاول ادق وابلغ
ان يفكر شيء منه نفهم ذلك والمراد من الفقر فقر القلب لما عرفت ان الاعتياد بالسوال وطلب الدنيا يورث الطالب حرصا
فلا يشبع قلبه وان حصل اموالا كثيرة بحيث يبلغ اضعاف مال المتصدق ويحتمل فقد ان يقال هذا باعتبار العقاب
او المراد منه النهي عن السوال بوجه اكيد فان قلت السوال عند الحاجة مباح بل واجب فكيف قال ولا فتح باب سؤال
على الاطلاق قلنا قد عرفت معنى حديث آخر فقال المراد فتح باب طلب الدنيا من غير احتياج والمراد من حصل
الدنيا لاربعة باعتبار مقارنة العلم وعدمه فينحصر على الاربعة لكن ذكر من امور الدنيا الا المال لانه عمدتها واغلبها
اذ الدنيا اما ظاهرة كالاموال من الصوامت والنواطق او باطنة كاسبابها والاوصاف المذمومة الناشئة من محبتها
فالمال اعمها ضررا وابتلاء لما عرفت ان الخبر ليس كالعيان وذلك ايضا مقبول بالوجدان فان قلت سلمنا ان الانحصار
باعتبار مقارنتهما وعدمها لا يزيد على الاربعة لكن اعتبر فيه العمل بمقتضى العلم والمال فيزيد عليها بذلك الاعتبار
لان العبد اذا حصل له العلم والمال اما ان يعمل بمقتضاهما بان يشتغل بالطاعات والصدقات او لا يعمل بمقتضاهما
او يعمل بمقتضى احدهما دون الآخر فهذه اربعة اقسام وله اقسام اربعة اخرى بان يحصل العلم فعمل بمقتضاه او لم يعمل
ويحصل له المال دون العلم فعمل بمقتضاه او لم يعمل فما فائدة ذكر الاربعة وترك الاربعة الاخرى اذ ذكر عبدا رزق
علما وعمل بمقتضاه ولم يذكر عدم عمله بمقتضاه وذكر عبدا رزق مالا ولم يرزق علما ولم يعمل بمقتضى المال
ولم يذكر عمله بمقتضاه وذكر عبدا لم يرزق مالا ولا علما وهذا الوزر بسبب المال ولم يذكر عدم فصله بانه
ثم ترك اربعة اقسام قلنا فيه نكتة وفائدة خفية وهي جعل العلم مستلزما لمقتضاه وجعله بمنزلة المعدوم
عند عدم استلزامه وبيانه ان العمل لا يتصور بدون العلم ويلزم منه ذلك الاعتبار ان لا يذكر الاقسام المتروكة
وانبه على ذلك بنظائر تلك وقوله وزرهما سواء يدل على ان العزم وتصميم القلب على معصية بمنزلة فعله
ويدل عليه قوله تع ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسئولا وقوله تع ان تبدوا ما في انفسكم
او تخفوه يحاسبكم به الله فيكون هذا الحديث مخصصا لقوله عم ان الله تجاوز عن امتي ما وسوست به صدورها ما لم
مما يدل على ان العبد لا يعاقب لتصور المعاصي اذا لم يعمل ويحتمل ان يراد من القول القول الانساني فحينئذ
لا ينافي حديث الوسوسة لان القول الانساني عمل ظاهر ويجوز التأويل فيهما بالنسخ اذا ثبت التاريخ
والترجيح فان قلت انما يصح الحصر باعتبار مقارنة ما ذكرت من النكتة فنقول لم يعتبر في التقسيم
مقارنة العبادة مع العلم مع ان الناس مخلوقون للعبادة والدنيا سبب معيشتهم ويحصل قوتهم للعبادة
ولذا قال الله تع وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وقال كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا
لله ان كنتم اياه تعبدون قلنا قد عرفت ان المراد من العلم العلم المقارن بالعمل لان غير المقارن به

بمنزلة المعدوم وعدم تصريح ذكرا لعله لبيان فضيلة العلم واستلزامه له وان الدنيا لا تضر مع العلم لان الدنيا
كالسم والعلم كالترياق فتنبه على ذلك كله ولعل فيه حكما اخرى لا تبلغ اليها فهمنا لما عرفت ان نبينا افضل
البلغاء واكمل الخطباء يعبر في كلامه بدقايق اذعان وزمرة الفصحاء **باب الصبر والتوكل**
قال النبي عم الزهادة في الدنيا ليست بتحريم الحلال ولا اضاعة المال ولكن الزهادة في الدنيا ان لا تكون بما في يدك
اوثق مما في يد الله وان تكون في ثواب المصيبة اذا انت اصبت بها ارغب فيها لو انها ابقيت لك فان قلت
حقيقة الزهد في الشريعة الاعراض عن الدنيا والاستكراه لمحبتها وكون اعتماد المرء على ما قدر له اوثق من اعتماده
على ما في يده وكونه ارغب في وصول المصيبة من عدم وصولها او تاخرها ليس من معنى الزهد في شيء كان الاول
من امارة التوكل والثاني من امارة الصبر فما توجيه الحديث وتاويله قلت قد ثبت في مواضع كثيرة ان رسول الله عم
يدور رعاية مقتضيات المقام واعتبارات الكلام واحوالها كما ان الطبيب الحاذق يراعي احوال المرضى وعيشتهم و
امراضهم وامزجتهم في المعالجة فربما يخاطب عموم فصحاء الانام فيورد فيه دقايق الكلام لاقتضاء المقام
وربما يخاطب اصناف العوام فيصرح بالمراد والمرام ولما اشتمل الحديث المذكور بعض الدقايق علمت
منه ان المخاطب فيه من اهل الكاس فيجوز ان يصاغ الكلام على خلاف الظاهر لان الادق والابلغ في فنون
الزهد عبارة عن الاعراض عن محبة الدنيا ولا يتصور تفصيل هذا الكلام وتحقيقه بدون تحصيل الدنيا
فاعلم ان المراد من الدنيا عند اهل المعرفة ما هو قاصد نفسك حظها منه وحظوظ النفس كثيرة كشهيات
الماكل والمشارب والملابس والمساكن والمناكح والمراكب وكذا اسبابها وسايلها من انواع الحرف
والاشغال الموصلة اليها كالتجارة وخدمة اهل الدنيا ومن الذهب والفضة والضياع والعقار والحدايق
والمزارع والبساتين وكذا صحة البدن وتكاثر المال والاولاد والاتباع والتنعم بها والفرح والبطالة
والمدح والعلم والرياسة والعزة وحب المدح وكراهة العيب وغير ذلك من حظوظ النفس الامارة
والى بعض ذلك اشار الملك الكريم في كلامه القديم كما قال تع زين للناس حب الشهوات من النساء
والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث ذلك متاع الحيوة
الدنيا وقال تع انما الحيوة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال والاولاد وقال تع
قل ان كان اباؤكم وابناؤكم وازواجكم وعشيرتكم واموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها
ومساكن ترضونها احب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى ياتي الله بامره واذا
عرفت ان الزهد عبارة عن اعراض القلب عن محبة الدنيا وطلبها وعرفت ايضا بعض تفاصيل الدنيا
فافهم ايضا ان ترك المومن اعتماده عما في الدنيا وقطع محبته عنه وتصميم عزمه واعتماده على ما في تقدير الله
من اسباب المعيشة امارة الاعراض عن محبة الدنيا وايضا رغبته في وصول المصيبة الى ماله او في بدنه امارة
عدم محبة الدنيا في قلبه لما عرفت ان صحة البدن والمال من الدنيا والرغبة في زوالها من اعظم امارات الزهد
وان خصصت المصيبة بزوال الدنيا باعتبار المقام لا يبعد عن الصواب بل يكون اظهر في الجواب وقد عرفت
ان الشيء الواحد يجوز ان يكون له جهات واعتبارات مختلفة وكون المرء اوثق بما في قدرة الله مما في يده

من امارات التوكل وكونه ارعب في مصيبه واصله من امارات الصبر لا ينافي ان يكونا من امارات الزهد باعتبار اخر
فان قلت امارات الزهد ودلالة بعض المذكورات عليها ظاهرة فما وجه ذكر الامارتين حصين وترك
الباقية وقد قلت ان البليغ يراعي النكتة في التخصيصات المذكورة كما في الحصر ته قلنا المخصص اقتضاء حال المخاطب
او المقام وينادي بذلك قوله ليس بتحريم الحلال ولا اضاعة المال فتامل بالدقة وتطلع على النكتة فان سوق الكلام
يدل على ان الرسول عم قال هذا الكلام لشخص او لقوم يزعمون ان الزهد عبارة عن الامتناع عن المشروعات
كتنزه المباحة وتفريق ما في يديهم مما يحتاج اليه ويكون ذكر التحريم والاضاعة للتغليظ فكانه قال لهم الزهد
ليس عبارة ومقام الحسن عما يزعمون بل هو عبارة عن ترك تعلق قلوبكم بما في ايديكم لا عن بعدها وعن عدم
النادى بزوالها فيكون التخصيص للوصف للملتويف الزهد مطلقا محسن سني الزهد بالامارتين المذكورتين
بالنسبة الى ولئك القوم او الى مخاطب مخصوص ومقام السبين يقتضي ذكرا لهما

باب الرياء والسمعة

قال بحسب امرء من الشر ان يشار اليه بالاصابع في دين او دنيا الا من عصمه الله فان قلت كثير من الاولياء
والانبياء اشتهروا كثر ملوك الدنيا بشهرتهم وصيتهم فكيف يكون الشهرة شرا مطلقا قال بعض الشراح الشهرة
المذمومة هي التي يتكلف فيها لا الشهرة التي حصلت بتشهير الله تع قلنا هذا توجيه حسن لان العزة والشهرة
من البشرى العاجلة للمؤمنين والقبح في قصرهم اليهما فالاولى ان يقال المرسلون يخرجون من هذا الحكم
اذ لا بد من تحصيل العزة والشهرة باظهار المعجزة لتمام التبليغ واتباع الامة فيكون طلب الشهرة والرياسة
شرا ومذموما لغير المرسلين اذ لا يقدر على حفظ نفسه بها وترك العجب والكبر فيها الا الصديقون الاقوياء
ويهلك فيها الجاهلون والضعفاء انما قال في دين او دنيا لبيان ان حب الرياسة مذموم سواء كان بسبب الاموال
والمال او بسبب الاعمال لان جعل العلم والعبادة وسيلة الى الرياسة واستمالة قلوب الناس وتحصيل تعظيمهم
وحطامهم اقبح من جعل الدنيا وسيلة اليها فالمراد من الحديث صعوبة الاحتراز عن افات الشهرة والتحريض
على الخمول وترك اسباب الرياسة سوى العلم والعبادة ووجوب الاحتناب فيهما عن الميل الى تحصيل
الشهرة

باب البكاء والخوف

قال النبي عم لا يلج النار من بكى من خشية الله حتى يعود اللبن في الضرع
فان قلت مجرد البكاء عن الخشية لا يمنع الولوج في النار ويجوز ان يعمل الباكي معصية موجبة دخول النار
باعتبار الوعيد كما ان كثيرا من الناس يبكون عند استماع الوعظ لرقة قلوبهم ثم يعملون كثيرا من المعاصي
بعد خروجهم عن مجلس الوعظ نقول معناه ان الباكي لا يلج النار ما لم يعمل عملا موجبا دخول النار
باعتبار الوعيد عليه بدخول النار وامتناع خلف الوعيد به على الاصح او نقول البكاء يدل على رقة القلب
واستيلاء الخوف والخشية على القلب فذلك يؤدي غالبا الى ترك المعاصي والمواظبة على عبادة الله
او المراد منه لازمه وهو التحريض على البكاء والخشية بتحصيل اسبابهما من مطالعة القوارع والزواجر وسماعها
لما عرفت ان للايمان جناحين الخوف والرجاء واذا ارتحل الخوف من القلب وكذا اذا انقطع الرجاء
من القلب يخرب ويفسد لانه يصير بسبب الضيق رحمة الله فيجب على المؤمن ان يحترز عن الافراط والتفريط
في الخوف والرجاء فان كان العبد مستغرقا في الطاعة يجب عليه ان لا يقع في رجاء لغا لا من بل يخاف

من

من عدم قبول طاعته وقصوره في اداء العبادة اللايقة بعظمة الله وقد عرفت كثرة شرايط القبول من تحلية النفس
عن الاخلاق المذمومة والاحتراز عن العوايق والعوارض والقوادح فلا تامن عن القصور في تحصيل
بعضها لغاية صعوبة رعاية كلها ويدل على ما ذكرنا ان عايشة رضي الله عنها سألت رسول الله عن قوله تعالى
الذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة وقالت اهم الذين يشربون الخمر ويسرقون قال عم لا يا ابنة الصديق
ولكنهم الذين يصلون ويصومون وهم يخافون ان لا يقبل منهم اولئك الذين يسارعون في الخيرات وكذا
يجب عليه ان لا يقطع رجاءه عن غلبة رحمة الله وشمول كرمه وعنايته ويشتغل بالتوبة والندامة
على معصية الله تع وان كان مصرا على الذنب والمخالفة عن ابي هريرة رض قال لما نزلت وانذر عشيرتك
الاقربين صعد على الصفا فانذر قريشا عموما وخصوصا حتى قال يا معشر قريش اشتروا انفسكم لا اغني
عنكم من الله شيئا يا عباس بن عبد المطلب لا اغني عنكم من الله شيئا ويا صفية عمة رسول الله لا اغني
عنكم من الله شيئا ويا فاطمة بنت محمد سليني ما شئت من مالي لا اغني عنكم من الله شيئا فان قلت
قد اخبر النبي عم عن شفاعته لامته لانجائهم من العذاب وقبول شفاعتهم في حقهم فكيف لا يشفع لاقاربه
وازواجه وبناته فانه نفى شفاعته في حقهم على وجه المبالغة بقوله لا اغني عنكم من الله شيئا قلنا اخباره
بشفاعته في حق امته قرينة لتأويل نفي الشفاعة عن ازواجه واقاربه واخراجه عن ظاهره او بعيد كما عرفت
مرارا امثال ذلك فالمعنى لا اغني عنكم من الله شيئا من قبلي نفسي بدون اذن ربي كما قال الله تع ولا يشفعون
الا لمن ارتضى وقال تع من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه وتحقيق ذلك ان سبب الشفاعة وجود المناسبة
في المشفوع له والاذن منوط بذلك ولذا منع رسول الله عم عن الشفاعة في بعض امته مع انه قال
اصحابي اصحابي سيجيء زيادة التحقيق في باب الشفاعة فان قلت لم اطلق نفي الاغناء مع انه مقيد
في نفس الامر قلنا المعنى قد يفهم من المنطوق وقد يفهم من المعقول بواسطة قرينة فان قلت اذا فهم التقييد
فما الفايدة من صورة الاطلاق قلت اهل الذوق واللسان وارباب البلاغة والبيان يفهمون من صورة
النظام مبالغة وان كان المراد خلافه فان ترك الحقيقة والظاهرات والذهاب الى المجاز المرسل والاستعارات
وتصوير المعقولات بالمحسوسات لاجل النكات والمبالغات فلا بد لنا من ايراد بعض الشواهد والامثلة
حتى يتقرر في فهمك بعض الفوايد والنكات فاعلم ان الله تبارك وتع اضاف ابتلاء الى نفسه في كثير من المواضع
كقوله تع خلق الموت والحيوة ليبلوكم ايكم احسن عملا وقوله تع ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع وقوله تع
ان الله مبتليكم بنهر مع ان حقيقته لا يتصور في ذات الله تع ويراد منه المعنى المجازي ويحتمل ان يراد منه
التمثيل او تشبيه فعل الله بفعل المبتلي وان يراد منه المجاز المرسل بان يراد منه بيان اختيار العبد
في المامور به والمنهي عنه او ظهورهما بسبب وجه لان كلاهما من توابع الابتلاء ومباديه وكقوله تع والارض
جميعا قبضته والسموات مطويات بيمينه وقوله تع واصنع الفلك باعيننا وقوله تع قالوا يا حسرتنا على ما فرطت
في جنب الله وان تعرف ان كل ذلك لا يجوز ان يجري على ظواهرها وان المراد منها معانيها المجازية بان
يكون المراد من كون الارض مقبوضة والسموات مطوية بيمينه سرعة التصرف فيها وسهولته ومن العين حفظ

ورعايته ورأفته لأن العين سببها ومن المنتجات وحقه وغير ذلك من التأويلات الملائمة فإن قلت إذا فهم منها المعاني المجازية فما الفائدة في إيراد الكلام في الصورة المحتملة لوجه شتى مع أن إلماً وبلين كثيراً ما يغلطون في تعيين المراد قلنا قد عرفت فوايد المجاز من المبالغة وإن المأول يوجر وإن غلط وإذا اجتمع شرائط التأويل فإن أردت تكرار السماع والموقف فيعرف بعض الفوائد المجازية في الآيات المذكورة والحديث المذكور أن المبالغة المفهومة من لفظ الابتلاء مما فهم من المعنى المطابقي لأن الابتلاء يدل على ترتيب المجازاة على فعله خيراً كان أو شراً ويفهم من سهولة التصرف من كون السماء والأرض في القبضة بحيث لا يفهم ذلك إذا عبر بلفظ يدل عليه بالمطابقة بأن يقول مثلاً تصرف الله تعالى في السموات والأرضين شديد سهل ويفهم المبالغة في الحفظ من قوله تجري بأعيننا بخلاف قوله بحفظنا ويفهم زيادة اختصاص التفريط في حق الله من قوله في جنب الله بالنسبة إلى إبهامها من حق الله ويفهم شدة أهوال القيامة والتحريض على السعي والتعب على تحصيل طاعات المنجية منها من قوله لا أغنى من الله شيئاً أصلاً ما لا يفهم مثله من قوله لا أغني من عذاب الله من غير إذنه أو بدون تحصيل مثلاً سبب الشفاعة وسببها لأن نفي الإغناء بالكلية أبلغ من نفي الإغناء المقيد وإن علم أن المراد هو المقيد وخلاف الظاهر وذلك معلوم بالذوق والوجدان فإنك إذا غضبت على أحد وأردت بيان شدة غضبك وقصدك إلى إيذائه على وجه المبالغة تقول والله أقوم فأقتلك وإذا أردت المبالغة في نفي المروة تقول والله أنت لست بإنسان وصاحبك تعرف أن مرادك من ذلك الكلام إظهار شدة سخطك وذلك ولا يفهم تلك المبالغة لو قلت أقوم وأذيك إيذاء شديداً أو ليس لك مروة قطعاً وأيضاً تقول لمن أردت أن يدعو له على وجه الاهتمام والإتمام أعانك الله وأسعدك الله بصيغة الماضي مع أنك تريد حصول العون والسعادة له في الاستقبال وصاحبك يعرف ذلك أيضاً ويفهم منه اهتمامك ومبالغتك في الدعاء لا يراده بصورة الماضي وإنك لا تريد الإخبار لحصول العون والسعادة له في الماضي لأن مقام المدح والدعاء يأبى عن ذلك **باب الفتن** عن حذيفة قال قلت يا رسول الله أيكون بعد هذا الخير شر كما كان قبله شر قال نعم قال قلت فما العصمة قال السيف قلت وهل بعد السيف بقية قال نعم تكون إمارة على أقذاء وهدنة على دخن قلت ثم ماذا قال ثم ينشأ دعاة الضلال فإن كان لله في الأرض خليفة جلد ظهرك وأخذ مالك فأطعه وإلا فمت وأنت عاض على جذل شجرة قلت ثم ماذا قال ثم يخرج الدجال بعد ذلك معه نهر ونار قلت ثم ماذا قال ثم ينتج المهر فلا يركب حتى تقوم الساعة فإن قلت قد فهم من أول الحديث أن العصمة في أيام الفتنة ضرب السيف وفهم من آخره ترك ضرب السيف والإطاعة وفهم أيضاً من أحاديث أخرى أن لا بد في أيام الفتنة من ملازمة البيوت وترك القتال وإطاعة الأمير وإن ظلم الناس وأخذ أموالهم كما قال النبي عليه السلام يكون بعدي أئمة لا يهتدون بهداي ولا يستنون بسنتي وسيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان إنس قال حذيفة قلت كيف أصنع يا رسول الله إن أدركت ذلك قال تسمع وتطيع الأمير وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك وقال من كان له إبل فليلحق بإبله ومن كان له غنم فليلحق بغنمه ومن كان له أرض فليلحق بأرضه فقال رجل يا رسول الله أرأيت من لم يكن له إبل ولا غنم ولا أرض قال يعمد إلى سيفه فيدق على حده بحجر ثم لينج

باب الفتن

ان اكر

ان اكرهت حتى ينطلق بي رجل الى احد الصفين فضربني رجل بسيفه او يجي سهم فيقتلني قال يبوء باثمه واثمك فيكون من اصحاب النار

فيلزم منه التعارض وقال في حديث اخر في حق المقاتلين من امته القاتل والمقتول في النار فيلزم منه تدافع اخر قلنا

قد عرفت ان لا تناقض ولا تعارض في كلام الشارع على سبيل التحقيق وما يتوهم من التدافع بحسب الظاهر بحث الالكي

ان يمنع ويصحح كلام الشارع بوجه من الوجوه المذكورة في بيان طريق الترجيح والتوفيق فذلك ان مقصود

منا جواز ضرب السيف من جهة ان يعلم ان احد الصفين صائل واجب الدفع والقتل ولا يؤدي مقاتلته الى امر

اعظم وامر اقبح من المقاتلة كضرب السيف في المتمردين والباغين واهل الغارات والنهب وقطاع الطريق

ووجوب الامتناع عن القتال اذا علم ان القتل والدفع لا يقدر عليهما فيؤدي ذلك الى فساد اعظم واشنع لامر

ولا يعلم يقينا بطلان مخاصمة احد الفئتين كما في محاربة معاوية مع علي فان كثيرا من الصحابة والعلماء اتبعوا

معاوية لظنهم انه مستحق للخلافة ومحاربته على وجه الشريعة لانه عالم وقريش ويوردون دلايل على صحة خلافته

ومحاربته ولا يعتذرون على دفعها وتاويلها والى مثل تلك الواقعة اشار النبي عم بقوله لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان

عظيمتان تكون بينهما مقتلة عظيمة دعواهما واحدة وقال اللسان فيها اشد من وقع السيف يعني تطويل اللسان

في احد الفئتين وسبهم وغيبتهم اثم لانهم يشرعون القتل بظاهر دليل شرعي كما ان المعتزلي يخالف بل يكون مستدلا

بظاهر الايات والاحاديث ويخالفنا في كثير من الاوامر الشرعية الاعتقادية والعملية لزعمه ان التدين والتورع

في ذلك ونحن لا نكفره ولا نعطله لشبهة استدلاله بالنصوص الشرعية المحتملة للمعاني المتعددة ويحتمل القاتل والمقتول

في النار اذا قصد كل واحد قتل صاحبه على وجه التعصب والوجه الظاهر البطلان وقوله تبوء باثمي واثمك

اذا لم يقصد المقتول قتل صاحبه او قصد لقتله بدليل يجوز قتله في الظاهر والاخر قصد قتله بوجه ظاهر بطلانه

او بغير وجه ودليل سوى الظلم والتعصب فيرجع باثمه واثم صاحبه لما عرفت ان صاحبه مظلوم فيطرح اثم المظلوم

على الظالم ان يعاقب باثمه ويجوز ان يراد من اثم المظلوم اثم المجيء الى المقاتلة لان العزيمة في الاكراه على المقاتلة

الغير الناقضة الصبر والامتناع والرخصة بالنسبة الى العزيمة عند اهل القلوب والمقربين قال بعض الشراح معناه

ويحتمل اثمك المتقدم لو قتلته او اثمك ان تبوء على قتله اياك

باب اشراط الساعة

قال النبي عليه السلام اذا اتخذ الفيء دولا والامانة مغنما والزكوة مغرما وتعلم لغير الدين واطاع الرجل امراته وعق امه وادنى صديقه

واقصى اباه وظهرت الاصوات في المساجد وساد القبيلة فاسقهم وكان زعيم القوم ارذلهم واكرم الرجل

مخافة شره وظهرت القينات والمعازف وشربت الخمور ولعن اخر هذه الامة اولها فارتقبوا عند ذلك ريحا حمراء

وزلزلة وخسفا ومسخا وقذفا وايات تتابع كنظام قطع سلكه فتتابع وروي علي رضي عن النبي عم انه قال

اذا فعلت امتي خمس عشرة خصلة حل بها البلاء وعد من الخصال لم يذكر تعلم لغير الدين وروي ابن مسعود عن النبي عم

انه قال لا تذهب الدنيا حتى يملك العرب رجل من اهل بيتي يواطئ اسمه اسمي واسم ابيه اسم ابي عن ام سلمة سمعت

رسول الله قال المهدي من عترتي من اولاد فاطمة قال ابو سعيد الخدري قال عم المهدي مني اجلى الجبهة اقنى الانف

يملأ الارض قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا يملك سبع سنين فيعطي رجلا ما لا يستطيع ان يحمله قال عوف

بن مالك قال النبي عم اعدد ستا بين يدي الساعة موتي ثم فتح بيت المقدس ثم موتان ياخذ فيكم كعقاص الغنم

ثم استفاضة المال حتى يعطى الرجل مائة دينار فيظل ساخطا ثم فتنة لا يبقى بيت من العرب الا دخلته ثم هدنة تكون بينكم
وبين بني الاصفر فيغدرون فيأتونكم تحت ثمانين غاية تحت كل غاية اثنا عشر الفا وقال لا تقوم الساعة
حتى تروا عشرا فذكر الدجال والدابة وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى بن مريم ويأجوج ومأجوج وثلثة
خسوف بالمشرق والمغرب وجزيرة العرب ونار تخرج من اليمن وتطرد الناس الى محشرهم وفي رواية تخرج
من قعر عدن وفي رواية العاشر ريح تلقي الناس في البحر فكيف التوفيق بين تلك الاحاديث يعني جعل النبي عم علامات
القيمة في بعض المواضع واحدا وفي بعضها ستا وفي بعضها خمسة عشر وفي بعضها عشرا قلنا قد عرفت
جواب امثاله في القواعد المذكورة قبيل هذا فقل الاقل داخل في الاكثر وتخصيص بعض العدد ببعض
المواضع لاقتضاء المقام ذلك ويمكن ان يقال ذكر كل عدد باعتبار الالهام او بخبر جبرئيل عم بان الله او اخبر
في بعض الوقت بمقدار فاخبر به وفي بعضه مقدارا اكثر منه فاخبر به او المراد من اشراط الساعة علامات قربها
بالنسبة الى ما تقدم من الامارات وكل واحد من الاعداد المذكورة يصلح ان يكون دليل القرب بالنسبة الى الازمنة
المتقدمة على الماضية كما اشار النبي عم الى ذلك بقوله انا والساعة كهاتين واشار باصبعيه واذا عرفت الاحتمالات
المذكورة فافهم ان التوجيه الاول ادق واشمل ونظير هذا ما قال النبي عم في بيان اصناف اهل الجنة واصحاب
النار اعداد مختلفة اذ قال في بعض المواضع اهل الجنة ثلثة وفي بعضها ستة وفي بعضها خمسة وفي بعضها اربعة وكذا
في اهل النار وقال في موضع ستة لا يكلمهم الله وفي موضع اربعة لا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم وفي موضع ثلثة والتخصيصات
المذكورة في المواضع المذكورة لاقتضاء المقام ذلك لكون السامعين مهملين ومضيعين تلك العبادات او مواظبين
او كونها مهمة لهم بالنسبة الى غيرها او كون تلك العبادات اقوى الاسباب وافضلها ولكون السامعين او اهل
ذلك الموضع معتادين في تلك المعاصي ومعتادين بها او كون اثمها عظيما وقلوب الناس اليها مائل وغير ذلك
من مقتضيات المقام التي سمعت بعض تفاصيلها وقد عرفت ان الملحوظ في صوغ الكلام قد تكون بلغاء الانام
ومعرفة دقائق المرام ولا يلتفت فيه الى اضطراب الانام قليلة الافهام قال النبي عم في حق الدجال انه اعور
عين اليمنى كان عينيه عنبة طافية وقال فيه ايضا اعور عين اليسرى جفال الشعر معه جنة ونار فناره جنة
وجنته نار ويلبث في الارض اربعين يوما يوم كسنة ويوم كشهر ويوم كجمعة وسائر ايامه كايامكم وينزل
عيسى عم فيدركه بباب لد فيقتله ويمكث في الارض سبع سنين وقال فيه ايضا الدجال رجل قصير افحج اعور
مطموس العين ليست بناتئة ولا حجراء فكيف التوفيق في اختلاف اوصاف الدجال قلنا قال الامام الفاضل
التوربشتي في توفيق تلك الاحاديث المختلفة الاحاديث التي وردت في وصف الدجال وما يكون منه كلمات
متنافرة يشكل التوفيق بينها ونحن نسأل الله التوفيق في التوفيق قال في حديث ان عينه طافية وفي حديث
اخر جاحظ العين كانها كوكب وفي حديث اخر انها ليست بناتئة ولا حجراء وفي حديث اخر انه اعور عين
اليمنى وفي حديث حذيفة انه ممسوح العين عليها ظفرة غليظة وفي حديث انه اعور عين اليسرى والسبيل
في التوفيق ان يقال اختلاف الوصفين بحسب اختلاف العينين فان احدى عينيه ذاهبة والاخرى معيبة
فيصح ان يقال لكل واحدة عوراء لان الاصل في العور العيب وذكر نحو هذا التوجيه الشيخ محي الدين

الدخان وصح

ستة صح

قلنا

قلنا توجيه الشيخين لدفع بعض التدافع الناشي من وصف عينه ونفي بعض التدافع فيهما فالانسب ان يقال
الاختلاف في وصف نفسه وعينه باعتبار الاوقات المختلفة او باعتبار اقدار الله تع اياه على التسويلات
لابتلاء الناس لما عرفت ان الاقدار على خوارق العادات قد يكون للاستدراج والدلالة كما يكون للكرامة والمعجزة
وبعض فوايد تسويله ثم انه لا ينخدع الناس بها اذ لو اقتصر في بيانه على بعض افعاله واوصافه واحواله وربما
يشكل الراي فيه عند رؤيته بعض اوصافه وافعاله الذي لم يبين فزعم انه غير الدجال فعلى هذا يجوز ان يحتمل الناس
في بعض الاوقات عينه اليمنى نابية وطافية وعينه اليسرى ممسوحة او عاير وتارة بالعكس ويحتمل الناس
ايضا في بعض الاوقات ان عينيه ممسوحة وفي بعض الاوقات ان عينيها لا نابية ولا جحراء التكليفية فكيف يسأل
عنها يوم القيمة قلنا المراد من السوال عنها السوال عن شكرهما اذ قد عرفت ان كل عضو وقوة من جسمك
مخلوق لعبادة مخصوصة كما ان قلبك مخلوق للتفكر في عظمة الله وكمال صفاته وعجايب مصنوعاته ولسانك
لذكره وتلاوة كلامه والتعليم وغير ذلك من العبادات القولية وكذلك عينك ونورها واذنك وسمعها
لان بعض العبادات يحصل من المبصرات وبعضه من المسموعات وقس الباقي عليها وعرفت ايضا ان
صرف الاعضاء وقوتها الى العبادة لاسيما الشكر ولذا كان الصحة ايضا من النعم ولذا قال النبي عم
اغتنم صحتك قبل سقمك وقال نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ والماء البارد ايضا من
اجل النعم لشدة الاحتياج اليها ولذا قال تع ومن الماء كل شيء حي فان الانسان لا يصبر على العطش يوما
ويصبر على ترك اكل الاطعمة اياما وعلى ساير الثلثة ايضا ولا يعرف نعم الماء البارد الا من ابتلي بالطهارة الحارة
والبيداء والمراد منه قوله عم اول ما يسال من النعم بيان ان الصحة والماء البارد داخل النعماء لما عرفت
ان التقدم للاهتمام والتعظيم فيسأل المكلف عن شكرهما اولا **باب فضل الفقراء** الفقراء
ما كان من عيش النبي عم قال النبي عم ابشروا يا معشر صعاليك المهاجرين بالنور التام يوم القيمة يدخلون
الجنة قبل اغنياء الناس بنصف يوم وذلك خمسمائة سنة اغنياء غير المهاجرين بان يكون اللام للجنس او للعهد
والمراد من الاغنياء في اربعين اغنياء المهاجرين بان يكون للعهد تقديره يسبقون اغنياءهم او نقول ذكر العدد
لا يدل على نفي الزيادة فالاختصار يعم الاتمام والزيادة والنقصان لاقتضاء المقام والدليل على ان المراد من الاغنياء
اغنياؤهم ما قال النبي عم اللهم احيني مسكينا وامتني مسكينا واحشرني في زمرة المساكين فقالت عايشة
لم يا رسول الله قال انهم يدخلون الجنة قبل اغنيائهم باربعين خريفا والظاهر ان المساكين مساكين المهاجرين
الذين هم اهل الصفة لا مطلق المساكين لا نفهم منه ان اغنياءهم يدخلون الجنة قبل اغنياء ساير الناس
لفضلهم على ساير الاغنياء كفضل فقرائهم على فقراء غيرهم ويدل عليه ايضا ما روي ان رسول الله عم وصعاليك
المهاجرين لزيادة شرفهم عن عبد الله بن مغفل قال جاء رجل الى رسول الله فقال اني احبك قال انظر
ما تقول فقال والله اني لاحبك ثلث مرات قال ان كنت صادقا فاعد للفقر تجفافا للفقر اسرع الى من يحبني
من السيل الى منتهاه فان قلت كثيرا من احباء رسول الله لم يسرع اليهم الفقر قلنا لعل ذلك باعتبار
الغالب او يتخلف لمانع من دخول مقتضيات الغنى كما قال الملكان اللهم اعط منفقا خلفا او قال ذلك

باب فضل الفقراء

لتعريض القائل ما في كان غنيا محبا للمال ويمكن ان يقال مراد رسولنا عم المحبة الصادقة الغالبة كمحبة الصديق والفاروق
فانهما انفقا اموالهما الكثيرة حتى افتقرا والمحبة امر قلبي لا يطلع على حقيقتها احد الا الله تع فمن ادعى المحبة ولا يترك
امواله لا يكون صادقا في دعوى المحبة لا نوثق المال وصدقته امارتها يقول رسولنا عم او يقال يكون وصول الفقر
في بعض الاوقات ولا يلزم الدوام **باب الامل والحرص** قال النبي عم اعمار امتي من ستين الى سبعين
فان قلت قد يكون بعض اعمارا منه اكثر منها او اقل قلنا قد عرفت ان كلام الشارع في يجوز ان يقال الجاسة امرأة
ملتفة شعر راسها او بدنها معها ما يشد رجليها وبدنها كالدابة فرأى تميم تلك الجساسة في تلك الجزيرة فاخبر تارة باعتبار
هيآتها وتارة باعتبار حقيقتها كما يجوز ان يقال شيطان متمثل بصورتين او للدجال جساستان لكن الاول تكلفا
اقرب الى القبول فان قلت حلف جابر بن عبد الله على ان الدجال هو ابن صياد وقال حلف عمر عند النبي عم ان ابن
الصياد هو الدجال ولم ينكر النبي عم له وعن ابي بكرة ان النبي عم قال يمكث ابوا الدجال ثلثين عاما لا يولد لهما ولد ثم يولد لهما
ولد اعور اضرس واقل منفعة تنام عينه ولا ينام قلبه وابوه طوال ضرب اللحم كان انفه منقار وامه فرضاخية
طويلة اليدين فسمعنا بمولود في اليهود فذهبت انا والزبير بن العوام فرأيناه وابويه كما وصفهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
وكان يخبر عن غيب فاطلع عليه رسول الله مع عمر فقال عمر ائذن لي يا رسول الله اقتله فقال النبي عم ان يكن هو فلست صاحبه
انما صاحبه عيسى بن مريم وان لا يكن هو فليس لك ان تقتل رجلا من اهل العهد فلم يزل النبي عم مشفقا انه الدجال
فعلى هذا التقدير لا يكون الدجال ما اخبر عنه تميم الداري قلنا يمكن ان يكون قصة تميم متاخرا عن هذه القصة بزمان طويل
فلا يكون منافيه لقصته وان علم بالتاريخ ان ابن صياد بقي وقال رسول الله ولم يذهب الى الجزيرة حتى يحمل ان يجيء
منها بعد وفاته كما دل عليه ظاهر قول ابي سعيد انه صحب ابن صياد في سفره الى مكة بعد الفتح قال ابن صياد يزعم الناس اني
دجال والدجال كافر وانا مسلم وهو لا يدخل الجنة المدينة وان دخل مكة صح وقد ذهب الى مكة ودل عليه قول جابر ايضا ان ابن صياد فقد يوم الحرة
وهو يوم مقاتلة معاوية مع علي بعد وفات النبي عم ونحن نقول في التوفيق بين القصة وهذه الحكاية يجوز ان يحمل حلف
جابر وعمر على ان ابن صياد دجال باعتبار وجود صفة فيه لا على انه دجال في الحقيقة لان ابن صياد مشهور بكذاب يغوي
الناس بتسويله ووصف النبي عم حليته وحلية ابويه كان ايضا باعتبار الصفة لا الحقيقة ولا يستبعد اطلاق الدجال على الغير
المفسد المسول لاشتراكه معه في صفته لما عرف ان استعمال تلك الطريقة سابقة في عبارات اهل البلاغة كما يقال
فرعون على كل طاش جبار ويطلق موسى عم على كل صلب في دينه لا يخاف لومة لائم ويطلق حاتم على كل جواد كريم
وابو حنيفة على كل فقيه كامل ويؤيد ذلك ايضا قوله عم لا يقوم الساعة حتى يبعث دجالون كذابون قريب من ثلثين كلهم
يزعم انه نبي الله وزعم ايضا ابن صياد انه نبي اذ قال رسول الله فافهم ذلك كله حتى يبلغ عن خاطرك شبهة التعارض
ايضا في صفات الدجال ولا يجد الشيطان سبيله الى الوسوسة في امر المخبر ايضا ايضا فان معظم مقاصد الفقراء ازالة
التزود عن خاطر المبتدئين من صور التعارض الظاهري **باب قرب الساعة** عن جابر قال سمعت النبي عم
يقول قبل ان يموت بشهر يسالوني عن الساعة وانما علمها عند الله واقسم بالله ما على الارض من نفس منفوسة
يأتي عليها مائة سنة حتى يقوم عليكم ساعتكم وقال ايضا اشارة الى اصحابه ان يعش هذا الاولاد لم الاعرم حتى يقوم
عليكم ساعتكم فان قلت قد اخبر النبي عم عن اشراط الساعة التي ستحدث بعد وفاته واشراط الساعة لم تتم بعد فكانه

باب الامل والحرص

باب قرب الساعة

وهو مصون عن الكذب فاوجه تاويل الحديثين قلنا قد سمعت مرارا ان القرينة العقلية هو الحسية تكون مانعا عن اجراء
الكلام على حقيقته في بعض الصور فتلك القرينة فقد وجدتا في هاتين الحديثين فيجب ان يأول قال بعض الشراح ثلثة قيامة
صغرى وهي موت كل احد وقيامة وسطى وهي موت كل الناس وقيامة كبرى وهي حشر جميع الناس والمراد
من القيامة المذكورة في الحديثين القيامة الصغرى وتحديدها بمائة سنة وبوصول اعمارهم على فرض العيش على العادة باعتبار
غالب الاعمار ويمكن ان يقال المراد من القيمة هي القيمة الكبرى لان من مات فقد قام قيامته لوصوله الى اول منازل القيمة
وهو منزل القبر وغالب الحال في عصر الرسول في سن العمر مائة سنة فيسار بالوصول اعمارهم الى ان تعدم لاينافي في
ذلك وفيه نكتة سنية لان كل احد يخاف عن هجوم القيمة واذا عرف طول مدة وصولها تقع في طول الامل والغفلة ولذا
يسألون عن مدة وصول القيمة فلو اصرح النبي عم بان اول حدوثها بعد الف سنة من وفاته كما اشار الى ذلك في بعض
اوقاته يقع المخاطبون في طول الامل ومع عرف النبي عم ذلك في مكالمتهم فنبههم النبي عم وخوفهم وحضهم على تعجيل
امور الاخرة وبعد بها لانه اشار الى ان اول منازل القيمة القبر ووصول كل احد اليه قريب لان وقوع الموت متوقع
في كل نفس ومتيقن بمائة سنة على اعتبار وقوعه على القطع باعتبار العادة كانه قال لهم لا فائدة لكم في تعيين وقتها
والحكمة في ابهامها كابهام الموت فكل شيء علم وقوعه على القطع فهو اقرب الاشياء كما ان ابعد الاشياء ما فات وقت
تداركه فلا بد لكم من استعداد الاخرة فان اول منازلها واسهلها الموت والقبر ووصولها اليكم سريع وما بعدها من
العقبات اهول واصعب فالواجب عليكم ان تعجلوا وتهتموا في اتمام استعدادها لا السؤال عن تعيين وقتها
باب نفخ الصور قال النبي عم كل ابن آدم يأكله التراب الا عجب الذنب منه خلق وفيه يركب فان قلت
قد انكشف كثير اقبر الناس ولم يوجد فيه عجب الذنب قلنا المراد من عدم اكل التراب اياه طول مكث ذلك العظم
بالقرينة الحسية التي ذكرت لانه اصلب العظام فيكون البناء عليه ويدل عليه ايضا ما قال النبي عم في حديث اخر
هو اول ما يخلق واخر ما يبلى واطلاق الخلود وارادة طول المكث كثير في كلام العرب **باب الحشر**
قال النبي عم يحشر الناس على ثلثة اصناف صنف مشاة وصنف ركبانا وصنف على وجوههم قيل يا رسول الله
وكيف يمشون على وجوههم وقال ان الذي امشاهم على اقدامهم قادر على ان يمشيهم على وجوههم اما انهم
يتقون بوجوههم كل حدب وشوك فان قلت قال النبي عم يحشر الناس على ثلث طرائق راغبين راهبين
واثنان على بعير وثلثة على بعير واربعة على بعير وعشرة على بعير ويحشر بقيتهم النار تقيل معهم حيث قالوا
وتبيت معهم حيث باتوا وتصبح معهم حيث اصبحوا وتمسي معهم حيث امسوا فهذا الحديث مخالف في الظاهر
لما ذكر او كيف التوفيق بينهما قلنا قال الخطابي في جوابه هذا الحشر الحشر الى الشام لا الحشر عن القبر وقال بعض الشراح
الحشر اذا اطلق يراد منه الحشر بعد الخروج عن القبر الراغبون هم الذين يخرجون باختيارهم الى المحشر والذين لا خوف
عليهم ولا هم يحزنون والراهبون هم الذين يخافون ولكن يمشون قوم اثنان على بعير وثلثة على بعير وعشرة
على بعير انهم يتعقبون لا انهم يركبون جملة في دفعة واحدة وقال في شرح السنة الراغبون هم افاضل المؤمنين
والسابقون والراهبون منهم العوام من المؤمنين فتارة يرجون رحمة الله وتارة يخافون عذابه
وهم اصحاب الميمنة ويحشر بقيتهم النار وهم اصحاب المشأمة فهذه ثلث طرائق هذا وانت تعرف

في الحديث الثاني الحشر الى الشام ويراد من النار نار الفتنة بقرينة قوله اثنان على بعير وعشرة على بعير وملازمة النار اياهم فلا يلزم المنافاة بين الحديثين لاختلاف المحشرين والمراد من الحشر هنا

ان التوفيق لا يصح من التوجيهين فنقول يمكن ان يراد من الحشرين الحشر من القبر في القيمة فيكون الراهبين عبارة عن المشاة والراغبين واثنان على بعير وثلثة على بعير وعشرة على بعير عبارة عن الركبان ويحشر بقيتهم النار عبارة عن الماشين على وجوههم لان المشي عليهم لا ينافي الرهبة وكذا الرغبة والاعقاب على بعير الركوب لا ينافي الركوب المطلق وملازمة النار لا ينافي المشي على الوجه لكن اثنان على بعير وعشرة على بعير كالنص في الظاهر الحشر في القيمة سواء كان ذلك على وجه المناوبة او على الاستقلال ويمكن ان يقال لاهل الحشر احوال مختلفة في اوقات مختلفة فذكر النبي عم بعض احوالهم في حديث ووقت وبعض احوالهم في اخر ويجوز ان يقال اختلاف الاحوال لاختلاف اصناف الناس بان يكون اللام في قوله يحشر الناس للجنس لا للاستغراق وقد عرفت بعض التفاصيل في ذلك الباب عند بيان التوفيق في الاحاديث المختلفة الواردة في احوال القبر واهله فاعلم بعض التفاصيل ايضا في احوال اهل الحشر واسمع ان يوم القيمة مشتمل على مواقف مختلفة واحوال متنوعة لما عرفت ان اختلاف احوال الناس في العبادات والسيئات والاعمال والاخلاق بعض مجازاتهم واحوالهم في الموت والقبر والحشر والنشر والسوال والحساب والجنة والنار واختلاف الاحاديث الواردة فيها لاختلاف تلك المقتضيات من المعاصي والطاعات لكن بعض الاختلافات يكون باعتبار الاوقات والحالات وبعضها باعتبار اصناف الناس والدواب والتمييز بينها في غاية الصعوبة كما ان التمييز بين وجوه كل احوال وتعيينه بوجه من الوجوهات الخمسة معضل لا يتيسر الا لاهل القلب والفطانة الكاملة من اهل الاستدلال والمكاشفة ان علم وغفل عنه امثالنا عن الاحاطة بكلها لكن لا تترك كلها للقصور عن الاحاطة لا يليق بالفطانة فنقول قال النبي عم في بعض الاحاديث يحشر الناس حفاة عراة غرلا وقال في بعضها يتفاخرون باكفانهم فيمكن ان يكون الاول باعتبار اول البعث والثاني باعتبار الوقت الاخر وقال عم في بعض الاحاديث تشهد عليهم السنتهم وقال في بعضها تشهد اعضاؤهم وجلودهم وقال في بعضها تشهد الارض وفي بعضها تشهد الملائكة ويحتمل ان يكون الشهادات باختلاف الاوقات ويحتمل ان يكون كلها في وقت واحد لكن الاول اظهر وقال الله تع فيومئذ لا يسال عن ذنبه انس ولا جان وقال تع ايضا فوربك لنسالنهم اجمعين وقال فلنسالن الذين ارسل اليهم ولنسالن المرسلين فالسوال المنفي سوال التعارف والسوال المثبت لاظهار العدل ويصح ان يكون النفي والاثبات باعتبار اختلاف المواقف فان قلت النكرة اذا وقعت في سياق النفي تدل على عموم الاوقات كدلالتها على عموم الافراد فلا يصح ان يكون نفي السوال مخصا بوقت قلنا اليوم يطلق على بعض اوقات القيمة كما يطلق على كلها فيجوز ان يكون العموم باعتبار بعض الاوقات في النفي ايضا وقال النبي عم ما منكم من احد الا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان وذلك ايضا لبعض الناس في بعض الاوقات كما يسكتون في بعض الاوقات ولا يتكلمون ويتكلمون في بعض الاوقات للاعتذار وفي بعض الاوقات للحساب ويوزن في بعض الاوقات اعمالهم وفي بعض الاوقات يؤتى كتابهم وفي بعض الاوقات تقع شفاعة الانبياء والاولياء وفي بعض الاوقات لا يتكلم ولا يشفع احد لخوف الله ولذا قال النبي عليه السلام واما في ثلث مواطن فلا فافهم تلك الاقوال وانتبه على تلك الاحوال حتى لا يتشوش البال عند اختلاف المقال

عبارة

باب الحوض والشفاعة

باب الحوض والشفاعة قال النبي عم حوضي مسيرة شهر وزواياه سواء وماؤه ابيض من اللبن وريحه اطيب من المسك وكيزانه كنجوم السماء فان قلت قال النبي عم في حديث اخر ان حوضي ابعد من ايلة من عدن لهو اشد بياضا من الثلج واحلى من العسل باللبن ولآنيته اكثر من عدد النجوم فنفهم من هذا الحديث ان كيزانه ليس كعدد النجوم بل اكثر منه ونفهم ما بين حافتيه اكثر من مسيرة شهر قلنا قد عرفت ان المقدار اذا اختلف ولا يتيسر التوفيق باختلاف الجهة يقال المراد منه الكثرة او الكبر فيجوز ان يكون المراد هنا بيان سعة الحوض وكثرة كيزانه وآنيته ويحتمل ان يقال ليس المراد من تشبيه الكيزان بالنجوم بيان اعدادها بل بيان صفاتها ونورها او يقال يجوز ان يكون الآنية اكثر من الكيزان لان كيزان نوع من الآنية لكن الظاهر الاوجه الاول لان الكيزان والآنية التي عددها كعدد النجوم لا يسعها حوالي الحوض الذي مقدار سعته ما ذكر وقال النبي عم في بيان شفاعته لامته ثم اعود الرابع فاحمده بتلك المحامد ثم اخر له ساجدا فيقال يا محمد ارفع راسك وسل تعط واشفع تشفع فيقول يا رب ائذن لي فيمن قال لا اله الا الله وقال ليس ذلك لك ولكن وعزتي وجلالي وكبريائي وعظمتي لاخرجن منها من قال لا اله الا الله وقال عم اسعد الناس بشفاعتي يوم القيمة من قال لا اله الا الله خالصا من قلبه او نفسه وقال اتاني آت من عند ربي فخيرني بين ان يدخل نصف امتي الجنة وبين الشفاعة فاخترت الشفاعة وهي لمن مات لا يشرك بالله شيئا وقال انطلق فاخرج من كان في قلبه ادنى مثقال حبة خردل من ايمان وقال يرى اهل الجنة بعض اهل النار يقولون ربنا كانوا يصومون معنا ويصلون ويحجون معنا فيقال لهم اخرجوا من عرفتم فيحرم صورهم على النار فيخرجون كثيرا ثم يقولون ربنا ما بقي فيها احد ممن امرتنا به فيقول الله تعالى ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال نصف دينار من خير فاخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقول ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من خير فاخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذر فيها خيرا فيقول الله تع شفعت الملائكة وشفعت المؤمنون وشفع النبيون ولم يبق الا ارحم الراحمين فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوما لم يعملوا خيرا قط قد عادوا حمما فيلقيهم في نهر في افواه الجنة يقال له نهر الحيوة فيخرجون كما تخرج الحبة في حميل السيل فيخرجون كاللؤلؤ في رقابهم الخواتم فيقول اهل الجنة هؤلاء عتقاء الرحمن ادخلهم بغير عمل عملوه ولا خير قدموه فان قلت يفهم من بعض الاحاديث ان من قال لا اله الا الله يخرج من النار بشفاعة محمد عم ويفهم من بعضها انه يخرج بسعة رحمة الله لا بشفاعة محمد اجاب بعض الشراح ان المراد من قوله عم اسعد الناس بشفاعتي من قال لا اله الا الله من امتي وقوله تع لاخرجن منها من قال لا اله الا الله من سائر الامم وقال بعضهم المراد من قوله عم من قال لا اله الا الله ان يقارن ايمانه بشيء من الاعمال والمراد من قوله تع لاخرجن منها من قال لا اله الا الله الموحد الصرف الذي لم يعمل عملا صالحا اصلا وقال بعضهم قوله ليس ذلك لك ليس نفيا لان يخرج من قال لا اله الا الله بشفاعته بل بيان انه يخرج بشفاعته لكن بسعة رحمة الله تع وهذا اقرب التاويلات وانسب التوفيقات لان قوله تع لاخرجن منها من قال لا اله الا الله وقوله عم اسعد الناس بشفاعتي من قال لا اله الا الله ينافي ان يكون التوفيق باختلاف الامم او المقام او القبل فيكون القائل لا اله الا الله خارجا من النار بسعة رحمة الله وعموم فضله لكن لما كان فتح باب الشفاعة ووصول الرحمة بسبب شفاعة النبي عم قال اسعد الناس بشفاعتي يوم من قال لا اله الا الله

قوله ليس لك ذلك في مقام وقوله عم اسعد الناس في مقام اخر وقال بعضهم

لما عرفت ان سبب السبب بمنزلة السبب يحصل تلك الشفاعة ان اهل المحشر لما اهتموا وتضيقوا عن طول الحبس جاؤا ادم
لطلب الشفاعة قال آدم لست انا هناك فيذكر ذنبه بالاكل من الشجرة وقال ائتوا نوحا فاتوه فقال لست هناك
فذكر خطيئته بقوله ان ابني من اهلي وقال ائتوا ابرهيم فاتوه فقال لست هناك فذكر ثلث كذبات وقال ائتوا موسى
فاتوه فقال لست هناك وذكر قتله نفسا وقال ائتوا عيسى فاتوا عيسى قال لست هناك ولكن ائتوا محمدا عبدا غفر الله له
ما تقدم من ذنبه وما تاخر فاتوا محمدا عم فيشفع وقال النبي عم في بيان شفاعته فاستاذن على ربي في داره فيؤذن
لي عليه فاذا رايت ربي وقعت ساجدا فيدعني ما شاء الله ان يدعني فيقول ارفع محمد وقل تسمع واشفع تشفع
وسل تعط قال فارفع راسي فاثني على ربي بثناء وتحميد يعلمنيه ربي ثم اشفع فيحد لي حدا فاخرجهم من النار
فادخلهم الجنة ثم اعود الثانية الى ان قال انه يشفع اربع مرات فاخرج في الشفاعات الثلث انواعا من العصاة
العاملين وقال في الرابع ايذن لي فيمن قال لا اله الا الله وقال الله تع ليس لك ذلك لان رحمتي غالبة وواسعة
ورحمة عبادي من المؤمنين والمرسلين ليست كقطرة من بحر وذرة من شعاع الشمس في جنب رحمتي لاخرجن
من النار من قال لا اله الا الله برحمتي الواسعة فاخرجهم بها لكن لما كان فتح باب الشفاعة بسبب شفاعة محمد عم
لما عرفت ان ساير الانبياء عجزوا عن فتحه قال النبي عم اسعد الناس بشفاعتي يوم القيمة من قال لا اله الا الله خالصا
من قلبه وقوله اسعد للزيادة في نفسه لا بالنسبة الى غيره فان قلت من قال لا اله الا الله من غير محمد رسول الله لا يكون
مؤمنا فكيف يخرج من النار بشفاعة النبي عم او بسبب رحمة الله قلنا قد عرفت في بيان حقيقة الايمان الشرعي ان
المراد من لا اله الا الله كلمة الشهادتين اذ ما لا يتم الايمان الا به على طريق دلالة لفظ الكل او على طريق اطلاق
الجزء وارادة الكل فان قلت طلب اهل المحشر الشفاعة للتخلص عن تضيق طول الحبس واخبر النبي عم
عن شفاعته لاخراج العصاة عن النار فلم يوافق جوابه وخبره سوالهم وبيان احوالهم قال بعض الشراح
يحتمل ان يراد من النار حبس طول الحبس وذلك بعيد غير مناسب بمحل النبي باحوال شفاعته في حبس العرصات
وتضيقوا واستشفعوا لما عرفت ان مراتب الناس مختلفة في دخول الجنة والنار بالتقدم والتاخير والعذاب
والمنزل فاستشفع النبي عم في تخليص المحبوسين وتخليص الداخلين النار وهذا مناسب لكمال درجة نبينا عليه السلام
في حق امته وسعة رافة الله تع في حق نبينا وامته ويحتمل ايضا ان تعالى دخل النبي عم الجنة لاجل الشفاعة لانها اكرم
المنازل للشفاعة المقرونة للاجابة فسجد وبقي في السجدة ما شاء الله واستشفع في تخليص المحبوسين في المحشر لتخليصهم
عن تضيق الحبس والوصول الى منزل المحاسبة لكن لما كان عناية الله تع ورافته وكرمه كثيرة تامة في شان نبينا
لكونه حبيبه ومختاره قبل شفاعته في تخليص المضيقين المغمومين لطول الحبس واذن ايضا له بالشفع في تخليص
الداخلين لما عرفت ان شان الجواد الكريم ان يعطي السائل اضعاف ما يريده ويطلبه من جنسه وغير جنسه لا سيما
يكون السائل محبوبه ولذا قال الله تع فيمن يدخل الجنة اخرا تمن فقال لا حاجة لي في ادنى مما اعطيت من نعيم الجنة
فقال اكرم الاكرمين ولك عشرة امثالها او مثله واضعاف ما اعطيت فان قلت سلمنا ذلك لكن لم لم يبين النبي عم
المقصود من الكلام وهو تخليص السائلين عن ضيق الحبس قلنا قد عرفت ان البلغاء يذهبون الى خلاف الظاهر
غالبا لنكتة وهي هنا بيان عطاء الله تع وكرمه في مقام شفاعته وتفهيم منه اجابة شفاعته وسواله في حق المحبوسين

بالدلالة لان بذل الاكثر والاعلى يدل على بذل الاقل والادنى فان قلت فهم من خبر شفاعة النبي عم ان جميع العصاة خرج
من النار بشفاعته سوى من قال لا اله الا الله وخرج ذلك الصنف بسعة رحمة الله تع بسبب شفاعة النبي
لكن فهم من بعض الاحاديث ان بعض العصاة خرج بشفاعة بعض المؤمنين كما مر من قوله عم يرى اهل الجنة
بعض اهل النار يقولون ربنا كانوا يصومون معنا ويصلون ويحجون معنا فقال لهم اخرجوا من عرفتم
فتحرم صورهم على النار فيخرجون كثيرا ثم يقولون ربنا ما بقي احد فيها مما امرتنا به فيقولوا ارجعوا فمن وجدتم
في قلبه مثقال نصف دينار من خير اخرجوه وكما قال النبي عم يدخل الجنة بشفاعة رجل من امتي اكثر من بني تميم
وقال ان من امتي من يشفع للفئام ومنهم من يشفع للقبيلة وقال يدخل من امتي الجنة سبعون الفا بغير حساب
ومع كل الف سبعون الفا قلنا قد عرفت ان بعض الاحاديث ناسخ عموم بعض الاحاديث وبعضها
مقيد اطلاق بعض وبعضها رافع ابهام بعض فيكون من يخرج بشفاعة النبي عم ثلث مرات غير من يخرج
بشفاعة المؤمنين اولا دلالة في الاحاديث الواردة في باب الشفاعة على الحصر والاحاطة واعلم ان الشفيع
لا يكون الا لحصول المناسبة للشفيع فالشيخ يشفع لمريده والمعلم لمتعلمه بمناسبة الاتباع والمحب لمحبوبه بعلاقة
المحبة ويشفع المنعم عليه لمنعمه بمناسبة الانعام للشفيع ويشفع بعض الاقارب لبعضهم بواسطة القرابة ويشفع
الانبياء لامتهم بعلاقة الاجابة ويدل على ذلك قوله عم ان ناسا من اصحابي يؤخذ بهم ذات الشمال فاقول
اصحابي اصحابي فيقول الله تع انك لا تدري انهم لم يزالوا مرتدين على اعقابهم مذ فارقتهم والمراد من الارتداد تخلفهم عن بعض الحقوق
الواجبة ويرمز الى ذلك ايضا قول بعض الشفعاء من المؤمنين كانوا يصومون معنا ويحجون معنا لان ذلك مناسبة
ايضا وشفاعة المؤمنين والانبياء فيمن ضم الاعمال الصالحة الى ايمانه ومن لم يضم الاعمال يتخلص بسعة رحمة الله تعالى
بمناسبة التوحيد المقتضية للعناية الربانية والرحمة الالهية فان قلت قال النبي عم يدخل من امتي الجنة سبعون الفا بغير حساب
وقال في موضع اخر مع كل الف بغير حساب وقال في موضع اخر ان الله تع وعدني ان يدخل الجنة من امتي اربع
مائة الف بغير حساب قلنا المراد من الاعداد المختلفة بيان الكثرة لا الحصر فان قلت لم لا يجوز ان يدخل الاقل
في الاكثر وهو مع كل الف سبعون الفا بغير حساب فيكون الاكثر منفيا قلنا قد عرفت ان الاصل ذلك لكنا منعنا
وهو اخر الحديث الذي ذكر في اخره فقال ابو بكر زدنا يا رسول الله قال وهكذا فقال عم دعنا يا ابا
بكر وما عليك ان يدخلنا الله كلنا الجنة فقال عمر ان الله تع ان شاء ان يدخل خلقه الجنة بكف واحد فقال عم
صدق عمر فانهم ان رسول الله عم لم يزد عند نفسه بل اخبر لابي بكر بما وعد الله ان يدخل الجنة من امته فرقا كثيرة
بلا حساب ولذا قال في حديث اخر ومع كل الف سبعون الفا وثلث حثيات من حثيات ربي فيكون المراد
من قول ابي بكر زدنا اخبرنا عن زيادة وعد ربك باد خال امتك في جنته بالشفاعة وسعة الرحمة ويجوز ان يكون
قوله مع كل الف سبعون الفا وثلث حثيات من حثيات ربي جامعا باقي الاعداد فيكون باقي الاعداد لا طلاق
المقتضيات لكن الاظهر من امثال هذه العبارات بيان الكثرة فافهم ذلك كذلك باب صفة الجنة
قال النبي عم اهل الجنة عشرون ومائة صف ثمانون منها من هذه الامة واربعون من سائر الامم فان قلت
قال النبي عم والذي نفسي بيده ارجو ان يكون امتي اربعون ربع اهل الجنة فكبرنا ثم قال ارجو ان يكونوا

ثلث اهل الجنة فكبرنا فقال ارجوا ان تكونوا نصف اهل الجنة فكبرنا اهل الجنة قال الشارح يحتمل ان يكون الثمانون
صفا مائة في العدد لا ربعين قلنا الاظهر ان يقال قوله ارجوا ان تكونوا نصف اهل الجنة لا يدل على نفي الزيادة
فلا ينافي قوله ثمانون صفا كما قال ع في موضع اخر يدخل من امتي الجنة سبعون الفا بلا حساب وكلم قال ع في موضع يدخل
من امتي اربعمائة الف بلا حساب فقال ابو بكر رض زدنا فزاد على ذلك ويمكن ان يقال ايضا مرتبة نبينا كانت في الارتفاع
فكمال النبي ع م استحق في وقت تكون امته نصف اهل الجنة ثم ترقى ذهنه سببه ان يكونوا ثلثي اهل الجنة فان قلت لم لا يجوز
ان يكون المراد من النصف والثلث بيان كثرة الداخلين من امته بالنسبة الى سائر الامم قلنا النصف والثلثان غير متعارف
استعمالها في الكثرة قال النبي ع م سيحان وجيحان والفرات والنيل من انهار الجنة سيحان نهر بالشام وكذلك جيحان والفرات
نهر الكوفة والنيل نهر مصر وقيل سيحون نهر الهند وغزا العرب وهو نهر الترك وجيحون نهر بلخ وينتهي الى خوارزم
وسيحان وجيحان لغيرهما قال بعض الشراح جعل الانهار الاربعة من انهار الجنة لما فيها من السلاسة والعذوبة
والبركة وشرب الانبياء منها كما قال النبي ع م العجوة من ثمار الجنة قلنا يحتمل ان يراد من الحديث ظاهره بان ينزل الانهار
الاربعة من الجنة على طريق خلاف العادة كما قال ع م يخرج النيل والفرات من تحت سدرة المنتهى او تنزل من الجنة
على الجبال الشامخة على طريق المطر ثم يجمع في الصحارى ويجوز ان يراد خلاف ظاهره فيكون التقدير
كل من جنس انهار الجنة في صورة الماء لا في الخاصية واللذة فان قلت على تقدير ان ينزل الانهار الاربعة من الجنة
يجب ان يكون طعمها كطعم انهار الجنة وليس كذلك قلنا يجوز ان يتغير طعمها باختلاط هواء الدنيا وترابها ويغير الله
بلا سبب لئلا يتعين الامر ولا يذهب الابتلاء قال النبي ع م باب امتي الذين يدخلون منه الجنة عرضه مسيرة الراكب
المجود ثلاثا ثم انهم ليضغطون عليه حتى تكاد مناكبهم تزول فان قلت قال ع في موضع اخر ان ما بين مصراعين من مصاريع
الجنة مسيرة اربعين سنة وليأتين عليها يوم وهو كظيظ من الزحام وقال ع في موضع اخر ما بين المصراعين من مصاريع الجنة
كما بين مكة وهجر فكيف التوفيق فيما بين هذه الاحاديث المختلفة قلنا يجوز ان يكون المراد من ذلك بيان سعة باب الجنة
ورفعته وعلو منزلته لما عرفت ان الابواب العظيمة متسعة وان الباب الذي سعته مقدار مسافة اربعين سنة لا يرى
طوله وعرضه ومصراعاه ولا يستلذ من صورته وصورة مصراعيه والمقصود ذلك لما عرفت ان المقصود منها بيان
وصف ابواب الجنة وعرضها وحدودها وجوارها وبستانها وحورها وانهارها واشجارها ومساكنها وملابسها
ومطاعمها ومشاربها ومناكحها ومراكبها بيان جنسها وكمال نعيمها الترغيب المشغوفين باللذات الجسمانية
على تحصيل الاسباب الموصلة الى دخولها ووصول نعيمها فاي شيء ذكر من اوصاف الجنة وما فيها من المذكورات
اذا جاز حمله على ظاهره اجري عليه والا فالانه عبارة عن السعة او عن الكثرة او مبالغة الفضل انه وكان اللائق
ونهاية الفوق على وجه المبالغة قال النبي ع م لو ان امرأة من نساء اهل الجنة اطلعت على اهل الارض لاضاءت ما بينهما
ولملأت ما بينهما ريحا ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها وهذا يجوز ان يجري على ظاهره لان الشمس
مخلوقة من مخلوقات الله تع اعطاها الله تع نورا اضاء به ما بين السماء والارض فجاز ان يكون مخلوق اخر
يضيء ما بينهما بنورها ويملاءه بريحها كما ان ياقوت الاحمر صنف من الاحجار لكن نفاسة قطعة صغيرة منه انفس
واثمن من الاحجار النفيسة الكبيرة من غيره وقال ع م ان في الجنة لسوقا يأتونها كل جمعة فيهب عليهم ريح

الشمال

الشمال فيزيدون حسنا وقال عم ياكلون ويشربون ولا يتغوطون ولا يبلى ثيابهم ولا يفنى شبابهم ولا يموتون وكل ذلك
جاز على ظاهره لانعدام القرينة المانعة العقلية فان قلت خلاف العادة قرينة ايضا قلنا قد عرفت ان اكثر احوال
الاخرة على خلاف عادة الدنيا ولا يخرج الاحاديث الواردة على خلافها اذا لم يكن فيه مانع اخر من انعدام البهيمة النفسانية
فعدم البول والتغوط مع الاكل والشرب وعدم زوال الشباب وعدم الموت ليس بامر مستبعد في العادة
ايضا لان قوة الهضم اذا غلب يذهب الفضلات ويفنيها ولا يحتاج الى خروج البول والعذرة من السبيلين والاخلاط
الاربعة اذا اعتدلت والهواء والمادة الطف لا يعرض الامراض واختلاف الاعمار والالوان والقوى بحسب اختلاف
الازمان والاقاليم والهواء يدل على ذلك فان اعمار اقوام نوح وقوتهم تخالف لاعمار سائر القرون الذين
بعدهم وقال عم ان في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة سنة ولا يقطعها وقال ان للمؤمن في الجنة لخيمة من لؤلؤة
واحدة مجوفة طولها ستون ميلا في كل زاوية منها للمؤمن اهل لا يراهم الاخرون يطوف عليهم المؤمنون وجنتان
من فضة انيتهما وما فيهما وجنتان من ذهب انيتهما وما فيهما للمؤمن اهل لا يراهم الاخرون يطوف عليهم المؤمنون
وقال عم ان في الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والارض والفردوس اعلاها درجة منها تفجر
انهار الجنة الاربعة ومن فوقها يكون العرش فاذا سألتم الله فاسألوه الفردوس عن ابي سعيد عن النبي عم
في قوله تعالى وفرش مرفوعة قال ارتفاعها كما بين السماء والارض مسيرة خمسمائة عام وقال النبي عم لكل رجل منهم
زوجتان على كل زوجة سبعون حلة يرى مخ ساقها من ورائها قال النبي عم ادنى اهل الجنة الذي له ثمانون الف
خادم وانسان وسبعون زوجة وينصب فيه من لؤلؤ وزبرجد وياقوت كما بين الجابية الى صنعاء ان
ادنى اهل الجنة منزلة لمن ينظر الى جنانه وازواجه ونعمه وخدمه وسرره مسيرة الف سنة واكرمهم على الله
من ينظر الى وجهه غدوة وعشية والاظهر ان يراد من بعض الاحاديث المذكورة غير ظاهره لما عرفت ان المقصود
من ذكر اوصاف الجنة وما فيها ما سوى دون سير الراكب في ظل شجرة مائة عام عظم الشجرة ومن كون ما بين الدرجتين
كما بين السماء والارض بيان رفعة الجنة وعلو سمكها ومن كون خدام ادنى المؤمنين ثمانين الفا بيان
كثرتهم ومن كون ارتفاع الفراش مسيرة خمسمائة عام بيان ارتفاعه ومن رؤية مخ ساق الحور تحت
سبعين حلة بيان غاية لطافتها وقرينة اخراج ما ذكرنا من الظاهر فوات الحس والبعد لا كونه على خلاف
العادة لما عرفت ان اكثر احوال الاخرة على خلاف العادة فكيف وقد قال النبي عم حكاية عن وعد الملك الكريم
اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فان هذا يدل على ان يعطي الله
عباده المطيعين من اللذات الجسمانية والروحانية ما لم يخطر على قلب بشر مثله فكيف رؤية مثله وسماع
فان من ولد اعمى لا يمكن ان يفهم انواع الالوان والاضواء ومن كان صغيرا او عنينا لا يفهم لذة الجماع وان
اجتهدت في بيانهما وتفهيمهما ببسط العبارات كما لا يفهم اهل الدنيا كيفية رؤية الله تع ما لم يحصل قوة
ذلك الادراك واستعداده فان قلت لم لا يجوز ان يكون قوة المؤمن وقوة اعضائه وحواسه بحيث
يسير في ظل تلك الشجرة العظيمة العالية الكبيرة في ادنى مدة كما في طي المكان ويرى سمك جنة واطراف
ما بينها وان بعدت الى خوارق العادة ويسع بكثرة الخدام والوظائف والجواري والازواج والحور

اقوام ح

وان كذب على خلاف العادة لغاية القوة كما روي ان سليمان عم ثلثمائة منكوحة وسبعمائة جارية قلنا لا يبعد ذلك
لك لانك سمعت ان كلامنا على نسق التوجيهات القريبة لا على المحتملات العقلية اذا لم يكن فيه مصلحة مقتضية للحمل
على موجب الاحتمال العقلي كما في احوال الحشر الجسماني والتلذذ والايلام في القبر والنار والرؤية وسائر صفات
وغيرها وهنا ما دل الدليل لاحاديث صحيحة على ان يكون مقدار جسم اصحاب الجنة ستون ذرعا كما قال النبي عم
يدخلون الجنة على خلق رجل واحد على صورة ابيهم آدم ستون ذراعا في السماء وقال يدخلون الجنة جردا مردا
مكحلين ابناء ثلثين او ثلث وثلثين سنة وقال النبي عم يعطى كل واحد قوة كل مائة رجل فقوة مائة رجل لا يبلغ
استعمال لذات المعاد بالمذكورة وبسر الطول والعرض المذكورين فيكون المراد الكثرة والسعة وغاية النعمة
وكمال اللذة اللائقة بذلك المقدار من القوة **باب رؤية الله تعالى** قال النبي عم سترون ربكم عيانا وقال
جرير بن عبد الله كنا جلوسا عند رسول الله عم فنظر الى القمر ليلة البدر فقال انكم سترون ربكم عيانا كما ترون
هذا القمر لا تضامون في رؤيته فان استطعتم ان لا تغلبوا على صلوة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا
ثم قرأ فسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها وقال اكرمهم على الله من ينظر على وجهه غدوة وعشية
ثم قرأ وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة فان قلت قال النبي عم في موضع اخر ان اهل الجنة اذا دخلوها نزلوا
بفضل اعمالهم ثم يؤذن لهم في مقدار يوم الجمعة من ايام الدنيا فيزورون ربهم ويبرز لهم عرشه ويتبدى لهم
في روضة من رياض الجنة فيوضع لهم منابر من نور ومنابر من لؤلؤ ومنابر من زبرجد ومنابر من ذهب
ومنابر من فضة ويجلس ادناهم وما فيهم دني على كثبان المسك والكافور ما يرون ان اصحاب الكراسي بافضل
منهم مجلسا فيفهم من هذا الحديث انهم لا يرون الا في مقدار جمعة ومن الاول انهم يرونه غدوا وعشيا قلنا
يجوز ان يكون رؤية الله تع متفاوتة بالنسبة الى الاشخاص بان يرى كل احد على مقدار فضيلته ومعرفته وكماله لذا
قال اكرمهم على الله من ينظر الى وجهه غدوة وعشية فيجوز ان يرى المقربون غدوة وعشية ويرى العوام في مقدار
الجمعة ويجوز ان يكون لله تع تجليات عامة تكون في مقدار جمعة للعوام والخواص وتجليات خاصة للمقربين
على حسب مراتبهم وغدوة وعشية لا تكون للبعض اذ يجوز ان يكون لذة بعض اهل المعرفة مقصورة على رؤية الله تع
وتجليه لما عرفت ان اللذات الجسمانية غير ملحوظة في جنب اللذات الروحانية عند اهل المعرفة والحال كما ان اللذات
الروحانية مجهولة ومنكرة عند اهل الغفلة والقال فان قلت رؤية الله تع بعين الرأس يقتضي المقابلة والمكان
وكثافة الجسم واللون وتلبسه بالضوء والله تع منزه عنها فكيف يحصل لنا رؤيته كالبدر قلنا اقتضاء الرؤية
الشروط المذكورة باعتبار الوهم والعادة لا بطريق العقل والفطنة فان العقل يجوز ان يرى كل موجود وان انكرت
كل ما خالف الوهم والعادة سوف ترا ظهر لك الكذا احكام البرزخية والمعادية من سوال النكير والمنكر ولذة
الميت والمه وتكلم الارض والاعضاء والمرور على الصراط لكن اذا تدبرت بنظر العقل السليم والفكر المستقيم تخلص
عن معارضة الوهم السقيم وعلمت ان قصور عقلك عن تصور كيفية الشيء لا يقتضي انعدام تحقق اصله فانك تعلم
بعقلك على سبيل القطع واليقين بل الله موجود بوجود ازلي ابدي لا اول له ولا اخر له ولا مكان ولا زمان
ولا جهة ولا زيادة ولا نقصان ولا تغير مع ان وهمك قاصر على تصور موجود لا يكون في جهة ولا في زمان ولا في مكان

ولا يكون

ولا يكون في داخل العالم ولا في خارجه مع انه اقرب الى كل شيء الينا والى جميع الموجودات وانه يسمع كل ما يمكن ان يسمع
بدون الحاسة ويبصر كل ما يمكن ان يبصر بدون حاسة العين ولا يمنع رؤيته ظلمة وبعد ولطافة وعدم لون وضوء
ويتكلم بدون اللسان وسائر الالة ويخلق كل شيء بدون الة ومعاونة كما خلق السموات والارض وما فيهما بارادة
واحدة وسيهلكهما بارادة واحدة بدون الة فاعلم ذلك ان رؤيته تعالى ممكنة بدون الصورة الجسمية وسائر شروط الرؤية
بحسب العادة وخوارق العادات الواقعة في الدنيا كمعجزات الانبياء وكرامات الاولياء يرشدك الى ذلك لو لاحظت وتفكرت
فيها ونعرف ايضا ان بعض الحيوانات يعيش في جوف الماء ويتولد فيه ويموت في البر وبعضها بالعكس وبعض الحيوانات
يرى في ظلمة الليل كالخفاش والهرة وبعضها لا يرى في ضوء الشمس ويرى في ضوء الشمع وبعضها بالعكس والقراد
يسمع اصوات اخفاف الابل من مسافة يومين وذلك مستبعد عند اهل الوهم والحاصل ان النص الشرعي
لما ورد في اثبات رؤية الله تعالى وسمعه وبصره وكلامه اعتقدنا على وجودها حقيقة وان قصر ادراكنا عن كنه كيفيتها
فكيف وقد قصر عقلنا عن كيفية علمنا وسمعنا وبصرنا مع انها اقرب الاشياء الينا كما لا نعلم حقيقة انفسنا واثبات
صفات الله تعالى وبيان كيفيتها كلام طويل في الكتب الكلامية وفيما ذكرنا من الكلام المقنع كفاية لاهل العادة ولصعوبة
ادراك كيفية صفات الله تعالى ذهب كثير من المشايخ والحكماء الى انها امور اعتبارية لا موجودة اذ يلزم من وجودها
تعدد القدماء المنافي لوحدانيته من كل وجه فهو عالم وقادر ومريد وسميع وبصير ومتكلم بالذات لا بصفة
موجودة زائدة على ذاته واهل الظاهر والسنة يقولون المفهوم من النصوص الشرعية ان وجود صفات الله تعالى
غير وجوه حقيقة اذ المفهوم من مثل قوله تعالى والله عليم حكيم ذلك ولم يقم دليل عقلي قطعي مانع عن ارادة
ظاهره كما قام في مثل قوله تعالى ثم استوى على العرش وفي جنب الله ولصعوبة هذا المقام لم يكفر المخطئ في تاويل
الصفات اذا لم يكن عالما **باب صفة النار واهلها** قال النبي عم اشتكت النار الى ربها فقالت رب
اكل بعضي بعضا فاذن لها بنفسين نفس في الشتاء ونفس في الصيف اشد ما يجدون من الحر واشد ما يجدون
من الزمهرير اي من اشد الحر واشد البرد فان قلت اذا كان للنار نفسين فالمراد احدهما مساو للاخر او لا فعلى
كل تقدير يجب ان يكون الحرارة والبرودة في الدنيا على ذلك النسق وليس كذلك اذ الحرارة في بعض المواضع يكون
في اكثر السنة وفي بعضها في قليلها وكذا البرودة بل قد يكون حرارة الصيفية في موضع واحد مختلفة باختلاف السنين
قال بعض الشراح ليس المراد من الحديث معناه الحقيقي بل التشبيه شدة حرارة الصيف وشدة برودة الشتاء بنفس النار
وقال بعضهم يجوز ان يمسكهما الله تعالى ويرسلهما رحمة على عباده وقد عرفت ان اجراء النصوص الشرعية
على ظواهرها موقوف على وجود قرينة قوية وقد عرفت بعض التفاصيل فيه فنقول يجوز ان يراد هنا من النفسين
ظاهرهما لان الجنة والنار مخلوقتان موجودتان والنصوص القرانية متظاهرة في ذلك اذ قال الله تعالى وان لم تفعلوا
ولن تفعلوا فاتقوا النار التي اعدت للكافرين وقال النبي عم اوقد على النار الف سنة حتى احمرت ثم اوقد عليها
الف سنة حتى ابيضت ثم اوقد عليها الف سنة حتى اسودت فهي سوداء مظلمة فعلى هذا يكون جهنم موجودة في حولها
فيجوز ان يتنفس في كل سنة نفسين متساويين لكن اختلاف اثارهما يكون لاختلاف المعارض من الامكنة الباردة
بكثرة الماء والاشجار والجبال الشامخة كما يشاهد مثل ذلك في حرارة الشمس واختلافها بحسب اختلاف الامكنة

صفة النار واهلها

بل يكون اختلاف الحرارة والبرودة في موضع واحد في سنة واحدة بل يكون في يوم واحد في موضع واحد لوجود
كما يسبب الحرارة من سحاب والمطر والريح الباردة ووجود ممد الحرارة كما يجد الاملي وانعدام السحاب والمطر
وانقطاع الرياح الباردة وغيرها من الكاسرات والممدات فان الله تع خلق في طبيعة النار التسخين والاحراق
وخلق في طبيعة الماء الترطيب والابراد ويكسر احدهما سورة الاخرى او نفسها فيكون تأثير نوع النار
في التسخين والابراد لاختلاف استعداد الامكنة والمحال والمعاون والاحوال فان النوشادر والكبريت
اذا قربتا الى النار قربا متساويا يكون تأثير الكبريت وسخنه واحتراقه اشد واقدم من تأثير النوشادر حتى ان
الجسم الضعيف يشتعل بمماسة الكبريت ويتخذ بمماسة النوشادر ولا يستعد ذلك لانه محسوس بل بعض
الجسم لا يؤثر فيه النار كالسمندر والياقوت وكما قال النبي عم لا تأكل النار مواضع السجود وقال ع منهم من تأخذ
النار الى كعبيه ومنهم من تأخذ الى ركبتيه ومنهم من يأخذ النار الى حجزته ومنهم من تأخذ النار الى ترقوته
وقال ع م ان اهون اهل النار عذابا ابو طالب وهو منتعل بنعلين يغلي منهما دماغه فان اخذ نار جهنم
ببعض الابدان دون البعض مع عدم سدها وحرها خلاف التفكر واستيناس ويمكن كما ان عدم موت
الكفار وبقاءهم في نار جهنم ابد الاباد احياء مخالف لو يمكن بل لعقلك القاصر واذا اخبر به الصادق المصدق
اعتمد على ذلك وافهم كمال قدرة الله تع منه ولا تقس بقدرته وعلمه ان مل على قدرتك وعلمك الناقص القاصر
وافهم من ذلك ان حكاية غرق الناس في المحشر في عرقهم على ذلك النسق فان عرق البعض يصل الى كعبيه وعرق
بعضهم الى ترقوته وعرق بعضهم الى فمه فان قلت طبيعة الماء تقتضي ان يملأ الحفر والاودية والامكنة
المتساوية ويتساوى اعماق الواقفين في عرقهم فكيف تصور الاختلاف مع ان كلهم واقفين فيه
في موضع واحد غير مختلف في الرفعة والغور قلنا سيلان الماء في موضع مستو وتساوي نسبته الى الواقفين
باعتبار عادتك والف وهمك ايضا واحوال الاخرة اكثرها خلاف العادة والوهم فيجوز ان يصل الى عرق
بعض الواقفين فيه الى كعبيه وبعضهم الى فمه ولا يسيل الى احوالهما اظهارا لقدرة الله تع وعظمته وان عارضك
وهمك فيه فلينظر في حكاية النيل عند غرق فرعون وقومه فيه ومرور موسى عليه وقومه عنه فانه صار كالجدران
عند مرورهم وصار بينهما اثنى عشر طريقا وصار في جدران الماء كوى ودرجات ينظر منها بعض قوم موسى الى بعضهم
ولم يلتئم تلك الجدران والكوى الى ان مر قوم موسى باجمعهم واذا دخل فرعون مع قومه بين تلك الجدران والكوى
من الماء ضربهم الجدران وانطبقهم والتصق بعضهم ببعض فغرقوا واذا ابصرت امورا خارقة عادتك
في الدنيا فلا ينكر وجودها في الاخرة اذا لم يوجد مانع اخر كما سمعت بعض الموانع في بعض اوصاف الجنة واهلها
قال النبي عم ما بين منكبي الكافر في النار مسيرة ثلثة ايام للراكب المسرع وضرسه مثل احد وغلظ جلده مسيرة
ثلث وقال ع م في موضع اخر مقعده من النار مسيرة ثلث وقال في موضع اخر مجلسه من جهنم ما بين مكة والمدينة
وجلده اثنان واربعون ذراعا وقال في موضع اخر ان الكافر ليسحب لسانه الفرسخ والفرسخين يتوطاه الناس
وقال في موضع اخر يشويه النار فتقلص شفته العليا حتى تبلغ وسط راسه وتسترخي شفته السفلى حتى تضرب سرته
فان قلت ما التوفيق بين الاختلاف في الواقع في مجلس الكافر وغلظ جلده قلنا قد عرفت ضابطة رافعة توهم

التعارض من امثال هذا الاختلاف وعرفت ايضا تصريح التوفيق وتعيين طريقه في مواضع متعددة عونا للمبتدئين وتعليما
لهم طرائق التاويل والتطبيق واساليب التفصيل والتوفيق جزئيا تاما حتى ستيسر انتفاعه وسنعالها في الجزئيات
في اذهانهم فقل هنا ايضا يجوز ان يكون اختلاف الاحوال في الاختلاف في الاشخاص او الاختلاف في الاوقات والاقل والاصغر
داخل في الاكثر والاكبر ويجوز ان يقال المراد بيان غلظ الجلد وعظم البدن لا الحصر والتعيين لذا وجد قرينة قوية صارفة
عن الظاهر بان سوئ نص اخر راجح فعلى كلتا بدان الكفار في النار يحيث لا يناسب مقدار غلظ جلدهم ومقعدهم
المذكورين لتلك الابدان المسه قال النبي عم لو ان رصاصة مثل هذه واشار الى الجمجمة ارسلت من السماء الى الارض
في مسيرة خمسمائة سنة لبلغت الارض قبل الليل ولو انها ارسلت من راس السلسلة لسارت اربعين خريفا
الليل والنهار قبل ان يبلغ اصلها او قعرها فان قلت يفهم منه ان طول سلسلة من سلاسل جهنم اكثر من مسافة
ما بين السماء والارض قلنا يجوز ان يكون في الواقع كذلك لما ثبت في كلام بعض المحققين ان قعر جهنم من مقعر
الكرسي الى مركز الارض وطول ما فيما بينهما اضعاف طول السلسلة قال الشيخ صدر الملة والحق والدين
السموات السبع عنصرية قابلة للكون والفساد بخلاف العرش والكرسي وسطح السموات السبع فصارت
سماء فيكون مواضعها مقرا لجهنم وجرم الكرسي يكون اعراف بين الجنة والنار باطنه الرحمة وظاهره العذاب
يعني جهنم وسقف الجنة عرش الرحمن وسعة ما بينهما وما فيهما من اللذات الجسمانية والروحانية لا يطلع على تفاصيلها
الا الله تع وهو قوت المحدثين وكله من المقبولات عندهم وعند المحققين **باب بدء الخلق وذكر الانبياء**
قال النبي عم ان الله تع كتب كتابا قبل ان يخلق الخلق ان رحمتي سبقت غضبي فهو مكتوب عنده فوق
العرش فان قلت قوله كتابا دل على انه خلق شيئا قبل الخلق وهو الكتاب فكيف قال قبل ان يخلق الخلق قلنا
معناه قبل ان يخلق الخلق غير الكتاب كما قال الله تع والله خالق كل شئ وذاته خارج عن عموم شئ
وامثال ذلك كثيرة فيكون الكتاب خارجا عن الخلق بالقرينة العقلية ويجوز ان يكون كتب الكتاب عبارة
عن التقدير الازلي ويكون فوق العرش تمثيلا لعلو رتبة التقدير كقوله تع وهو القاهر فوق عباده فانه
تمثيل لعلو ذات الله تع وكمال قدرته فان قلت صفات الذات والفعل قديمة عند المحققين فكيف يتصور
سبقة صفة الرحمة على صفة الغضب قلنا يجوز ان يراد منه سبقة الغلبة وكمال القوة باعتبار ان لا التعدد
الزماني فان اردت تفصيل بعض غلبة اثار الرحمة فاعلم ان بذل الوجود وصحة الاعضاء وقوتها من اجل
النعم العامة للمومن والكافر من حين الولادة الى حين الموت من غير سابقة خدمة مقتضية اياها وايضا بذل
الثواب المكثر الجليل الكامل البالغ في مقابلة العبادة القليلة القصيرة بل مجرد ذنبها من اثار غلبة الرحمة وقوتها
وايضا عدم قطع الصحة والرزق والنعم وعدم هدم الوجود والبنية مع المعاصي الكثيرة من اثار غلبة الرحمة
ومعاملة معصية واحدة بعقوبة واحدة مع غاية حقارة العبد العاصي ونهاية عظمة المعبود وازالة المعاصي الكثيرة
سدم واحد وازالة كفره مائة سنة بكلمة خفيفة من اثار كمال الرافة وغلبتها وان لم تقدر على تصور تفاصيل نعم الله تع
كما قال الله تع وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها فلا تغفل عن نكتة واحدة وتصور كمال رحمة الله وغلبة رافته عليك
وهي ان كل شئ اشد حاجة الانسان اليه في تعيشه واسباب حيوته جعله الله تع اوسع كل شئ وان خصها فان النور احوج
الاشياء

الليل وحح

باب بدء الخلق وذكر الانبياء

فهي رخص وبعد ذلك الماء وبعده النار وبعدها التراب وبعده الملح وبعده الحطب والكلاء فانا كل واحد منها اهم
مما بعده واوسع منه فهو يرشدك الى اغلبية رحمة الله تع ومغلوبية غضبه وينهاك عن الغفلة ويحضك على الطاعة شكرا
لتلك النعم والرحمة ولا تغفل عنها لذمة قال النبي عم لما صور الله تع آدم في جنته تركه ما شاء الله ان يتركه فجعل
ابليس يطيف به ينظر ما هو فلما رآه اجوف عرف انه خلق خلقا لا يتمالك فان قلت الاخبار كثيرة متظاهرة
على ان الله تع خلق آدم من تراب من وجه الارض من جميع الوانها فخمر بيده حتى صار طينا ثم تركه حتى صار صلصالا
وكان ملقى بين مكة والطايف وصورته في الجنة وتركه بعد التصوير في الجنة الى ان نفخ فيه الروح ومعنى لا يتمالك
لا يكون له ثبات وقوة كالملائكة اذ من شانه ان يكون ضعيفا مجبولا مغضوبا سريع الانفعال والتغير جزوعا عند البلاء
وان يكون منوعا عند الغنى والقدرة واستدل ابليس على ذلك بالجوف باطنه ودواعي القوى النفسانية وعقله
عن الفضايل النفسانية والكمالات الانسانية اي كاملة بامتزاج الامور الروحانية وتعلقها بالامور الجسمانية والقوى
الجسدانية وان تلك الامور الروحانية اذا قويت وغلبت على القوى الشهوانية والدواعي النفسانية يحصل لاعضاء
وقوتها مصروفة الى الطاعة يكون ذلك سببا لتحصيل الاستقامة وكمال الانسانية ويحصل على ذلك الكمال
على الرتبة الملكية وقد عرفت بعض دلايل الافضلية في بيان تفضيل العلم عن انس قال رجل الى النبي عم فقال
يا خير البرية فقال ذاك ابرهيم فان قلت قد ثبت بالنقل والعقل ان نبينا خير البرية وتواتر بذلك وخبر
كما قال انا سيد ولد آدم في الدنيا والآخرة وقال انا اكرم ولد آدم وانا اول الناس خروجا اذا بعثوا وانا
قايدهم اذا وفدوا وانا خطيبهم اذا انصتوا وانا مستشفعهم اذا حبسوا ولواء الحمد يومئذ بيدي
وما من نبي يومئذ آدم فمن سواه الا تحت لوائي ولم قال هناك ذاك ابرهيم قال بعض الشراح قال ذلك
للتواضع او لان الافضلية مختصة به يجوز ان يعطى غيره قلنا قد عرفت جواب مثل هذا السؤال من الضوابط
المذكورة من ان جهات الافضلية متنوعة وبين تلك الجهات فروق كثيرة وان اردت كيفية التوفيق هنا فاسمع ان
بيانه النبي عم افضليته وخيريته على جميع الناس بجهة وبيان خيرية ابرهيم عم على جميع البرية بجهة اخرى
لان بيان خيريته على جميع الانبياء من جهة اظهار نعمة الله تع وكمال كرمه عليه باعطائه اياه اعلى مراتب الرسالة
حتى يعتقد امته على افضليته ويجتهدوا في تكميل واجب رسالته واتباع شريعته بقدر طاقتهم ويعلم ذاك
ابرهيم من جهة التواضع ونفي الخيرية والافضلية على نفسه من جهة العجب والكبر والتفوق على جميع الناس بحظ النفس
لان من قال لرسول الله يا خير البرية قال من جهة تفضيل نبينا عم على سائر الانبياء لتعرض نقصان سائر الانبياء
ويوهم ذلك رسول الله عم فقال ذاك ابرهيم حتى لا يفرطوا في تعظيمه بحيث يؤدي الى الضلال كما افرط النصارى
واليهود في شان عيسى وعزير عليهما السلام فضلوا واضلوا فان قلت ابرهيم ليس خير البرية من كل وجه فلم قال
ذاك ابرهيم قلنا لم يقل نبينا عم انه خير البرية من كل وجه وقد عرفت ان التفضيل على الغير يجوز ان يكون
بجهة خاصة لا يوجد في غيره فيجوز ان يكون تفضيل ابرهيم عم من جهة ان نبينا عم وجد من نسله او انه رمي
الى النار نمرود ولم يستعن من جبريل اراد ان يعينه وينجيه من السقوط في النار او بني الكعبة وقصد ذبح
ابنه في سبيل الله وامتثال امره ومن هذا القبيل قوله عم لا تخيروني على موسى فان الناس يصعقون يوم القيمة

واصعق

و اصعق معهم فاكون اول من يفيق فاذا موسى باطش بجانب العرش فلا ادري كان ممن صعق فافاق قبلي او كان
فيمن استثنى الله وفي رواية فلا ادري احوسب بصعقة يوم الطور او بعث قبلي سبب تفضيله ع م ايضا
ان مسلما كان من المسلمين يخاصم مع يهودي فقال المسلم والذي اصطفى محمدا على العالمين وقال اليهودي والذي
اصطفى موسى على العالمين فلطم المسلم وجه اليهودي فاخبر اليهودي نبينا ع م بذلك فقال لا تخيروني على سبيل
التعصب والتفضيل المؤدي الى التباغض والتخاصم ولا يفهم منه المنع والتفضيل مطلقا وقد يتبع ع م الا فضيلة
موسى بوجه واحد وذلك لا يضر لانه نبينا ع م مفضل عليه وعلى ساير الانبياء بوجوه كثيرة وهي كونه خاتم الانبياء
وناسخ شريعته شرايع من قبله من الانبياء ومبعوثا الى جميع من في الدنيا من الجن والانس ومكملا بالاخلاق
الفاضلة ومقام الشفاعة في الاخرة وكونه رحمة للعالمين من حيث ان جميع الملل حفظ من عذاب الاستيصال
بسببه وقد عرفت ان جهة من جهة التفضيل يجوز ان يكون فايقة على جهات كثيرة كمن فاق واحدا على واحد
بكثرة الصلوة والصوم والصدقة وحسن الصوت والخط ورمي السهم والمشي ع م وفاق ذلك الواحد عليه
بجهة واحدة وهي الكمال في تعلم علم الدين مع الاقتصار على الفرايض وهذا الواحد مفضل بهذه الجهة الواحدة
على ذلك الواحد المتصف بجهة كثيرة من الفضايل كما قال النبي ع م فضل العالم على العابد كفضلي على ادناكم
وكما فضل آدم ع م بجهة واحدة وهي العلم المقارن بقليل من العمل وهو اعتقاده بوحدانية الله تع وصفاته على
الملائكة المقربين المكرمين بنفاسة الجوهر النورانية والاعمال الكثيرة في المدد الطويلة من التسبيحات والتحميدات
والتكبيرات وانواع العبادات لان فضيلة العلم المقارن باداء الفرض من العمل وان كانت واحدة
في حد ذاتها لكنها فايقة على العبادات الكثيرة والفضايل الغير لقوتها وكثرة ثمراتها واذا عرفت ذلك فاعلم
ان كل واحد من الاشياء مفضل على غيره بجهة مخصوصة كما ذكرنا في فضايل الانبياء من ان عيسى ع م مفضل على غيره
بالتجرد والحياء وعدم القصد الى الذنب وسليمان بالتواضع ويونس وادريس بالتفكر وموسى بالصلابة في الدين
ونوح بالشكر وايوب بالصبر وداود بحسن الصوت ويوسف بالتعبير والصدق عليهم السلام لكن نبينا
مفضل على ساير الانبياء بفضايل كثيرة لا تعادل كل واحد منها فضايل كثيرة ومن جملتها حسن الخلق كما قال الله تع
في شأنه وانك لعلى خلق عظيم والدعوة التامة ولواء الحمد كما قال الله تع وما ارسلناك الا رحمة للعالمين وما ارسلناك
الا رحمة للعالمين كافة للناس بشيرا ونذيرا ولكن اكثر الناس لا يعلمون وقوة القلب واليقين وكمال العلم والحلم
ومن جملتها ما قال النبي ع م انا حبيب الله ولا فخر وانا حامل لواء الحمد يوم القيمة وآدم ومن دونه تحته وانا
اول شافع ومشفع وقال اعطيت خمسا لم يعطهن نبي قبلي نصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت لي الارض
مسجدا وطهورا واحلت لي المغانم ولم تحل لاحد من قبلي واعطيت الشفاعة وكان النبي يبعث في امته خاصة
وبعثت الى الناس كافة وفضايله اكثر من ان تحصى وقد ذكرته بعض منها وما ذكرنا في التورية والانجيل والفرقان
بعض منها ايضا لكن قال في بعض المواضع لا تفضلوني على يونس بن متى ومن قال انا خير من يونس بن متى فقد كذب
ولا تخيروا بين الانبياء ولا تفضلوا بينهم للاعلام بان لا فرق بينهم من جهة النبوة والحقيقة كما قال الله تع حكاية
عن المؤمنين لا نفرق بين احد من رسله او للتواضع وهضم النفس او لدفع طعن بعض الجهلة في حق بعض الانبياء

او لمصلحة اخرى مما اقتضاها المقام وسياق الكلام و قد عرفت ايضا فضيلة بعضهم على بعض و فضايل انبياء عم
عليهم بجهة اخرى كما قال الله تع تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله و رفع بعضهم فوق
بعض درجات عن ابي رزين قال قلت لرسول الله عم اين كان ربنا قبل ان يخلق خلقه قال عم كان
في عماء ما تحته هواء و ما فوقه هواء و خلق عرشه على الماء و قال يزيد بن هارون في تفسير عماء اي ليس معه شيء قال
المظهر العماء السحاب في كلام العرب لا ندري كيف كان ذلك العماء عن ابن الاثير انه قال يريد عم و هو مقصور قال
و هو امر لا يدركه العقل و لا يبلغ كنهه الوصف يعني كان الله سبحانه و تعالى في الازل في عماء اي في صفة لا ندري
كيفيتها فيؤمن به و يكل كيفيتها الى علم الله تع و هذا التفسير موافق للعم قال عمران بن حصين كنت عند النبي عم
جاء اناس من اهل اليمن فقال النبي عم اقبلوا البشرى يا اهل اليمن اذ لم يقبلها بنو تميم قالوا قبلنا جئناك لنتفقه
في الدين و لنسالك عن اول هذا الامر ما كان قال النبي عم كان الله و لم يكن قبله شيء و كان عرشه على الماء ثم
خلق السموات و الارض و كتب في الذكر كل شيء و قيل المراد قطع و لم يكن شيء حال و يجوز ان يكون خبرا على
مذهب الكوفيين لانهم جوزوا دخول الواو في خبر كان و اخواتها نحو كان زيد و ابوه قايم تشبيها للخبر بالحال
قال المظهر العرش و الماء مخلوقتان قبل السموات و الارض فالعرش على الماء و الماء على الريح و الريح قايمة
بقدرته القديمة فان قلت كيف قال النبي عم في سوال اهل اليمن كان الله و لم يكن قبله شيء و لم يبين هل معه شيء في الوجود
ام لا و قال في سوال ابي رزين كان ربنا في عماء ما تحته هواء و ما فوقه هواء قلنا يمكن ان يقال المقصود من جواب
النبي عن السوال بيان ان الله تع منفرد بالوجود الازلي و لم يقارن بوجوده موجود اخر لكن اختلاف العبارات
لرعاية تطبيق الجواب بالسوال لان اهل اليمن قد سالوا عن اول هذا الامر اي اول وجود هذا العالم فهم من سوالهم
انهم توهموا ان قبل كل شيء موجود موجودا اخر لا الى نهاية فقال عليه السلام ردا لتوهمهم كان الله و لم يكن
قبله شيء من الموجودات لان الموجودات منتهية اليه و لم يحتج وجوده الى موجد لان وجوده القديم من ذاته
لا من علة خارجة عنه و لان ابا رزين قال اين كان ربنا فهم من سواله انه يتوهم ان كل موجود لا بد ان يكون له مكان
و جهة فدفع توهمه بقوله ما تحته هواء و ما فوقه هواء المراد من الهواء شيء موجود اي ذاته منزه عن الجهة و المكان
لانه خالق الجهات و الامكنة و الازمنة بعد عدمها فهو قبل الخلق منزه عنها كما قال النبي عم في موضع اخر كان الله
و لم يكن معه شيء فهم من هذا الحديث بطلان زعم الفلاسفة بان اصول العالم قديمة غير مسبوقة بالعدم و هي العقول العشرة
و النفوس التسعة و هيولى العناصر الاربعة مع صورتها الجسمية و واحد من الصور النوعية الاربع عند بعضهم فانهم
توهموا ان هذه الاشياء غير مسبوقة بالعدم و وجودها مقارن لوجود الباري تع في الوجود العيني فان قيل
انهم اثبتوا ذلك بالدليل العقلي فلا يعارضه خبر الواحد فلا بد ان يخرج الحديث عن ظاهره بالقرينة العقلية
قلنا ليس حجج دلايلهم في اثبات ذلك مستقيم بل ما اوردوه في اثبات ذلك من قبيل المغالطة لا من قبيل البرهان و الا
لما وقع الاختلاف بينهم ايضا لان الدليل العقلي التام اذا قام لا ينازع في مدلوله و نتيجته و لا بد لنا من اظهار
فساد عمدة دلايلهم و اقوى براهينهم على زعمهم في ذلك الباب و من اقامة دليل اقوى على اثبات مذهبنا
المنصور و بيان حدوث العالم اصوله و فروعه كما صرح بالنصوص الشرعية فاعلم اولا ان الفلاسفة كاخوانه البحث عن حقايق الاشياء لا يقدرون الا على الشهود و الارض

و شمو ٤

وقسموها الى الاعراض والجواهر واوردوا في مباحثها ابحاثا كثيرة طويلة منتهية الى تشويش قلوب المتعلمين وبحثوا ايضا عن ذات الله تع
وصفاته وعن احوال القبر والحشر والنشر والآلام واللذات في دار الآخرة على مقتضى عقولهم الفاسدة واصولهم الكاسدة
واخرجوا اكثرا من النصوص الشرعية عن ظواهرها بدون القرينة القوية والضرورة الداعية بل بمجرد مخالفتها لما يتوهمون انه برهان
عقلي مستقيم وتجرؤوا وتجاوزوا فيه عن طور العقل اذ ما قصر عقولهم عن تعقله وتوهموا ان ذلك يمتنع الى علمهم وقدرتهم
اولوا على مقتضى وهمهم او انكروه ولم يتنبهوا على ان اكثر الامور البرزخية والاحوال المعادية خارجة عن نسق العادة
ولا يدرك كنه حقيقتها وكيفيتها الا بنور النبوة مع انهم يعلمون ان اقرب الاشياء الى انفسهم وذواتهم نفوسهم وحواسهم
ولا يعلمون كنه حقيقتها اذ يختلفون في حقيقة النفس اختلافا فالاكثر وجمهور الفلاسفة وبعض اهل الديانات قالوا ان
نفس الانسانية امر مجرد يتعلق بالبدن تعلق التدبير فيه وقال البعض انها جزء لا يتجزى في القلب وقيل هي
اجزاء لطيفة سارية في البدن وقيل هي قوة في الدماغ وقيل هي القلب وقيل هي القلب والكبد والدماغ وقيل
جميع البدن وقيل الاخلاط الاربعة المعتدلة وقيل اعتدال المزاج وقيل الدم المعتدل وقيل الهواء وايضا
اختلفوا في كيفية رؤية البصر وسماع الاذان واختلفوا ايضا في قدم النفس وحدوثها اذ قال ارسطو ومن تابعه النفس
حادثة وقال بعضهم قديمة والمقصود من نقل بعض اختلافاتهم بيان انهم غير قادرين على اثبات اصول موهوماتهم
على اصلهم ايضا واغاليطهم وتموهاتهم في غير صفات الله تع وامور الآخرة كثيرة لا نشتغل الا ههنا ببيان فسادها لكن
لما كان سماع كلماتهم وتموهاتهم في صفات الله وامور الآخرة اشد ولوث صماخ المبتدئين وشوش قلوب بعض
المتعلمين شرع الفقير في اثبات اغاليطهم فيهما واعلم ان جميع ما غلطوا فيهما يرجع الى عشرين مسئلة بحث
يكفرهم عند الفقهاء في ثلث ويبدعهم في غيرها الاولى من الثلثة انهم قالوا اصول العالم قديم وهي العقول العشرة
والنفوس التسعة الفلكية والافلاك التسعة وهيولى العناصر وصورها واذا اثبت قدمها امتنع عدمها فيلزم منه
ان لا ينقطع النفوس الانسانية والحركات الفلكية وحدوث الحيوانات والنباتات والمعدنيات بسببها والثانية منها
انهم يقولون لا يتصور الحشر الجسماني الانساني واللذات والالام الجسمانية والثالثة منها انهم يقولون الله تع غير
عالم بالجزئيات لانها لا تكون الا بالحواس القائمة بالاعضاء ويلزم منه ايضا تغير علمها لتغير الجزئيات واذا عرفت
ذلك فاعلم انهم يقولون الله تع موجب بالذات لا بالارادة فلا ينفك وجوده عن الايجاد وايضا هو واحد من كل الوجوه
فيلزم منه ان لا يصدر منه الا واحد بسيط مجرد في كيفية وجودها في الممكنات ان لكل فلك من الافلاك التسعة عقل ونفس
فجرم الفلك الاول المسمى في لسان الشريعة العرش وعقله ونفسه صدرت من العقل الاول وجرم الفلك الثاني
المسمى بالكرسي في الشرع وعقله ونفسه صدرت من عقل الاول ثم وثم الى ان ينتهي الى العقل العاشر الذي
هو عقل الفلك التاسع الذي هو فلك القمر وزعموا ايضا ان صور العناصر الاربعة وصورها والحيوانات والنباتات
والمعادن وصور افرادها واعراض كلها صدرت من العقل العاشر وسبب اختلاف صورها واثارها وماهياتها
بسبب اختلاف استعداداتها الحاصلة بسبب اختلاف الحركات الفلكية فان قلت العقل العاشر بسيط كيف صدرت
العناصر الاربعة وافراد الحيوانات المختلفة والنباتات والمعادن المتنوعة قالوا سبب اختلاف الاستعداد في انواعهم
بموادها المقتضية لتلك التكثرات والصور المختلفة فان قلت موجب كون اصول العالم قديمة وكون ابناءها حادثة

مسبوقة بالعدم قالوا ان فاعلية الباري قديمة وان ايجاده واجب بالذات فيلزم منه قدم العقل الاول لانه مجرد وعلته
التامة ذات الباري فلا يجوز تخلف وجوده عنه وايضا ان الباري جواد مطلق والايجاد من اثار وجوده ولوازمه ولا يجوز
ترك ايجاده وجوده فان قلت ما موجب انحصار ايجاده على العقل الاول قالوا وحدته من كل الوجوه وابهامه بتعدد
المصدرية فان قيل ما موجب كون عقول الافلاك ونفوسها واجرامها قديمة قالوا كون العقل الاول علة تامة لوجود
عقل الفلك الاول ونفسه وجرمه وكذا عقل الفلك الاول علة عقل الفلك الثاني ونفسه وجرمه ثم وثم الى ان ينتهي الى العقل الفعال
ونفسه وجرمه فان قلت العقل الاول وعقول الافلاك بسيطة فكيف يصدر منها اشياء ثلثة وانت تزعم ان تعدد المصدرية موجب
التركيب والعلة قالوا في العقول وجود ووجوب بالغير وامكان فيصدر بكل واحد من تلك الاعتبارات الثلثة واحد من تلك الثلثة
فان قلت فعلى هذا يجب ان يصدر من العقل العاشر اشياء ثلثة مع انكم تزعمون ان صور العناصر الاربعة وصور افراد الحيوانات
والمعادن صدرت من العقل العاشر قالوا تصور تلك الصور الغير المتناهية منه بسبب اختلاف الاستعدادات الحاصلة لمواد
تلك الصور بسبب اختلاف الاوضاع الفلكية وحركاتها فان قلت لم لم يكن الصور والافراد قديمة كما كانت العقول العشرة
والنفوس الفلكية وذواتها قديمة قالوا لان صدورها موقوف على حدوث الاوضاع والحركات الفلكية فالموقوف على الحادث
يجب ان يكون حادثا فلو لم يصدروا معه صور الحيوانات والنباتات وانواعها وخلع العناصر صورها لحرموا بعدمها ولاوردوا
دلايل موهومة لاثبات قدمها واذا عرفت هذا القدر من تفاصيل مزعوماتهم وتمويهاتهم في المسئلة فاعلم ان قرر ابطال
تمويهاتهم واثبات مذهب اهل الدين والسنة ضاحة يرجع الى بيان مزعوماتهم في المسئلتين الاقيستين واظهار فساد
ايضا واثبات ما هو الحق فيها فنقول اما معنى وجوب الايجاد بالذات فان ارادوا به الوجوب الشرعي فهو ظاهر البطلان
اذ ان مع هو الله تع فلا يوجب شيء على ذاته بحيث ياثم بتركه وان ارادوا به انه مضطر في ايجاده كالموثر بالطبع
كاحراق النار وابراد الماء وذلك باطل ايضا لان له علما وقدرة فهو غير مضطر في ايجاده وتركه فكيف وهو عجز ونقصان
لا كمال وجود وان ارادوا انه متضرر بترك الايجاد فيكون واجبا وهذا اظهر في البطلان لان الله تع بريء عن التضرر
كما انه غني عن النفع وان ارادوا به ان ترك الايجاد ممتنع نقول انه ليس بممتنع بالذات وهو ظاهر فيكون ممتنعا بالغير وذلك
الغير يجب ان يكون اقتضاء الذات فاقتضاؤه وجوب الايجاد غير ظاهر لان الظاهر ان يكون مستقلا بالوجود
الازلي ويكون غيره مسبوقا بالعدم وحادثا بقدرته وارادته واما قالوا ان الايجاد اثر الجود وتركه بخل وان ذاته تعالى
علة تامة لايجاد العقل الاول غير بديهي وغير مسلمة عندنا لانا نقول لم لا يجوز ان يكون الكمال في ان يكون ذاته مستبدا
بالعدم والوجود الازلي ويكون غيره من المخلوقات مسبوقا بالعدم وصادرا عن ذاته بلا سبق مادة ومدة ووسائط
ونقول ايضا لا دليل في الشرع والعقل لوجود العقل الاول وساير المجردات بل الظاهر ان ليس غير الجهات
والامكنة وصفات الماديات مخصوصا بالله تع ولو سلم وجوده ونقول العقل الاول ممكن فنسبته الى الوجود والعدم
مساوية فلا بد من مرجح لوجوده وهو الارادة وهي صفة تخصيص احد المقدورين بالوقوع في اي وقت شاء وان قالوا
الارادة لو وجدت يكون قديمة فيلزم منه قدم العقل الاول ايضا قلنا يجوز ان يكون تعلقها حادثا لما عرفت ان معنى
الارادة الترجيح في اي وقت شاء المريد كما يريد انت الان ان تفعل افعالا معدودة مترتبة في الزمان المستقبل
وذلك امر وجداني لا يجوز انكاره فان قالوا الارادة وباقي الصفات لو كانت موجودة يكون موجدها هو الله تعالى

فيلزم

فيلزم منه ان يكون حادثة لانه فاعل بالاختيار يوجد كل شيء بالقصد والارادة وكل موجود مسبوق بالقصد يكون حادثا
مسبوقا بالعدم حالة القصد الى ايجاده مع ان الصفات قديمة عند اهل السنة قلنا لما ذهبنا الى ان صفات الله تعالى
قديمة نقول الله تع موجب بالذات بالنسبة الى صفاته او نقول الخلق والايجاد بالنسبة الى الاعيان والاعراض لا الى صفاته
تع او نقول يجوز ان يكون تعلق الارادة بالنسبة الى صفاته قديما فيكون فكيف وقد قال الخصم يلزم من قدم الارادة قدم متعلقها
والارادة مخصصة الفعل من بين الموجودات بالارادة والالزم التسلسل اشكاله كثيرة كما في قوله تع والله خالق كل شيء فانه
خارج من الشيء حتى لا يلزم كونه تعالى مخلوقا وقوله تع ليلة القدر خير من الف شهر فان ليلة القدر خارجة من الف
شهر حتى لا يلزم كونه فاضلا ومفضولا وكما في قولك الرجل ادخل الدار وامتثل من فيها والداخل خارج عمن في الدار وفي كل
كل صفة وجودية ثابتة لموصوف يجب ان يكون موصوفها موجودا قبل ثبوتها له والوجود مخصص فيها حتى لا يلزم تعدد الوجود الموصوف
او التسلسل او تحصيل الحاصل وقد عرفت ان العقل حجة كاملة من حجج الله تع فاعتبار تخصيصها اعتبار العقل علة لتلك
ذلك تعاقل والمشهورة جواب هذا السؤال عند المتكلمين قولهم ان كونه تع فاعلا بالاختيار بالنسبة الى غيره
وصفاته ليست عينه ولا غيره وهذا ليس بحل وتحقيق اذ لقائل ان يقول لما كانت صفاته ممكنة وموجودة فلابد
لها من موجد موجب او مختار واذا قلنا انه فاعل بالاختيار يلزم منه حدوث الصفات فلابد من ان يذهب لما قلنا
وقولهم فاعلية الباري قديمة يلزم منه قدم العقل الاول وما يترتب عليه من المجردات والافلاك بترتيب المعلولات على العلة
ظاهر الدفع ايضا لانا نقول لو ارادوا به فاعليته بالفعل وبدون الارادة فمصادرة وغير بديهية وسلمه عندنا لما عرفت انه فاعل
بالاختيار لا موجب بالذات فان قيل الارادة امر اعتباري فلا يكون جزء العلة قلنا النصوص الشرعية تدل على
انها امر موجود لان المفهوم من حمل الارادة على ذات الله تع يدل على ثبوت الارادة غير وجود ذاته تع فان قيل
حمل المشتقات لا يدل على وجود المبدأ قلنا مرادنا نفي مذهب الفلاسفة بظواهر النصوص الشرعية ومطابقتها
بدليل عقلي مستقيم يخرج النصوص الشرعية عن ظواهرها الدالة على الصفة غير موصوفنا فان قيل حمل المشتقات
لو كانت الارادة موجودة لزم تعدد القديم وتركب ذات الباري قلنا تعدد القديم في الذات ممنوع دون الصفات
مع ان الخصم قائل بجواز تعدد القدماء غير الذات وقولهم هو واحد من كل الوجوه وتعدد المصدر بعدم الوحدة ليس مستقيم
ايضا لان المصدرية امر اعتباري وهو نسبة وجود المخلوقات الى ذات الباري مع ان المصدرية لو استلزمت التركيب
لزم من صدور العقل الاول ايضا مع انهم يقولون يجوز ان يصدر عن البسيط الواحد كالعقل الواحد اشياء متعددة
مختلفة بشرط اختلاف الاستعدادات الخ فعلى هذا يجوز ان يصدر جميع الماديات عن ذات الباري بسبب تلك
الاستعدادات وايضا قالوا الفلك الاول وعقله ونفسه صادرة من العقل الاول باعتبار وجوده ووجوبه
وامكانه وانت تعرف ان مرادهم من الوجوب والامكان هنا امر اعتباري فيجوز ان يكون العلويات والسفليات
صادرة عن ذات الباري باعتبار الامور الاعتبارية الثابتة له وهو كونه مبدأ لجميع الموجودات وكون وجوده من ذاته
ووجوب ذاته وعالميته وقادريته وساير صفات الثبوتية والفعلية والسلبية فان الفلاسفة يقولون
بتلك الامور لكنهم يقولون هي اعتبارية وهي يجوز ان يكون سببا لتعدد الاصدار والايجاد كما في العقول على زعمهم
على زعمهم ولنا ان نقول ايضا في اثبات كونه فاعلا مختارا لا موجبا بالايجاب الذاتي ما وجه انحصار العقول

فلا يلزم من قدم فاعليته قدم العقل
ولو ارادوا به مبدأيته للممكنات فمسلم فقط
ولا يلزم منه قدم المعقول ايضا
مع انك قد عرفت ان الظاهر انه فاعل
بالاختيار صح

على العقل والنفوس والافلاك في التسعة مع ان الزيادة والنقصان عن ذلك العدد الخاص ممكن عقلا ومقتضى ان يكون
كل فلك على ذلك المقدار المعين من الغلظ والكبر حتى قالوا تدوير المريخ مثل فلك الشمس وما مرجح كون كل فلك
على مقدار مخصوص من السرعة والبطوء وجهة خاصة فان بعضها يتحرك الى جهة الشرق وبعضها الى جهة الغرب
وما موجب كون الكواكب على ذلك العدد المخصوص والمقدار والحركة واللون والوضع الخاص وكون الشمس والقمر
واحدا والباقي من السيارات والثابتات متعددة مع ان خلاف كل ذلك ممكن وايضا ما وجه انحصار العناصر
على الاربعة وما وجه اقتصار المتولدات من العناصر على ما زعموا على الثلثة وكون كل واحد من تلك الاربعة والثلثة
على ذلك الصور الخاصة والتاثير وجواز كون كل واحد منها على خلاف تلك الصور الخاصة والتاثير مع جواز
ان يكون العناصر والمولد زايدة على ذلك العدد او ناقصة عنه وما وجه اختصاص كل فرد ايضا من الحيوانات
والنباتات والمعدنيات على صورة ولون ووضع وطبيعة مخصوصة وشكل ومقدار واثر مخصوص مع ان خلاف
كل واحد منها ممكن فلا وجه لخصوصية كل من تلك الاختلافات مرجح ومخصص وهو ارادة الموجودات المتكثرة
الى ذات الله تع الا العقل الاول فلا ياتي فيه ما ذكرت قلنا قد ابطلنا ذلك واثبتنا جواز استناد الكل
الى ذات الباري بالاعتبار الذي ذكروا في جواز استناد المتعدد الى البسيط الواحد ولو سلمنا قلنا ان نقول
ما سبب انحصار سلسلة العقول المترتبة على العشر وانحصار النفوس والاجرام في التسعة وذلك ليس باقتضاء
العقول المتقدمة للعلة على زعمهم وايضا فعل العقل العاشر في الصور والاعراض على زعمهم لا في الاستعداد
والمادة فما وجه انحصار استعدادها على الاربعة في العناصر والثلثة في المولدات منها فلا بد في ذلك من مخصص
ومرجح وما ذلك الا ارادة الفاعل المختار والحكيم الجبار فان قالوا الارادة امر اعتباري عندنا فلا يكون
جزء للعلة الفاعلية قلنا يجوز لانهم قالوا اصدر من العقل الاول امور ثلثة واحدها باعتبار الذات وثانيها
وثالثها باعتبار الوجوب بالغير والامكان اللذين هما امران اعتباريان ولو سلم قلنا الارادة شرط الايجاد
فيجوز ان يكون اعتبارية وقد عرفت ايضا ان ايجاد الله تع ليس بتحريك عضو واستعمال الة بل بمجرد قصد
وارادة فيجوز ان يصدر عنه جميع ما في العالم في لحظة واحدة وارادة مقترنة فلا يلزم منه التركيب والتعدد واعلم
ان كيفية تعلق قدرة الله تع بالمقدورات سر من اسرار الله تع لا يطلع على كنه تلك الكيفية واحد من الانبياء والاولياء
عند الاكثرين ولذا قال ابرهيم عم رب ارني كيف تحيي الموتى فلا باس لنا ان نورد مثالا محسوسا ينتقش في ذهنك
مثالا لذلك المعقول فنقول ان اوضاع الاجرام الكثيفة والوانها وصورها غير ظاهرة في الظلمة ولا علم بوجودها
حتى ذهب بعض اهل الاستدلال الى ان لا وجود للون في الظلمة واذا وصل ضوء الشمس الى تلك الاجرام
الملونة يظهر وضع كل منها ولونه وصورته بسبب وصول الضوء من غير لحوق شيء من جرم الشمس اليها
واذا غربت الشمس يضمحل تلك الظهورات والتعددات ولو لم يغب الشمس لا نعلم ان تلك الظهور رشح والاختلاف ما
من ضوءها ويدخل ايضا بعض من ضوءها في كل كوة ودريجة من كوى البيوت ودريجها ولا يلزم منه التعدد
في ذات الشمس وقس عدم الممكنات على عدم ظهور الاجرام الكثيرة المختلفة في الظلمة وايجاد الباري وتاثير
قدرته فيها على طلوع الشمس وظهور الاجسام المختلفة ومرئيتها من غير صدور شيء محسوس من ذات الله تع ولحوقه

الى ملك

الى تلك الموجودات و بدون لزوم تعدد في ذاته تع لكن غيبوبة ذات الله تع عن الموجودات مع مخفي لبعض اهل الاستدلال
كون جميع الموجودات من اثار قدرته لدوام ظهوره ولذا قيل يتميز الاشياء باضدادها ولا مجال للعقل فيما
وراء ذلك من كشف تاثير قدرة الله تع في ايجاد الممكنات بطريق الاستدلال فمن لم يعرف كيفية تاثير قدرة الله تع
على سبيل التفصيل والتحقيق وحكم بان اضافة جميع الموجودات الى الله تع بدون الوسايط لا يجوز لاستلزامها
هدم و هدم اساس عاداته و حرمه كما قالوا الابد في ايجاد صورة جسمية من محل قديم و هو الهيولى ولم ينتبهوا على
ان امتناع ايجاد صورة الجسم بدون المحل بالنسبة الى قدرتهم و فهمهم لانهم لا يبصروا تصوير مقدار و وضع و شكل
بدون محل و مادة و على ان قياس قدرة الله تع و علمه على قدرتهم و علمهم لا يجوز مع انهم معترفون بذلك و قالوا
في مواضع كثيرة قياس الغايب على الشاهد لا يجوز ولاجل هذا البحث قال افلاطون استاد ارسطاطاليس الجسم
عبارة عن صورة اتصالية و لم يقل بوجود الهيولى و تبعه كثير من قدماء الفلاسفة و قال جالينوس لم يظهر لنا دليل يسمع
مقتضى قدم العالم او حدوثه فتوقف فيه و قال المتكلمون الجسم مركب من الجواهر الفردة الصغار بحيث لا يقبل
كل واحد منها التجزية لا فعلا ولا وهما و قال بعضهم يقبل التجزية وهما لا فعلا و صورة الجسم امر اعتباري
لا جوهر موجود و تردد بعض ارباب الكشف في تعيين منشاء التعددات والتكثرات الروحانية الجسمانية امو
موجود بوجود عيني في نشاة علمه او شيء ليس بموجود ولا معدوم ولا حادث ولا قديم واذا تاملت حق التامل
فهمت ان الله تع قادر على ان يوجد جميع ما في العالم العلوي والسفلي بل اضعافه والافه الى ما لا نهاية له
بارادة واحدة من غير سبق مادة و مدة ولا يلزم منه التعدد في ذاته وان حدوث الاشياء على سبيل
الترتب و التعلق باسباب عادية حادثة بحكم كثيرة و نكت غريبة يعرفها اهل الخبرة والاعتبار و ارباب البصيرة
والافكار و تخلصت عن التحير والتردد في تعيين منشاء التعددات و سكن حكم الارتياب و توجهت بقلب
صادق سليم الى التلذذ بخلوص العبادات وصفاء المباحات وانما اثبت بعض تفاصيل الكلام في بيان
تحقيق هذا المقام لان المسئلة الاولى من معاظم موهوماتهم و جلايل موهوماتهم لما عرفت ان اصول
العالم كالعقول والنفوس الفلكية و ذوات الافلاك ذاتية قدمها ممتنع عدمها عندهم لان علتها الاولى التامة
وجود الباري تع عندهم بدون انضمام امر اخر كالارادة فيلزم من انعدامها انعدامه و هو محال واذا
عرفت فساد دلايلهم الدالة على ذلك و ان كون الباري فاعلا مختارا لا موجدا بالايجاب الذاتي
وان تعدد المصدرية لا يوجب التركب وان قدم الفاعلية لا يستلزم قدم تعلق الارادة و قدم المفعول
واولوية كون العالم مع اصولها مسبوقا بالعدم علمت يقينا ان ما ورد من النصوص الشرعية الدالة
على حدوث العالم و فنائه و معاده و على الحشر الجسماني واللذات والالام الجسمانية يجب ان يجري على ظواهرها
ولا يلتفت الى التموهات الفلسفية المذكورة الدالة على الاخراج عن ظواهرها ورد كلها الى اللذات والالام
الروحانية واذا عرفت هذا القدر من بطلان دلايلهم في المسئلة الاولى من الثلثة التي اكفرهم العلماء
فاعرف فلا من بطلان دلايلهم في المسئلة الثانية من تلك الثلثة فاعلم اولا ان بعض اهل الاهواء كالكرامية
والمعتزلة و بعض الفلاسفة لما اخمدوا و طمسوا نور عقلهم و بصيرة قلبهم غلبة وهمهم و ظلمة زعمهم تهافتوا في ورطة

فانكروا حشر الاجساد بتوهم فاسد وزعم كاسد لانهم قالوا ان تعين كل انسان وتميزه من الاخر انما هو بسبب المشخصات والعوارض
من الصورة الجسمية والنوعية والزمان والوضع والكمية واذا عدمت صورة الجسمية وزالت وصيت عوارضه
المشخصة وزمانه يصير شخصا اخر لا سيما اذا اكله سبع او هوام واستحال لحمه الى لحمه او احرق وفرق اجزاؤه الى
اطراف العالم فلا يليق بعدل البارئ تعالى وحكمته ان يعذب شخصا بجناية شخص اخر او يثيب شخصا اخر
في مقابلة عبادة غيره قلنا ان نقول في بيان فساد ذلك التوهم ايضا لا نسلم ان الصورة الجسمية وساير العوارض
من الزمان والكمية والوضع من الامور الموجودة لان كل جسم عندنا مؤلف من الجواهر الصغار فالصورة والمقدار
والوضع والكمية الحاصلة بسبب الاجتماع امور اعتبارية لا تحقق لها فذلك الشخص يتفرق اجزاؤه وتفكك وضعه
وهيئته كما اذا فرقت عشرة من دراهم الى امكنة مختلفة ثم جمعتها في موضعها الاول تكون تلك العشرة بعينها
ولا يتغير بذلك جمعيتها وان اختلفت مشابهتها ووضعها الاولي ولو تبدل الجسم وتغير بتغير الزمان والوضع
والمقدار لزم ان لا يعاقب الجاني في حالة صباه او مرضه بعد كونه شابا صحيحا وان لا يصح الزام مناظر
بعد مرور ايام لتغير زمانه واوضاعه والثاني باطل اذ يجوز عقاب الجاني والمنازع في حالة الصبا والمرض
بعد كونه شابا صحيحا بالاتفاق ولو مرت عليها اعوام ولكن في هذا المقام ايضا زيادة تفصيل فنقول
ان الله تعالى عالم بجميع الاجزاء الاصلية المتفرقة في اقطار العالم من كل شخص والمختلطة باجزاء بدن شخص اخر
من السباع والهوام وقادر على تمييز جميع اجزاء ذلك الشخص بعينه من بين الاجزاء المتفرقة في اقطار العالم
ومن بين اجزاء السباع والهوام التي اكلت ذلك الشخص واختلط اجزاؤه باجزائها وعلى جمع اجزاء ذلك
الشخص بعينه وجعلها على هيئتها الاولى بعينه فيكون كل عضو ولحم وعصب على هيئتها الاولى بعينها فلا يلزم
اثابة شخص وعقابه مقام شخص اخر ولا يلزم من عدم معرفة العقل القاصر تمييز تلك الاجزاء من بين الاجزاء
الكثيرة المخلوطة وعدم قدرته على جمعها بعينها وردها على هيئتها الاولى ووضعها عدم معرفة الله تعالى اياها
وعدم قدرته تعالى على جمعها وجعلها على هيئتها الاولى بعينها لما عرفت ان قياس الغائب على الشاهد لا يجوز بالاتفاق
ولو سلم ان الجسم مركب من الهيولى والصورة نقول لا يزول بتفتت بدن الانسان وتفرقه انعدام الصورة الاصلية
كما اذا فرقت كفا من تراب الى اقطار العالم او جزات ماء في جرة الى اجزاء صغار كثيرة ثم جمعتها وجعلتها في ذلك
الكف وتلك الجرة لا تكون ذلك التراب والماء غير ذلك التراب الاول والماء الاول فان جماهير الفلاسفة يقولون
اذا اختلط العناصر الاربعة وصارت فردا من انواع المواليد الثلث كالفرس المشخص مثله لا تنعدم فيه الصورة
النوعية للماء والهواء والنار والتراب واذا انفصل كل واحد منها يتصل بصورته النوعية فيجوز ان ينفصل
كل واحد من العناصر الاربعة من بدن الانسان بعد الموت وتفرق البدن ويختلط بجنسه ثم ينفصل كل واحد من
اجزاء العناصر عن جنسه بعينه ويجتمع في بدن ذلك الانسان بعينه بدون تغير وزيادة ونقصان وذلك يسير على الله تعالى
وان كان عسرا عليك ولك ان تقول ان المعاقب والمثاب والملتذ والمتالم النفس الناطقة الحقيقية كما ان المدرك
والمخاطب المكلف في الحقيقة والاعضاء وقواها آلاتها والبدن والمقدار بمنزلة لباسها فلا يلتفت الى تغير
الاعضاء والقوى والبدن عند الحشر والمجازاة كما اذا قتل شخص انسانا بآلة ولباس ثم غير اليد واللباس

فهل يجوز للعاقل ان يقول غير ذلك القائل فلا يجوز عقابه واذا عرفت هذا القدر من التفصيل والتحقيق في المسئلتين
قلنا ان نقول في المسئلة الثالثة ان قولهم الله عالم بالكليات لا بالجزئيات لان علمه بالجزئيات يودي الى تجويز
وجود الحواس وتغيره وتغير علمه مبني على توهم فاسد وزعم كاسد ايضا لان اقتضاء العلم بالجزئي حاسة ليس لدليل
عقلي تام بل بامر وهمي اذ لم يروا الى ادراك الصوت واللون واللذة بدون الحاسة فزعموا انه ممتنع بدونها
وليس كذلك اذ يجوز ان يحيط علم الله تع بجميع الجزئيات المحسوسة بدون الحاسة وان تغير المعلوم لا يستلزم
تغير العلم فانك تعرف عند طلوع الشمس انها تغرب فاذا غربت الشمس وتغيرت من حيثياتها لا يكون محدثا
لك وسلبا متعلق علمك بالغروب فلا يلزم منه تغير علمك الاول بل يلزم تحققه مع ان الاختلاف في تلك المسئلة
راجع الى تفسير العلم فمن قال انه نسبة بين العاقل وصورة العقل المعقول يقول ان الله تع عالم بالجزئيات على وجه جزئي
ومن قال انه نسبة بين العاقل وصورة المعقول يقول انه عالم بها على وجه كلي لان ادراك الحواس ليس بعلم
فيجوز ان يكون علم الله تع عبارة عن النسبة بين العاقل وذات المعقول او عبارة عن الادراك او عن صفة
قايم بذاته وهذا القدر ايضا يكفي في المسئلة الثالثة وقد اورد المتكلمون هذه المسائل الثلث في كتبهم ونقلوا
دلايل اهل الاهواء فيها واشتغلوا بابطالها بايراد الدلايل والمنوع المشتملة على المقدمات الكثيرة العسر التصور
التي بحيث يتعسر ضبطها ولا يشفي قلوب المتعلمين باظهار ابطالها فلا ينقلع مادة الشبهة عن قلوبهم
لعدم استقامة اكثر مقدماتهم فيميل اكثر المتبادين الى مذهب اهل الاهواء لموافقة اكثر مقدماتهم لالف الوهم
والعادة وقد استفشى هذا الفقير من مناظرة كثيرة من اهل الاستدلال وسوالهم اياه عن معاصرهم اصول
مذاهبهم ما نزل على قلوبهم ولذا ارتكب ما في نقل اصول مذاهبهم الباطلة ودلايلهم العاطلة واشتغل باظهار
فسادها واثبات ما هو الحق بكلام موجز مكشوف وبالبراهين المعنية مكشوف كما اورد بعض المتاخرين
من المتكلمين اصول الفلاسفة والمعتزلة وساير اهل الاهواء في كتبهم لابطالها بالدلايل الشرعية والعقلية حتى يوقعوا
بذلك شبه المسلمين ويردوهم من سماع كلام اهل الاهواء لانتشار مذاهبهم في هذا الزمان ولذا قال بعض العلماء
تعلم علم الكلام فرض كفاية وان ذهب اكثرهم على حرمة تعلمه لفساد قلوب اكثر المتعلمين من سماع
ولخوف الفتنة والخلل والاجتناب عن الاثم والزلل من سماع كلامهم لم يشتغل ولم يتعمق ايمتنا
كابي حنيفة وصاحبيه في البحث عن صفات الله تع وحقايق مخلوقاته بايراد الدلايل المطنبة المفصلة الدالة
على كيفيتها وابطال مذاهب اهل الاهواء فيها كما فعل بعض متكلمي اصحابنا كذلك كابي منصور وغيره
لعلمهم بان معرفة كيفية صفاته تع وتفاصيل حقايق مخلوقاته بحر عميق لا يسلم الغايص فيه عن الآفة
غالبا ولا يسال المكلف في الاخرة عن معرفتها ولا يعاقب على ترك تعلم التعمق فيها لاعدام معرفتهم بها مثل
ما عرفها اهل الاهواء والمتاخرون من متكلمينا لان تحقيق تلك العلوم موقوف على تهذيب الباطن عن الاخلاق
المذمومة والمشتهيات النفسانية الفانية وتحليتها بالاوصاف المحمودة والملكات الفاضلة وتوشيح الظاهر
بالعبادات الشرعية والطاعات السنية وهم كاملون في ذلك فيكون ترك توغلهم في ذلك العلم لما ذكرنا لا لضعف
معرفتهم بل اشتغلوا بفرعيات العلوم الفرعية وتشعبات المسائل الفقهية كالعبادات الظاهرة والمعاملات

والمواجرات وبنوا فيها الاحكام النادرة بحيث يعذر وقوعها عادة وذلك للنزعات والتشعبات لغلبة افهامهم على عباد الله وقصدهم الى ان مثل تلك المسائل النادرة لو وقعت لا يتحيرون في معرفة احكامها لا لتحصيل الجاه والشهرة لان ذلك من اعظم الافات واقبح المنكرات عندهم لكن بعض اهل المكاشفة وارباب المراقبة تعمقوا في البحث عن كيفية وجود ذات الله تع وكيفيات صفاته ومراتب تنزلات الاسماء والصفات وكيفية نشأ التعدد والتكثرات في العلويات والسفليات ومراتب المكاشفات واثبت بعضهم تلك الامور بوجه الاستدلال والبرهان وبعضهم بطريق الكشف والعيان ووقع في اثناء مباحثهم وبياناتهم ما يخالف ظواهر بعض النصوص الشرعية كما قالوا بان وجوده تع وصفاته عين ذاته لا امر زايد وبان المجردات موجودة وايجاد البارى تع بالايجاب الذاتى وبعدم تاثير قدرة العبد في افعاله الاختيارية وكذلك الانصاف والعقل لا ينكر ما صدر منهم فيما لا يجب الكار لانهم لم يقولوا ما يخالف ظواهر الشرع لتلذذهما ولاجل اظهار فضلهم ومرتبتهم في الكشف واى الان فذلك ذنب عظيم وابطال حال ورفعة عندهم بل بحظ اهل الذوق والكشف الذين جاؤا بعدهم ولم يسعفهم شرف المصاحبة والمجاورة معهم فارادوا ان يجاوروهم بوجه المراسلة وتصاحبوهم بوجه المكاتبة بعد الموت والمغايبة فمن لم يتشرف بعلم الذوق والمكاشفة يجب عليه ان يطالع كتابهم حتى لا يؤدي ذلك الى التردد والانكار لان لكل احد مطلقا ومراما ولكل حزب مذهبا ومقاما وحكاية موسى وخضر عليهما السلام يرشدك الى ذلك لو تدبرت بوجه الجزم والاعتبار ويجب ان يتبع امامه ومقتداه حنفيا كان او شافعيا في الامور الاعتقادية والفرعية لان المجتهدين يجوز لهم بل يجب ان يعلموا فيما فهموا من ظواهر النصوص الشرعية وما ادى اليه رايهم بعد الجد والجهد على وجه الفكر والطاقة على وجه الشرع والله لا يعاتب على الخطاء اذا ادى وظايف الاجتهاد المعلومة

باب المبعث عن عكرمة عن ابن عباس قال مكث النبي عم بمكة ثلث عشر سنة يوحى اليه ثم امر بالهجرة فهاجر عشر سنين ومات وهو ابن ثلث وستين سنة وعن عمار روى عن ابن عباس انه قال اقام بمكة خمس عشر سنة يسمع الصوت ويرى الضوء سبع سنين وثمان سنين يوحى اليه واقام بالمدينة عشر سنين فان قلت كيف يروى عن ابن عباس انه قال يوحى اليه بمكة ثلث عشر سنين وروى ايضا انه قال يوحى اليه فيها ثمان سنين فنقول قد عرفت ان الاقل يجوز ان يدخل في الاكثر ولا منافى بينهما لان ذكر عدد الاقل لا ينافى الزيادة ويجوز ان يقال ظهر لابن عباس بامارات ان النبي عم انه يوحى اليه ثمان سنين فاخبر به ثم ظهر انه يوحى اليه ثلث عشر سنين وروى ايضا انه يوحى اليه فاخبر به فان قلت هذا يدل على ان الصحابة العدول قد يروون الحديث بالظن والتخمين لا على سبيل العلم واليقين قلنا يجوز ذلك في الامور الدنيوية من التواريخ وغيرها في الاحكام الدينية لانهم يحتاطون في امور دينهم غاية الاحتياط وسنين مدة الوحى ليس من وظايف العبادات كتعيين سن رسول الله عم ولذا اختلفوا فيه ايضا اذ يروى عن ابن عباس انه قال توفى رسول الله وهو ابن خمس وستين وروى عنه انه توفى وهو ابن ثلث وستين وقال محمد بن اسمعيل رواية ثلث وستين اكثر ولو سلم ان العدول يجب عليهم ان يحتاطوا في امر الدنيا ايضا عند الرواية لكن الانسان لا ينجوا عن السهو والنسيان فلعلهم نسوا بعض مدة الوحى للنبي عم وسنه لاجل اهتمامهم وشدة اعتنائهم بالعمل بمقتضى قوله وحاله لا بعد سنه ومدة وحيه

باب المبعث

وتكلم

ومكثه في مكة والمدينة بخلاف افعالنا واحوالنا فانا استقصينا في حفظ التواريخ و مدد الاعيان والانبياء
بما فات عنا من وظايف الاحسان و مواجب الايمان ونرجوا من فضل ربنا الرحمن ان لا يجعل خاليا على ذلك
في اخر الازمان **فصل في المعراج** عن قتادة عن انس بن مالك بن صعصعة ان نبي الله عم حدثهم
عن ليلة اسري به فقال بينما انا في الحطيم وربما قال في الحجر مضطجعا اذ اتاني آت فشق ما بين هذه الى هذه
يعني من بين نحره الى شعرته فاستخرج قلبي ثم اتيت بطست من ذهب مملو ايمانا فغسل قلبي ثم حشي
ثم اعيد وفي رواية ثم غسل البطن بماء زمزم ثم ملاء ايمانا وحكمة ثم اتيت بدابة دون البغل وفوق الحمار
ابيض يضع خطوه عند اقصى طرفه فحملت عليه فانطلق بي جبرئيل حتى اتى السماء الدنيا فاستفتح قيل من هذا
قال جبرئيل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد ارسل اليه قال نعم قال مرحبا به فنعم المجيء جاء ففتح فلما خلصت
فاذا فيها آدم فقال هذا ابوك آدم فسلم عليه فسلمت عليه فرد السلام فقال مرحبا بالابن الصالح والنبي الصالح
ثم صعد بي حتى اتى السماء الثانية حاصل المعراج ان كل سماء فعل به ما فعل في السماء الاول وراى عيسى ويحيى
وهما ابنا خالة في السماء الثانية ويوسف في السماء الثالثة وادريس في السماء الرابعة وهارون في السماء الخامسة وموسى
في السماء السادسة غير ان موسى قيل له ما يبكيك قال ابكي لان غلاما بعث بعدي يدخل الجنة من امته اكثر
ممن يدخلها من امتي واعلم انه لم يبك ولم يفعل ذلك للحسد بل لقصوره في الجهد وقصور امته في المتابعة
والطاعة لان كل نبي قابل لان يبلغوا الى اعلى المراتب في النبوة اذا اجتهد وقابل امته لان يصل الى مرتبة امة محمد
اذا اجتهدوا في الطاعة فعدم البلوغ للتقصير من قبلهم لا من قبل فضل الملك الكريم والرب الرحيم وراى
ابرهيم في السماء السابعة وقال النبي عم ايضا ثم رفعت الى سدرة المنتهى فاذا نبقها مثل قلال هجر واذا ورقها
مثل آذان الفيلة قال هذا سدرة المنتهى فاذا اربعة انهار نهران باطنان ونهران ظاهران قلت ما هذا
يا جبرئيل قال اما الباطنان فنهران في الجنة واما الظاهران فالنيل والفرات ثم رفع الى البيت المعمور
ثم اتيت باناء من خمر واناء من لبن واناء من عسل فاخذت اللبن فقال هي الفطرة التي انت عليها وامتك
ثم فرضت علي الصلوات علي خمسين صلوة كل يوم فرجعت فمررت على موسى فقال بما امرت قلت امرت
بخمسين صلوة كل يوم قال ان امتك لا تستطيع خمسين صلوة كل يوم واني والله جربت الناس قبلك وعالجت
بني اسرائيل اشد المعالجة فارجع الى ربك فاساله التخفيف لامتك فرجعت فوضع عني عشرا فرجعت
الى موسى فقال مثله فرجعت فامرت بعشر صلوات كل يوم فرجعت الى موسى فقال مثله فرجعت فامرت
بخمس صلوة كل يوم كل يوم فرجعت فقال بما امرت قلت امرت بخمس صلوات كل يوم قال ان امتك
لا تستطيع خمس صلوات كل يوم واني قد جربت الناس قبلك فعالجت بني اسرائيل اشد المعالجة فارجع
الى ربك فاساله التخفيف قال النبي عم سالت ربي حتى استحييت ولكني ارضى واسلم قال فلما جاوزت
نادى مناد امضيت فريضتي وخففت عن عبادي وروى ثابت عن انس ان رسول الله عم قال
اتيت بالبراق وهو دابة ابيض طويل فوق الحمار دون الفرس فركبته فاتيت بيت المقدس فربطته
بالحلقة التي ربطها الانبياء ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين ثم خرجت فجاءني جبرئيل عم باناء من خمر واناء من لبن

فاخترت اللبن فقال جبريل اخترت الفطرة ثم عرج بنا الى السماء وقال في السماء الثالثة فاذا انا بيوسف اذا هو اعطي
شطر الحسن وقال في السماء السابعة ابرهيم مسند ظهره الى البيت المعمور واذا هو يدخله كل يوم سبعون الف ملك
لا يعودون اليه ثم ذهب بي الى سدرة المنتهى فاذا ورقها كاذان الفيلة واذا ثمرها كالقلال فلما غشيها من امر الله
ما غشيها تغيرت فما احد من خلق الله ان يعنها من حسنها واوحى الي ما اوحى ففرض علي خمسين صلوة في كل يوم
وليلة فنزلت الى موسى وقال فلم ازل ارجع بين ربي وبين موسى حتى قال انهن يا محمد خمس صلوات كل يوم
وليلة لكل صلوة عشر فذلك خمسون صلوة من هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة فان عملها كتبت له عشرا ومن هم
بسيئة فلم يعملها لم تكتب شيئا فان عمل كتبت سيئة واحدة عن ابن شهاب عن انس انه قال كان ابو ذر يحدث
ان رسول الله عم قال فرج عن سقف بيتي وانا بمكة فنزل جبريل ففرج صدري ثم غسله بماء زمزم ثم جاء
بطست من ذهب ممتلئ حكمة وايمانا فافرغه في صدري ثم اطبقه ثم اخذ بيدي فعرج بي الى السماء فلما جئت
الى السماء الدنيا قال جبريل لخازن السماء افتح فلما فتح علونا السماء الدنيا فاذا رجل قاعد على يمينه اسودة
وعلى يساره اسودة اذا نظر قبل يمينه ضحك واذا نظر قبل شماله بكى قال جبريل هذه الاسودة نسم بنيه
فاهل اليمين اهل الجنة واهل الشمال اهل النار وقال ابن شهاب اخبرني ابن حزم ان ابن عباس وابا حبة
الانصاري كانا يقولان قال النبي عم ثم عرج بي حتى ظهرت لمستوى اسمع فيه صريف الاقلام الى ان قال ثم
انتهى الى سدرة المنتهى وغشيها الوان لا ادري ما هي ثم ادخلت الجنة فاذا فيها جنابذ اللؤلؤ واذا ترابها
المسك عن عبدالله بن مسعود انه قال لما اسري به انتهى الى سدرة المنتهى وهي في السماء السادسة اليها
ينتهي ما يعرج به من الارض فيقبض منها واليها ينتهي ما يهبط به من فوقها فيقبض منها اذ يغشى السدرة
ما يغشى قال فراش من ذهب قال فاعطي رسول الله ثلثا الصلوات الخمس وخواتيم البقرة وغفر لمن لا يشرك
بالله من امته المقحمات عن ابي هريرة انه قال قال رسول الله لقد رأيتني في الحجر وقريش تسألني عن مسراي
فسألتني عن اشياء من بيت المقدس لم اثبتها فكربت كربا ما كربت مثله فرفعه الله لي انظر اليه ما يسألوني
عن شيء الا انبأتهم وقد رأيتني في جماعة من الانبياء فاذا موسى قائم يصلي فاذا رجل ضرب جعد كانه
من رجال شنوءة واذا عيسى قائم يصلي اقرب الناس به شبها عروة بن مسعود الثقفي واذا ابرهيم قائم
يصلي اشبه الناس صاحبكم يعني نفسه فحانت الصلوة فاممتهم فلما فرغت من الصلوة قال قائل يا محمد هذا
مالك خازن النار فسلم عليه فالتفت اليه فبدأني بالسلام فعلت فان قلت قد وقع الاختلاف
بين الاحاديث الواقعة في وصف المعراج وقصته مع ان المعراج واحد في الوجه الاصح فكيف وجه التطبيق والجمع
بينها قلنا لا بد لنا اولا بيان وجه الاختلاف وتصريحه ثم جمعه وتوفيقه اما الاول فانه عم قال في بعض
الاحاديث ابتداء العروج من الحطيم او من الحجر وفي بعضها من بيت ام هانئ وفي بعضها فرج عن سقف
بيتي وانا بمكة فنزل جبريل ففرج صدري وقال ايضا في بعض الاحاديث غسل قلبي بماء وفي بعضها بطست
بماء زمزم وفي بعضها ففرج جبريل صدري ثم غسله بماء زمزم ثم جاء بطست من ذهب ممتلئ حكمة وايمانا
فافرغه في صدري ثم اطبقه ثم اخذ بيدي فعرج بنا وقال في بعضها حتى اتى جبريل السماء الدنيا فاستفتح قيل

من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد وقد ارسل اليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجيء جاء واخبر وصوله
الى بعض الانبياء في بعض السماء وسلامه عليهم وردهم اياه وزاد على ذلك في بعض الاحاديث وقال ركبت
البراق واتيت بيت المقدس فربطته بالحلقة التي يربط بها الانبياء ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين
ثم خرجت فجاءني جبريل باناء من خمر واناء من لبن فاخترت اللبن فقال جبريل اخترت الفطرة ثم عرج بنا الى
السماء فاذا انا بيوسف في السماء الثالثة وقد اعطي شطر الحسن فرحب ودعا لي بخير وقال في السماء
السابعة ابرهيم مستند ظهره الى البيت المعمور واذا هو يدخل كل يوم سبعون الف ملك لا يعودون وقال
في حديث اخر رايت ابرهيم في السماء السابعة ولم يذكر شيئا اخر وقال في حديث اخر آدم في السماء الاول قال
جبريل هذا ابوك فسلم عليه فسلمت عليه فرد السلام فقال مرحبا بالابن الصالح والنبي الصالح وقال في حديث
اخر علونا السماء الدنيا فاذا رجل قاعد على يمينه اسودة وعلى يساره اسودة اذا نظر قبل يمينه ضحك واذا نظر
قبل شماله بكى قال جبريل هذه الاسودة نسم بنيه فاهل اليمين اهل الجنة واهل الشمال اهل النار وقال في بعض
الاحاديث سدرة المنتهى في السماء السابعة فاذا اربعة انهار نهران باطنان ونهران ظاهران وقال في بعضها سدرة المنتهى
في السماء السادسة اليها ينتهي ما يعرج وما يهبط وغشيها فراش من ذهب واعطي الصلوات الخمس وخواتيم سورة
البقرة وغفر لمن لا يشرك بالله المقحمات وقال في بعض الاحاديث وقد رايتني في بيت المقدس مع جماعة من الانبياء
وموسى قائم يصلي فاذا رجل جعد وعيسى قائم يصلي اشبه الناس به عروة بن مسعود وابرهيم يصلي اشبه الناس
به صاحبكم فحانت الصلوة فاممتهم مع انه قال في حديث اخر رايت الانبياء في السموات قلنا قد عرفت
كيفية التوفيق في امثال هذا الاختلاف من القواعد المذكورة لا سيما فيما ذكرت في جمع الاختلافات المذكورة
الواقعة في القبر وامثاله فان اردت التفصيل والتصريح هنا ايضا يجوز ان يقع الافعال والاقوال المذكورة
في معراج واحد لكن رسولنا عم ذكر بعضها في موضع وبعضها في موضع اجمل تارة وفصل اخرى بحسب
اقتضاء المقام ولا اقتضائه مثلا يجوز ان يقع ابتداء العروج من بيته عم ومن مقام نائم لبعض منه
وذهب منه الى الحطيم والحجر للتبرك كما ذهب الى القدس ثم عرج منه الى السماء للتبرك وان يقع شق الصدر فيه وعرج
قلبه وغسل في طست من ذهب مملي ايمانا وحكمة وغسل صدره وبطنه ايضا لتصفية وازالة الدم الكائن
الذي هو مبدأ الاخلاق المذمومة والافعال السيئة بحسب الطبيعة الشهوة العظمى حتى صار قابلا للكمالات البشرية
وملي ايمانا وحكمة كما غسل في حالة صباه ايضا فذهب الى بيت المقدس لفوائد وحكم يعلمها الله تع من التشرف
بالامكنة المتبركة في وجه الارض اولا كما تشرف باماكن العالم العلوي ورؤية عجائبها ثانيا وانت تعرف
ان المقصد الاعلى من المعراج الاطلاع على كمال عظمة الله تع وكمال علمه وقدرته بالاطلاع على غرائب العالم
العلوي لان الله تع منزه عن المكان والزمان والجهة ورؤية الانبياء في بيت المقدس اولا لا ينافي رؤيته اياهم
في السموات لكون طي الزمان والمكان من خواص الاولياء الذين هم تحت اقدام الانبياء في الرتبة ثم عرج الى السماء
الدنيا وراى آدم عم فيها وفي يمينه اسودة وفي يساره اسودة وراى يوسف مع شطر من الحسن وسلم عليه
ورد يوسف سلامه وراى ابرهيم في السماء السابعة وهو مستند ظهره الى بيت المعمور واذا هو يدخل كل يوم

الدارم

سبعون الف ملك ويجوز ان يوتى اناء من خمر واناء من لبن في بيت المقدس وان يوتى اناء من خمر واناء من لبن واناء من عسل عند وصوله الى البيت المعمور ويجوز ان يكون اصل سدرة المنتهى في السماء السادسة واغصانها في السماء السابعة كما روي في بعض الاحاديث ان اصلها في الارض ويخرج منها نهران النيل والفرات ويوتى في سدرة المنتهى فراشا من ذهب وانواعا من العجايب والغرايب الحاصل يجوز ان يرى في المعراج عجايب وغرايب لا يحصى من اصناف صور الملايكة وطبقات السموات والجنة ويقع فيه افعال واقوال واسرار لا يعد ولا يحصى وذكر بعضها بحسب اقتضاء المقام وافهام الانام ولم يذكر احدها وقد حكى بعض العلماء بعض العجايب في قصة المعراج وقال بعض الشراح في التوفيق وقع المعراج مرتين مرة في النوم ومرة في اليقظة فبعض الاحاديث يخبر عما وقع في النوم وبعضها عما وقع في اليقظة وذلك صحيح لكن لا يتم ذلك في سدرة المنتهى الا بما ذكرنا من التاويل وقد وقع مثل هذه الاختلافات في قصص الانبياء المذكورة في القرآن وقال بعض المفسرين في التوفيق اصل المعنى والمقصود متحد ولا باس في اختلاف العبارات وانت تعرف ما فيه لان القرآن في اعلى طبقات البلاغة وقد يشعر الاختلاف باختلاف النظم الدال على الخواص الزايدة ولا يتم التوفيق فيها الا بما ذكرنا في توفيق احاديث المعراج وقد تعرض هذا الفقير في تفسيره ايضا للجمع والتوفيق فيما يرى من التدافع الظاهري بين الآيات وبينا فيه النكتة فيما جرى على خلاف الظاهر من التبديلات والتكميلات لدفع تردد المتبدين

فصل في المعجزات

قال ابو بكر الصديق رض في بيان الهجرة من مكة الى المدينة نظرت الى اقدام المشركين على راسنا ونحن في الغار فقلت يا رسول الله لو ان احدا نظر الى قدمه لرآنا فقال يا ابا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما وقال لما وصل سراقة قلت اتينا يا رسول الله لا تحزن ان الله معنا فدعى النبي عم فارتطم فرسه الى بطنها في جلد من الارض ولما قصد ابو جهل الى ان يطأ رقبة رسول الله في سجدته في الصلوة راى خندقا من نار والملايكة حاضرة حتى لو دنا الى رسول الله لاختطفته الملايكة وقطعوه اربا اربا وقتل رؤس مكة مع الف من جيوش الكفار ونزلوا ببدر لكي يخرجوا رسول الله من المدينة ويزعجوا الصحابة من عندهم حتى لا تظهر دينه فاستقبلهم رسول الله مع ضعفاء المهاجرين والانصار وهم ثلثمائة فنزل جبريل وميكائيل مع الملائكة المسومين فهزموا جيش الكفار وهزموهم واخذوا رؤساء الكفار ورمى ايضا رسول الله عم يوم حنين كفا من الحصباء ودخل عيون جمع الكفار وهم اربعة آلاف فانهزموا فان قلت اذا كان لرسول الله تلك المعجزات والقدرة على دفع الاعداء ومضارهم فما معنى الهجرة والفرار من الاعداء وحفر الخندق في المدينة بخوفهم وانهزام المومنين وشج راس رسول الله وكسر رباعيته وشهادة جمع من الاصحاب يوم احد واجتهاد رسول الله عم في الدعاء والتضرع لدفع مضار الاعداء قلنا اعلم ان كل فعل من افعال الله تع لا يخلو عن حكمة ومصلحة وعقول الانام قاصرة عن تفاصيل حكمة كل افعاله وصفاته فان العلماء الكمل وارباب القلوب تكلموا في وحدانية الله تع وصفاته وبينوا فيها قواعد وضوابط لكن ما شرع واحد منهم في بيان قواعد وضوابط يفهم منهم مصالح جزئيات افعاله وحكم تفاصيل صنايعه واتفق الكل على ان كل فعل من افعاله مشتمل على حكمة ومصلحة وحكمة بعض افعاله يظهر بالتأمل وحكمة بعضها لا يظهر بكثرة التدبر فان حكمة ابتلاء الكفار والعصاة وابتلائهم بالمصايب ظاهرة وهي عصيانهم ومخالفتهم لامر الله وحكمة لكن معلمة ابتلاء

فصل المعجزات

موضحه

بعض

بعض العلماء وغير المكلفين من الصبيان والمجانين مثل القحط والوباء والغم والقتل لا الظهور ويمكن ان يقال
هنا لو استوليا النبي عم على الاعداء اما بالحرب والاستيلاء بحيث لا يتخلف بطهر الامر وسقط الابتلاء والايمان
بالغيب مع ان في الصبر والتحمل على البلاء والمصايب فوائد جسيمة وعوايد عظيمة ودرجات رفيعة لا يحصل
الا بالمصايب والبلايا بالغلبة والاستيلاء والى ذلك اشار النبي عم بقوله ان العبد اذا سبقت له من الله تع منزلة
لم يبلغها بعمله ابتلاه الله في جسده او في ماله او في ولده ثم صبر على ذلك حتى يبلغه المنزلة التي سبقت له من الله
ومع ان اصول اكثر المصايب كان بسبب ذنب وذلك كما انهم في احد كالموا رسول الله وعجبهم في غزوة حنين
ومن بعض فوايد المصايب انكسار القلب ومعرفة العجز والتواضع والتضرع والتوجه الكلي والتوصل
الى مرتبة الصابرين ووصول بعض الصحابة الى مرتبة الشهادة وان تعالى وصول الماسد والمسئول من الله
موقوف على التوجه الكلي والحضور التام وذلك لا يحصل في كل الاوقات لازدحام العوارض النفسانية وهجوم
الهواجس الطبيعية الغير الاختيارية كما ان والى ذلك النبي عم بقوله انه ليغان على قلبي فاستغفر الله كل يوم
مائة مرة وقد عرفت ايضا ان استجابة الدعاء موقوفة على استجماع الشرائط ومن جملتها كون المسئول
من المعلقات واذا كان من المبرمات يكون فائدة الدعاء المثوبة لا الاجابة والله اعلم

باب مناقب الخلفاء الراشدين

قال النبي عم في حق ابي بكر رض لو كنت متخذا خليلا غير ربي لاتخذت
ابا بكر خليلا وقال عم ما لاحد عندنا يد الا وقد كافيناه ما خلا ابا بكر فان له عندنا يدا يكافيه الله
بها يوم القيمة وقال لابي بكر ايضا انت صاحبي في الغار وصاحبي في الحوض وقال لا ينبغي لقوم فيهم
ابو بكر ان يؤمهم غيره وقال لابي بكر ايضا انك اول من يدخل الجنة من امتي وقال النبي عم في حق
عمر بينا انا نائم رايت الناس يعرضون علي وعليهم قمص منها ما يبلغ الثدي ومنها ما دون ذلك
وعرض علي عمر بن الخطاب وعليه قميص يجره قالوا فما اولت ذلك يا رسول الله قال الدين وقال
ايضا بينا انا نائم رايتني على قليب عليها دلو فنزعت منها ما شاء الله ثم اخذها ابن ابي قحافة فنزع منها
ذنوبا او ذنوبين في نزعه ضعف والله يغفر له ضعفه ثم اخذ ابن الخطاب من يد ابي بكر فاستحالت
في يده غربا فلم ار عبقريا يفري فريه حتى روي الناس وضربوا بعطن وقال عم ان الله وضع الحق
على لسان عمر وقلبه وقال عمر لابي بكر يا خير الناس بعد النبي رسول الله وقال ابو بكر اما انك ان قلت ذلك
فلقد سمعت رسول الله يقول ما طلعت الشمس على خير من عمر وقال لو كان بعدي نبي لكان عمر بن الخطاب وقال
النبي عم في حق عثمان لكل نبي رفيق ورفيقي في الجنة عثمان وقال النبي عم في حق علي انت مني بمنزلة
هارون من موسى الا انه لا نبي بعدي وقال ان عليا مني وانا منه وهو ولي كل مؤمن وقال من كنت
مولاه فعلي مولاه وعن انس انه قال كان عند النبي طير فقال اللهم ائتني باحب خلقك اليك يأكل
معي هذا الطير فجاءه علي فاكل معه وقال انا دار الحكمة وعلي بابها فان قلت قد فهم مما ذكرت من ظواهر الاحاديث
المذكورة ان عمر افضل من ابي بكر وعلي افضل من عمر واحب الى رسول الله فكيف جاز تاخير علي في الخلافة
وتقديم ابي بكر على جميع الصحابة في الخلافة قلنا لما اجتمع العلماء والصحابة الكاملون في علم الشريعة والسنة

على اولى الناس بالامامة ابو بكر رض ثم عمر دل على ذلك على انهم المعوا على دليل راجح في الدلالة على تقدم ابو بكر على الخلفاء
الثلثة في الخلافة لان الاحاديث الواردة في مناقبهم وفضائلهم ليست مقصورة على ما ذكره محيي السنة في المصابيح
مع ان قوله عم لا ينبغي لقوم فيهم ابو بكر ان يؤمهم غيره يدل على انه اولى بالخلافة من غيره و ترجيح
غيره عليه بالفضائل الغير الراجعة الى الامامة والخلافة لا ينافي ذلك لما عرفت ان جهات التفضيل مختلفة
يجوز ان يفضل احد على احد في فضيلة خاصة ويفضل المفضول عليه عليه بجهة اخرى وكذا تقدم عمر على غيره
كان بجهة راجعة الى باب الخلافة و تفضيل علي على عمر لا ينافي ذلك بجهة اخرى ككونه ابن عم النبي وختنه
وقوله عم انت مني بمنزلة هرون من موسى لا يدل على ان يكون القرابة لا تقدمه في الخلافة بعد وفات النبي عم اذ روي
ان سبب صدور هذا الحديث ان النبي عم ذهب الى غزوة تبوك وترك عليا في المدينة وقال بعض المنافقين
استثقل عليا وكذا تركه فقال عم انت مني بمنزلة هرون لرد ذلك الطعن وتسلية قلبه يعني قال تركتك
للقوم متعاهدا فيهما كما قام هارون مقام موسى عند ذهابه الى الطور وهذا لا يدل على تقدمه في الخلافة
لانه ترك ابن ام مكتوم مرتين في المدينة خليفة عند ذهابه الى الغزو وقوله وعلي ولي كل مؤمن اي محبه
ومحبوبه لا حاكمه قال الله تع انما وليكم الله ورسوله والذين امنوا وكذا قوله فعلي مولاه اي محبه لان
احبه رسول الله وينصره فعلي يحبه وينصره وقيل سبب هذا الحديث ان اسامة بن زيد قال لعلي انت
لست مولاي انما مولاي رسول الله فقال النبي عم ذلك الحديث لرد قول اسامة وبيان ان عليا
ابن عمه نفسه كنفسه فيجوز له ان يتصرف في مواليه ومماليكه وقوله احب خلقك ليس بجار على عمومه لانه ليس
احب من رسول الله عم فيكون المراد احب خلقك من اقاربه ومن عمه او المراد من اسم التفضيل الزيادة
في حد نفسه لا زيادته على غيره فلا يلزم منه ان يكون مفضلا على الخلفاء الثلثة في باب الخلافة والخلافة المطلق واراده المقيد
كثير في كلام الحرك الشارع وقد عرفت امثاله وقد عرفت ايضا ان جهات التفضيل مختلفة وعرفت بعض امثلة
في باب تفضيل الذكر على غيره من العبادات بجهة خاصة وفي تفضيل بعض الانبياء على بعض بفضيلة مخصوصة
وتفضيل نبينا عم على غيره بجهات فارقة وان بعض جهات التفضيل يكون بحيث لا يعادلها جهات
كثيرة من جهات التفضيل وان اردت ان تسمع بعض تفاضلها منا فاعلم ان ابا بكر رض يجوز ان يكون
مفضلا على غيره في باب الخلافة من جهة قوة يقينه وتوكله وكمال جوده وعدم محبة الدنيا والزهادة في قلبه
وكمال وقاره وكبر سنه وسائر ما ينا سب الخلافة من الشرائط ويكون بعد ذلك عمر اولى الناس بالامام
والخلافة من سائر الصحابة باعتبار قوة الصلابة الدينية والفرق بين الحق والباطل وكمال الفراسة والامر بالمعروف
والنهي عن المنكر كما يحكى ان الحبشة التي تزفن عند رسول الله وعائشة تنظر فلما رات عمر رض قربت وتفرقت الحبشة
وقال النبي عم ان الشيطان لا يدخل في طريق سلك فيها عمر وان جارية تضرب الدف عند رسول الله فدخل ابو بكر
وعلي وعثمان رض وهي تضرب فلما دخل عمر القت الدف تحت استها فقعدت عليها فقال النبي عم ان الشيطان
ليخاف منك يا عمر فان قلت اذا كان ضرب الدف ورقص الحبشة فعله منكرا لم يمنع رسول الله ذلك ورخص
لعائشة النظر الى رقص الحبشة قلنا ضرب الدف والرقص يجوز ان يكون منكرا مكروها لكن يكون مباحا اذا

ادر نصر

اذا تضمن مصلحة راجحة كالكذب فانه حرام لكن ابيح في ثلثة مواضع لمصلحة راجحة على قبحه ومنها اباه وهي رفع العداوة بين المسلمين
والحرب وطلب رضاء احد الزوجين الاخر فيجوز ان يرجح كراهة ضرب الدف لمصلحة العرس والعيد كما قال
النبي عم سمعوا فان الانصار يعجبهم الغناء وكما ان الجاريتين تدففان في العيد فنهاهما ابو بكر فقال النبي عم لابي
بكر دعهما فانها ايام عيد ومثل الجارية التي ضربت الدف عند رسول الله وقد نذرت وقالت لو هزم النبي عم
الكفار وعلت عليهم لاضرب الدف عند رسول الله فقالت لرسول الله اني نذرت ان اضرب الدف فاذن
لها رسول الله بالضرب فان قلت اذا كان كذلك ينبغي ان لا يقول رسول الله ان الشيطان ليخاف منك يا عمر قلنا
يجوز ان يكون ضرب الدف وكذا والرقص منكرا لتطويل واجتماع الناس المؤدي الى اللعب والبطالة
والغفلة ولذا قال النبي عم لعايشة عند تطويل نظرها الى رقص الحبشة اما شبعت ويجوز ان يكون ضرب
الدف والرقص رخصة او مكروها وعدم منع النبي عم لبيان جوازه واستحسان فعل عمر لبيان ان المنع اصل
وعزيمة ويجوز ان يكون ايضا تقدم عثمان على علي رض في الخلافة لرجحان عثمان عليه فيما يرجع الى
الخلافة لما عرفت ان جهات التفضيل مختلفة ويدل على ذلك قوله عم ارحم امتي بامتي ابو بكر واشدهم
في امر الله عمر واصدقهم حياء عثمان ويجوز ان يكون علي رض افضل من ساير الصحابة سوى الخلفاء الثلثة
بالنظر الى شرائط الخلافة من جهة كمال فطانته وفراسته وكونه ابن عم رسول الله كما قال النبي عم انت مني
بمنزلة هرون من موسى الا انه لا نبي بعدي وقال انت اخي في الدنيا والاخرة وامر علي جيش وفيه
ابو بكر حين ذهبوا الى نبذ عهد الكفار فان قلت هذا يدل على انه مفضل على ابي بكر في الخلافة قلنا ليس
كذلك لما عرفت ان فضيلة ابي بكر في باب الخلافة اقوى وجعله امير الجيش في نبذ العهد لو عادة العرب
[illegible] لا لكونه مفضلا على ابي بكر في باب الخلافة لان العرف على ان المعاهد والنابذ من الاقارب
واذا عرفت هذا القدر من التفضيل هنا يندفع توهم التعارض في فضايل الخلفاء الراشدين من كون كل واحد
افضل من غيره كما عرفت ان النبي عم فضل كل عبادة على غيرها بجهة خاصة وبين قبح كل معصية في بابه بوجه
يفهم انها اقبح المعاصي واغلظها وذلك للترغيب في جميع العبادات والتحذير والمنع عن جميع السيئات
وامثال هذا كثيرة في اساليب البلغاء وطرائق الخطباء ولذا فضل النبي عم بعض الصحابة على غيره بجهة خاصة
لتسليته وبيان فضيلة تلك الصفة المفضلة المستحسنة حتى يرغب الناس في تحصيلها ويجتهدوا فيه كما قال
النبي عم لكل نبي حواري وحواري الزبير وهذا يدل على قوة اخلاصه في محبة رسول الله ويجوز ان يقول ذلك
على وجه المبالغة وفضل سعد [illegible] رض وقال ارم فداك امي وابي وفضل عبيدة بن الجراح لكمال
صفة الامانة فقال لكل امة امين وامين هذه الامة ابو عبيدة ويجوز ان يراد منها الامانة في شيء مخصوص
لا على الاطلاق وفضل زيد بن ثابت على غيره لكماله في علم الفرائض وقال افرض امتي زيد بن ثابت وفضل
ابيا على غيره بقراءة القران فقال اقرأ امتي ابي وفضل معاذا على غيره لشدة الاجتناب عن الشبهات
وقال اعلمهم امتي بالحلال والحرام معاذ بن جبل وفضل عليا على غيره بكمال علم القضاء اقضاكم علي وفضل
اسامة بن زيد عتيق رسول الله على اقاربه من جهة طول خدمته و[illegible] وكونه عتيقه كما سأل علي وعباس

عن احب تعلقا به وقال احب اهلي الي من قد انعم الله عليه وانعمت عليه قال الله تعالى واذ تقول للذي انعم الله عليه وانعمت
عليه امسك عليك زوجك نزلت هذه الآية في حق زيد ابي اسامة الا ان نعمة الاب نعمة الابن ولذا من الله تعالى على بني
اسرائيل الموجودين في زمان محمد عم في كثير من المواضع بالانعام الذي وصل الى آبائهم كالانجاء من فرعون ومن الغرق والانعام
في التيه فانعام الله على زيد هدايته الى الايمان وانعام رسول الله عم اعتاق ابيه اسامة وقال الانثم من مال ع
عا وقال لعباس جعلت عمك احدهم وقال ان عليا سبقك بالهجرة وفضل عمار الجبلي لسره وفضل ابن ام العبد
فقال اهتدوا بهدي عمار وتمسكوا بعهد عبد وفضل ابن مسعود بحمل الاذان والوصية وهو اول من شهد بالتحاق ابي بكر
بالملك في بعد رسول الله واعلم ان تفضيل اكثر المذكورين على غيرهم قد كان بجهة مخصوصة او بطريق مبالغة كما نحو لم
في مبالغة مدح شيء ليس مثله في الدنيا وليس افضل منه مع انك ومخاطبك تعلمان ان الافضل منه اكثر وانه وارد في كل
في صورة الاطلاق كما قال النبي عم لو كنت مؤمرا من غير مشورة لامرت ابن ام عبد عاصم وهذا في العام
على جيش معين لاقتضاء الوقت والحال فلا يلزم منه ان يكون ابن ام عبد اولى بالخلافة من غيره مطلقا

باب مناقب ازواج النبي عم قال النبي عم خير نسائها مريم بنت عمران وخير نسائها خديجة بنت خويلد
واشار وكيع الى السماء ان لا افضل من كل واحدة منهما في زمانها مما تحت السماء وفوق الارض ويجوز ان يقال
توضيح مريم على غيرها بجهة خاصة لها وكذا توضيح خديجة كما قال النبي عم فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر
الطعام وقال عم لفاطمة الا ترضين ان تكوني سيدة نساء اهل الجنة ونساء المؤمنين وقال احب اهلي فاطمة بنت
محمد عم واعلم ان تفضيل مريم على غيرها من النساء يجوز ان يكون بجهة خاصة لها لكونها معاذة من مس
ابليس وكونها بعيسى مما نفخ جبريل عليهما السلام وخدمتها في بيت المقدس وتفضيل خديجة ايضا بوجه مخصوص عما
كعناء رسول الله بما لها في وقت احتياجه وعونها لرسول الله عند ضعف الاسلام كما قال النبي عم لعباس
ان عليا سبقك بالهجرة وزيادة محبتها لرسول الله ووجه ولد لرسول الله منها وتفضيل عائشة ايضا بوصالها
الى رسول الله في حال صغرها وكونها بنت صديق واتيان جبريل عم صورتها في قطعة حرير وامراة رسول الله
متزوجها وزيادة محبة رسول الله اياها وكون تلك المحبة فضلا لها وان لم يوجد غيرها وتفضيل فاطمة ايضا من جهة
انها ابنة رسول الله عم ومن جهة شبهها برسول الله في الخلق فعلى هذا يندفع التدافع الظاهري لما عرفت جواز
كون شيء فاضلا من جهة ومفضولا من جهة ويجوز ان يقال تفضيل مريم باعتبار زمانها لكن لا يتصور ذلك في بعض
المذكورات والوجه الانسب ما قلنا لكثرة اعتبار البلغاء والخطباء بتلك الجهة في المدح والتفضيل باب

باب جامع المناقب قال النبي عم اهتز عرش الرحمن لموت سعد بن معاذ فان قلت يلزم منه ان يكون
سعد بن معاذ اشرف من سائر الصحابة قلنا لا يلزم لما عرفت ان التخصيص الذكري لا يدل على نفي ما عداه ويجوز
ان يكون ذلك عبارة عن تعظيم زيد ومدحه كما قال الله تعالى في الوعيد تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض
وتخر الجبال هدا ان دعوا للرحمن ولدا ولو سلم ان يراد منه ظاهره يجوز ان يكون ذلك لخصوصية في سعد
فلا يلزم منه تفضيله على غيره على الاطلاق كما عرفت مثل ذلك في باب تجلي المؤمنين رضي الله عنه انس قال
افتخر الاوس بان يعم رجال منهم على الخزرج وافتخر الخزرج ايضا عليهم بان منهم رجالا اذ قال الاوس منا غسيل الملائكة حنظلة

في الرابع

ابن الراهب ومنا من حمته الدبر ومنا من قامت شهادته شهادة رجلين خزيمة بن ثابت ومنا من اهتز العرش لموته سعد بن
معاذ وقالت الخزرج اربعة منا حفظوا جميع القرآن في عهد رسول الله زيد بن ثابت ومعاذ بن جبل وابو زيد وابي بن
كعب وقد عرفت ان جهات الفضل متعددة ومتفاوتة ويجوز ان يفوق واحد على واحد في وجوه كثيرة وان لا يلزم من التفضيل
بجهة كونه مفضلا من جميع الوجوه وقال النبي عم لابي بن كعب ان الله تع امرني ان اقرأ عليك القرآن وقال ابي آلله سماني
وقال عم نعم فبكى لشدة فرحه ويروى انه عم قرء عليه لم يكن الذين كفروا وتخصيص ابي من بين القراء وتخصيص
لم يكن من بين السور لم يكن على سبيل الاتفاق بل كان لنكتة خفية وحكمة مخصصة ويروى انه عم قال عند نزول قوله تع
وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا امثالكم المراد من الغير سلمان وقومه وضرب يده على كتف سلمان وقال لو كان
الدين عند الثريا لتناوله رجال من الفرس ولا يفهم منه ان الفرس خير من العرب لانه عم قال في حق العرب خير القرون قرني
ثم الذين يلونهم ثم يفشو الكذب وفضل المهاجرين والانصار بوجوه كثيرة على غيرهما بل المراد من تفضيل الفرس تفضيلهم بجهة
لا يوجد في العرب كشدة تمسكهم بالايمان وتصلبهم في الدين مع بعدهم عن مهبط الوحي وعدم كونهم من قبائل كرام
وهم العرب والانسب ان يكون تفضيلهم على قوم مخصوصين من العرب لا على الاطلاق بقرينة قوله تع وان تتولوا لان
الخطاب لم يقع على كل العرب فيجوز ان يكون سلمان وقومه افضل من القوم الموصوفين عن الامتثال باوامر الرسول
قال النبي عم في تفضيل الانصار لولا الهجرة لكنت امرءا من الانصار ولو سلك الناس واديا وسلكت الانصار
واديا وشعبا لسلكت وادي الانصار وشعبهم وقال الانصار شعار والناس دثار فان قلت يلزم من هذا ان يكون الانصار
افضل من المهاجرين وليس كذلك لان الخلفاء الاربعة من المهاجرين وهم افضل من الانصار بالاتفاق قلنا ذلك قرينة
على ان المراد من الاحاديث المذكورة في حق الانصار غير ظاهرها فالمراد من تفضيلهم التفضيل بجهة مخصوصة وهو
انعامهم وايواؤهم بالمهاجرين ونصرتهم لرسول الله بالمال والنفس عند غاية الاحتياج الى المعاونة فيكون بيان
تفضيل الانصار بصورة الاطلاق لتاليف قلوبهم وتعظيمهم على وجه المبالغة وقد عرفت امثالها مرارا وقال النبي عم
ان الجنة تشتاق الى ثلثة علي وعمار وسلمان فان قلت يلزم منه ان يكون الثلثة افضل من الخلفاء الراشدين وغيرهم
قلنا لا يلزم لما عرفت ان لا يفهم الحصر من التركيب فلا يدل على انتفاء اشتياق الجنة الى غيرهم نعم يجب على البليغ ان يترك
التكلف في التخصيص الذكري فنقول يجوز ان يقول النبي عم ذلك في قصة خاصة وان يكون ذلك التخصيص لبيان زيادة رجحانهم
وتلذذهم بالتفكر والعبرة والامور الروحانية في غاية ابتلائهم كما فضل يونس عم بذلك الاعتبار على غيره ولا يلزم
منه التفضيل على جميع الصحابة لما عرفت ان التجلي والكشف والاشتغال بالمناجات في الخلوات افضل باعتبار الذات
والاشتغال بالعبادات البدنية لكن نشر العلوم الدينية مع الاختلاط بابناء الدنيا والمكالمة معهم وتعلق القلب
بهم لارشادهم ودعوتهم الى عبادة الله وتعليمهم امور دينهم افضل من الخلوة بالاولى باعتبار الثمرات واتصال
النفع الى عباد الله لان ذلك من نتايج الرافة على خلق الله تع والاعتناء بانجائهم من العذاب وذلك
اعظم الوسائل ولذا قال النبي عم فضل العالم على العابد كفضلي على ادناكم وقال المسلم الذي يخالط الناس
ويصبر على اذاهم افضل من الذي لا يخالطهم ولا يصبر على اذاهم ولذا كانت مرتبة الرسالة اعلى من مرتبة النبوة و
الولاية وحكاية موسى وخضر عليهما السلام تدل على ذلك ولو تفكرت بدقة بالكل وحضور خاطرك فان خضر عم
ترك مصاحبة موسى وانكر على فعله وسؤاله وقال هذا فراق بيني وبينك سانبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا مع ان موسى
افضل من خضر عليهما السلام لانه قد اشتغل بارشاد عباد الله تع ودعوتهم الى طاعته ونهيهم عن المعاصي ومخالفة

وامتنع لذلك عن المداومة على العزلة والتجلي والمكاشفة ولشرف بمرتبة الرسالة واعلى الدرجات الرفيعة وقال
النبي عم الايمان يمان والحكمة يمانية لزيادة رقة قلوبهم وصفاء بواطنهم او لوجود شخص فيه وجد كمال الايمان والحكمة
في ذلك الوقت او قال ذلك بالنسبة الى قوم مخصوص لم يبلغ قوة ايمانهم وحكمتهم الى اهل اليمن او لغلبة اهل الايمان
والحكمة في ذلك الوقت كما قال النبي عم الفخر والخيلاء في اصحاب الابل والسكينة والوقار في اهل الغنم باعتبار
الغالب او باعتبار اقتضاء الحكمة لخلقه والامكنة او باعتبار ان مصاحبة كل صنف من الحيوان يجر اصحابه الى طبيعته
وصفته ويجوز ان يقال المراد من اليمانية الحجاز كما قاله في موضع اخر الايمان حجازي ويؤيد ذلك ان النبي عم الايمان
يمان في غزوة تبوك ومكة والمدينة كانتا في جهة اليمن من تبوك وهذا اولى الوجوه واقربها الى العقول عن ابي هريرة
انه قال ذكرت العجم عند رسول الله فقال النبي عم لانا بهم او ببعضهم اوثق مني بكم فان قلت يلزم منه ان يكون
العجم مطلقا خيرا من العرب مطلقا قلت قد عرفت مرارا ان الحديث كثيرا ما يطلق ويراد منه المقيد
والاحاديث الصحيحة كثيرة في تفضيل الصحابة على العجم خصوصا كان بعضهم من الخلفاء الراشدين حتى قال من
رآني او رأى من رآني احدا لا يدخل النار فيكون المراد من قوله بكم قوما مخصوصين من العرب كما ورد في بعض الاحاديث
انهم قوم حضهم النبي عم على الانفاق فامتنعوا كما قال الله تع في حقهم ها انتم هؤلاء تدعون لتنفقوا في سبيل الله
فمنكم من يبخل وقال بعده ان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا امثالكم اي امثالكم في البخل بل يكونوا باذلين
انفسهم واموالهم في سبيل الله فلا يستبعد ان يكون العرب خيرا من العجم بجهة اخرى باعتبار ان القرآن نزل بلغتهم
وان نبينا عليه السلام كان من جملتهم وكان الكعبة وقبر النبي عم في تربتهم ويكون بعضهم مذمومين بالبخل
وغيره من القبائح ويكون بعض العجم افضل منهم باعتبار تمكنهم شدة تمسكهم بدينهم مع الغيبة عن صحبة النبي وهبوط
الوحي فيكون معنى الحديث وثوقي واعتمادي ببعض العجم ازيد من وثوقي واعتمادي ببعضكم لصفة فاضلة
وعبادات كاملة يوجد فيه لا فيكم وقد عرفت ان امثال هذا الحديث كثيرة مثل ما قال النبي عم ان من اشد
امتي لي حبا ما يكونون بعدي يود احدهم لو رآني باهله وماله وقال عم ان رجلا يأتيكم من اليمن يقال له
اويس لا يدع باليمن غير ام له قد كان به بياض فدعا الله فاذهبه الا موضع الدينار او الدرهم فمن لقيه منكم فليستغفر
لكم المقصود من ذلك ان التمسك بالدين والشدة عند الفتنة سبب الرفعة والفضيلة بتلك الجهة لان ذلك يدل على كمال
الاخلاص والمحبة اذ ليس المراد منه ان قوما يأتون بعد النبي عم افضل من الصحابة والخلفاء الراشدين ولا ان
ادعيا افضل منهم اذ يجوز دعاء الفاضل من المفضول كما استدعى النبي عم من ضعفاء المهاجرين عند الخروج الى الغزو
وقال النبي عم طوبى للشام لان ملائكة الرحمن باسطة اجنحتها عليها وذلك بالنسبة الى بلاد الروم لا بالنسبة الى مكة
والمدينة او المراد من الشام مقابل الروم او بالنسبة الى غيره مخصوص وغير ذلك وقال غلظ القلوب والجفاء
في المشرق والايمان في اهل الحجاز وذلك باعتبار الغالب اذ يجوز ان يوجد شخص ارق قلبا وامتن دينا
من شخص في الحجاز قال النبي عم ما اظلت الخضراء ولا اقلت الغبراء من ذي لهجة اصدق ولا اوفى من ابي ذر شبيه
عيسى بن مريم وانت تعرف ان ابا ذر ليس اصدق ولا اوفى من ابي بكر وعمر وان المراد من ذلك المبالغة في صدقه
ووفائه او بالنسبة الى قوم مخصوص وقصة مخصوصة قال النبي عم اتاكم اهل اليمن هم ارق افئدة والين قلوبا
الايمان يمان والحكمة يمانية وهذا ليس بجار على اطلاقه لان كل اهل اليمن ليس افضل في الايمان والرأفة من اهل
مكة والمدينة بل ذلك بالنسبة الى الذين طبيعتهم المخصوصين في معهد اتاكم او بالنسبة الى الحاضرين او باعتبار الغالب

او المراد من اسم التفضيل الزيادة المطلقة او المبالغة والاشتمال وقد عرفت ان معرفة القرينة الصارفة
عن ارادة الحقيقة سهل يسير وتعيين التاويل المناسب صعب عسير وانا الضعيف العبد الحقير افقر الانام
الى رحمة ربه الملك العلام تفاصيل الكلام في هذا الباب والمقام كما اطنبت في باب الايمان والاسلام
وباب عذاب القبر والدعاء والتوبة والاستغفار وبدء الخلق وتفضيل النبي ص لفوائد عظيمة ونكتة تنبيهية
والاطلاع على ان تفضيل الاعمال والاشخاص والصفات وتقبيح بعض المعاصي والاخلاق والسيئات
على بعض كثيرة صور اطلاق الجهات وان كان المراد من ذلك التفضيل والترجيح ببعض الصفات والاعتبارات
وان ذلك يوسوس قلوب المتعلمين في مواضع كثيرة والاحاديث والايات لعدم كثرة ممارستهم وتمرنهم في العلوم
الشرعية والفهم بالفنون الرسمية والقوانين الفلسفية وذهولهم عن ان كثيرا من النصوص الشرعية جار
على خلاف مقتضى الظاهر والحقيقة لرعاية مقتضيات الوعظ والتنصيح وان الواجب على كل عالم منتصب في مقام
النصح والارشاد وتعليم الوعظ وتعليم زاد المعاد ان يجعل اعظم مهماته واجل مقاصده الاجتهاد في دفع
التعارض الظاهري عن وجوه كلام ائمة الدين بالجمع والتوفيق وفي تلبيس طرائق التاويل والترجيح والتحقيق
حتى يطلع ويسكن التردد والتزلزل عن قلوب المستدلين القاصرين عن التوفيق والتحقيق ويحكم توجههم
وقصدهم الى الاشتغال بتحقيق العلوم الشرعية وتكميل انفسهم بالعبادات القلبية والقالبية وقد كان
هذا الفقير عالما بقصور بضاعته في التلفيق والتحقيق وفتور فطانته في التاويل والتوفيق وعدم
اقتداره على الولوج في هذا المضيق والغوص في البحر العميق لكنه طمع في ان فيض خالق العباد يخلق
في بعض المراد ولا يكمل العلم الا بعد حق الافكار وتتابع الانظار وموجب اخرى الى ان يلتجئ الى القياس
المنتج بالذات للمط وتعيين اكل المقدمات والشكل والنتيجة مثلا ان كان المطلوب اط ووجدنا
كل اب وكل ه ط فان حصل لنا وسط تجمع بين ب وه بان يقال كل ب د وكل د ه فعندهم لنا القياس والا
فلا بد ان يكون له نسبة الى شيء فرضنا انه د حتى يحصل كل د ه فيصح د وب ويطلب بينهما حدا اوسط
وهكذا الى ان يتم العمل واعلم ان العلم الاستدلالي ينتهي الى العلم الضروري وهو منقسم الى الوجدانيات
ولا فائدة فيها للمناظر لاختلاف الناس في الوجدانيات فلا يتصور فيه الالزام والى الحسيات والبديهيات لان
الحاكم فيه اما مجرد العقل وهو البديهي ويندرج فيه قضايا قياساتها معها او العقل مع معاونة الحس
الظاهر والباطن وقد عرفت ان المناظر لا يستعمل الوجدانيات في المباحثات مع الخصم ويستعمل البديهيات والمسموعات
لكن المحسوسات في افادة القطع قد يحتاج الى تكرار الحس السمع يسمى ذلك بالمتواترات وقد يحتاج الى تكرر
حس غير حس السمع ويسمى ذلك بالتجربيات وما يسمى حدسيات مندرج في البديهيات او في الحسيات لكن
الناس اختلفوا في افادة البديهيات والحسيات العلم واكثر اهل النظر يعترف بافادتهما القطع واليقين
وبعض اهل الاستدلال ينكر افادة الحسيات للقطع وينسب ذلك الى افلاطون وجالينوس وارسطوطاليس
ولعلهم ارادوا ان جزم العقل فيها ليس بمجرد الحس بل مع امور ينضم اليه فيضطر الى الجزم لا يعلم ما هي
ومتى حصلت وكيف حصلت والاشبه انها علوم مهم فكيف ينكر وايضا الحس لا يحكم في الكليات
ويغلط في الجزئيات كما يرى الصغير كبيرا كالنار الموقدة في المسافة البعيدة والخاتم المقرب الى العين ويرى
المعدوم موجودا كالسراب وما يراه صاحب حمى العين وكما يرى الشط متحركا والسفينة ثابتة ونحو

الشبهة في سقط الغلط لسامع ان الامر بالعكس والنائم يجزم في نومه بوجود اشياء معدومة ويحتمل مثله
في اليقظة واجيب بان العقل لا يجزم بمجرد الحس بل بمعونة قراين تدل على انتفاء الاحتمالات
المذكورة وبعض المستدلين يعترفون بافادة الحسيات القطع واليقين وينكرون افادة البديهيات
العلم اذ قالوا هي اضعف من الحسيات ولذا قيل من فقد حسا فقد علما كالاكمه والعنين
ولهم شبه الاولى اجلى البديهيات اما ان يوجد او لا يوجد وذلك لا يفيد اليقين وباقي البديهيات
يرجع اليه كقولنا الكل اعظم من الجزء والا فالجزء مفسر او غير مفسر وكل ذلك لا يفيد العلم
لانه يتوقف على تصور الموجود والمعدوم والتميز بينهما ولو كان المعدوم متميزا لكان
ثابتا فله حقيقة والجواب ان المفهوم والمتميز مفهوم المعدوم فلا يلزم منه ان يكون
له حقيقة ووجود في الخارج الثانية انا نجزم بالعاديات كجزمنا بالاوليات
فانا جزمنا بان الشيخ لم يلد من امه سبيا وبلا اب وام ولم يصل اواني
البيت بعد خروجي منه اناسا فضلاء وما من مكالمات العالم
لكن احتمال العفونة في الكل قائم بالنسبة الى قدرة الله تعالى او بالحوادث
الفلكية اي دفعة للعادة عند الفلاسفة والجواب ان الامكان
العقلي لا ينافي الجزم الثالثة الامزجة والعاديات
تاثير في الاعتقادات فقوي القلب يستحسن الايلام وحرامه
الحمام وضعيف القلب بالعكس منهما ومن ذلك من يجزم
بحكم نفسه وخصمه ينكر صحته والجواب ان ذلك
لا يدل على ان يكون كل البديهيات كذلك
الرابعة من اوله العلوم العقلية يدل
على تعارض الحجج القطعية قلنا ذلك
لوجود الخلل في مادتها او صورتها
والسوفسطائية قالوا لا تفيد البديهيات
والحسيات العلم لان دليلا لو تعين
يبطل مذهبهما والنظر مذهبهما
ولا طريق عندهما وقد منع المحققون
محاججتهم لانهم لا يعترفون
بمعلوم حتى يثبت مجهولا فطريق
الزامهم الضرب والاحراق
حتى يعترفوا بوجود الحسيات وعلمها
هذا ما جمع بعون الله من عرض
عليه من عون الله

